

كليـــة الآداب والعلــوم الإنســانية

قســـــــــم التـــــــــاريخ

الحركة التأريخية
في مصر منذ بداية الحكم العثماني حتى الاحتلال
الإنكليزي (٩٢٣-١٣٠٠هـ / ١٥١٧-١٨٨٢م)

بحث اعد لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف

د. غطاس نعمة

إعداد الطالبة

رنا صالح

العام الدراسي ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م

المحتوى

الرموز الاصطلاحية :

ت = توفي

ج = جزء

(د، ت) = دون تاريخ للنشر

(د، م) = دون مكان للنشر

ص = صفحة

ط = طبعة

م = ميلادي

مج = مجلد

هـ =هجري

المقدمة :

شهدت مصر في العصر المملوكي بفعل الأحداث الخارجية للدول المجاورة–مافعله التتار في بغداد واستيلائهم على حاضرة الإسلام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م – تطوراً ملحوظاً جعلها مركزاً من أهم مراكز الفكر والحضارة والسياسة وحجر الزاوية الذي يجتمع عندها مسالك الشرق والغرب، ففي عهدهم أصبحت مصر مركزاً التجارة العالمية، والطريق الرئيس لتجارة الشرق، وبوابة العبور إلى أوروبا، كما عد العصر المملوكي من أغزر العصور في مجال التأليف والكتابة فقد حفل بالعديد من المؤرخين أغنوا المكتبة الإسلامية بنتاجهم الغزير لازالت آثاره باقية حتى اليوم، غير أن ذلك النهوض والتطور شهد تراجعاً ملحوظاً ففي أواخر القرن العاشر الهجري/ الخامسَ عَشَرللميلادعانت البلاد من ويلات تمثلت في دخول عناصر جديدة –الحكم العثماني– بسطت سيطرتها على مصر، وتدخلت في شؤونه، وفرضت عليها نوعاً من العزلة عن العالم الخارجي الذي شمل جميع نواحي الحياة السياسية، والفكرية، والاقتصادية؛ فظل التعليم ممثلاً بالمساجد والكتاتيب، لم يطرأ عليه أيُّ جديد، كماعمدوا إلى تشجيع الزوايا والتكايا والطرق الصوفية، تلك الطرق التي انحرفت عن مسارها الصحيح(العبادة) لتتخللها مظاهر من السحر، والخزعبلات والشعوذات، والتي كان لها أثرٌ واضح على مجريات الحياة، لتتسم حركة تدوين التاريخ والجهود التأريخية منذ القرن العاشر حتى الثالث عشر للهجرة/السادس عشر والتاسع عشر للميلاد بسمات عديدة بعضها كان حصيلة لحركة التدوين السابقة، والبعض الآخر تم اكتسابه من التطورات والأحداث التي شهدتها تلك البلاد لتنمو تلك الحركة وتتطور، ولتنتج مؤلفاتٍ عديدةً تتناول العصر ومجريات الحياة المصرية .

جاء اختيار هذا البحث، من منظور أنّ الدراسات التي عنيت بالجهود والحركات التأريخية فيما يخص مصر العثمانية قليلة جدا؛ فمعظم المؤلفات التي وجدت في تلك الحقبة اقتصرت بغالبيتها على دراسة تاريخ مصر منذ مجيء الحملة الفرنسية ١٢١٣هـ/١٧٩٨م، وتولّي (محمد علي) مقاليد الحكم في مصر ،في الوقت الذي تعرضت فيه الحقبة الممتدة من عام٩٢٣–١٢١٣هـ/١٥١٧ – ١٧٩٨م، للإهمال؛ فالدراسات التي وجدت، وُسِمت بالجهل والتخلف والجمود.

ومن هنا جاء اختيار هذا البحث لتسليط الضوء على كتابة التاريخ في مصر منذ خضوعها للحكم العثماني(٩٢٣هـ/١٥١٧م) حتى قدوم الاحتلال الإنكليزي(١٣٠٠هـ/١٨٨٢م)، وذلك من خلال ذكر أهم المدارس التاريخية في مصر منذ خضوعها للحكم العثماني، والتطرق لبعض نماذج مؤرخي تلك الحقبة، التعرف بأسلوبهم في تدوين التأريخ، ومن ثم دراسة النماذج المتعلقة

بمؤرخي مصر في (عصر اليقظة) لمعرفة دورهم في تطوير الحركة العلمية، وأسلوبهم،وطريقتهم المتبعة في تدوين التأريخ لإعطاء فكرة عن مدى التطور العام لهذه الحركة .

تبرزُ أهمية هذا البحث من اهتمامه بدراسة منهجية التأريخ في مصرمنذ عام(٩٢٣-١٨٠٠هـ/١٥١٧-١٨٨٢م)،والتركيز على الخصائص العامة لكلتا المرحلتين، ومعرفة ألوان النشاط التأريخي لرسم صورة واضحة لمميزات تلك الحركة، وأوجه التشابه والاختلاف بين المرحلتين في المنهج والأسلوب والأهمية .

ولا يُخفى على أيّ باحث أنّ دراسة أية حركة علمية هي من الدراسات التي تحتاج إلى جهد كبير، لكونِها تتطلب إلماماًبجوانب هذا العلم كافةً ضمن الزمان والمكان المحددين، كما تتطلب فكراً عميقاً يمكّن من تحليل النشاط العلمي التاريخي، وربط الأفكار ومقارنتها مع بعضها للتوصل للنتائج المرجوة .

هناك بعض الصعوبات عند البحث عن مصر في الفترة الممتدة من٩٢٣-١٢١٣هـ/١٥١٧-١٧٩٨م؛ فمعظم مؤلفات تلك الحقبة لايزال مخطوطاً لم يُنشر بعد؛ لذا لم أتمكن من الوصول إلى العديد منها لدراستها، بل اعتمدتُ في دراستها على مجمل ما ذكر حولها من دراسات سابقة في المراجع التي أمكن الحصول عليها.

وقد اعتمد منهج البحث استقصاءَ المادة العلمية من المصادر والمراجع، وعرضها، ونقدها وتحليلها، والمقارنة، وذلك من خلال دراسة المؤلفات التي أُلفتْ فيهما، ورصد الحركة والرحلات العلمية، والاهتمام بأهم الخصائص العامة لتلك الحركة، وأهم العوامل التي أثرت فيها، وإلقاء الضوء على أبرز روّاد هذه الحركة .

يضم البحث مقّدمةً، وأربعةَ فصولٍ، وخاتمةً .

المقّدمـة : جرى تخصيصها للتبيان أهمية البحث، وإشكاليتة، وأسباب اختياره، والصعوبات وخطة البحث .

الفصل الأول: عبارة عن تمهيد تاريخي موجز للأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والفكرية، بدءاً من دخول العثمانيين وصولاً إلى الحملة الفرنسية وحكم محمد علي انتهاءً بالاحتلال الإنكليزي لمصر ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م.

الفصل الثاني : خُصّصَ للبحث عن المزايا العامة للحركة التأريخية، وذلك من خلال عرض دراسة مقتضبة عن نشأة هذه الحركة،ليتم بعدها التطرق إلى أسباب ضعف الحياة الفكرية في مصر العثمانية، لننتقل بعدها إلى ذكر أهم المدارس التي وجدت في مصر، وأخيراً تمت الإشارة إلى بعض العوامل والمظاهر الثقافية التي أفرزتها اليقظة الفكرية التي شهدتها مصر .

الفصل الثالث : يشمل دراسة نماذج عن بعض رواد الحركة التأريخية لمصر العثمانية؛ فتم التطرق إلى بعض مؤرخي مدرسة الأجناد منهم (ابن الوكيل ت ١١٣٦هـ/١٧١٩م)،والأمير(أحمد كَتْخُداالــدمرداش ت ١١٦٩هــ/١٧٥٦ م)، وذلــك بدراســة أهــم مؤلفــاتهم، ومــنهجهم، وأسلوبهم،وأهميتهم، ثم دراسة نموذج عن مدرسة المؤرخين التقليديين وهو (أبو السرور البكري الصدّيقي ت١٠٦٠ هـ/١٦٥٠ م) من خلال دراسة أهم مؤلفاته، ومنهجه، وأسلوبه، وأهميته، وفي نهاية هذا الفصل تم التطرق لبعض المؤرخين الذين مثّلوا هاتين المدرستين في تلك الحقبة،وتاريخ ميلادهم، ووفاتهم، وأهم كتبهم في الختام تم عرض ملخص موجز عن الخصائص العامة لحركة التأريخ في تلك الحقبة.

الفصل الرابع : خُصّص لمؤرخي مصر في عصر اليقظة، وبُدئ بالحديث عن(الجبرتي ت١٢٤٠ هـ / ١٨٢٥ م)، و(عبدالله الشرقاوي ت١٢٢٧هـ/١٨١٢م) واللذين ينتميان إلى مدرسة السـير والتـراجم، و(رفاعـة رافـع الطهطـاوي ت ١٢٩٠ هــ / ١٨٧٣ م)، و(علـي مبـارك ت١٣١١هـ/ ١٨٩٣ م) زعيم الترجمة واليقظة الفكرية في عصر محمد علي.

وانتهى البحث بخاتمة ضمّت أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها .

وأخيراً، أتوجه بالشكر الكبير والامتنان العميق لأستاذي المشرف الدكتور غطاس نعمة، الذي تكرم بقبوله الإشراف على البحث، وقد منحني الكثير من وقته وعلمه، مسدداً خطاي، ومذّللاً الصعوبات التي اعترضتني في دراستي حتى تمكنت من إنجازه .

وفي الختام أتمنّى أن يسهم البحث في إنارة بعض الزوايا الغامضة لتلك الحقبة، وجلّ أملي أن أكون قد وفقت في إنجازه ، وإن قصّرت فالكمال لله وحده، وهو وليّ التوفيق .

التمهيد :

مصر من المواطن الحضارية القديمة التي سكنتها البشرية، مؤسسة فيها كيانات فيها وإمارات متنوعة بتنوع الأقوام التي ساهمت في بنائها. ومصر كانت منطقة سكنْ للعديد من الأقوام ومسرحاً للعديد من الأحداث، ومحط أنظار دول كثيرة منها الدولة العثمانية التي اهتم هذا البحث في الخوض في غمار حضارتها، وفكرها التاريخي. في البداية لابد من معرفة معنى كلمة (مصر)، إضافة لمعرفة حدودها الجغرافية، وامتدادها في تلك الحقبة الزمنية قبل تبيان أوضاعها بعد خضوعها للحكم العثماني.

وجدت معانيَ عديدة لمصر؛ فبعضهم قال : إنّ اسم مصر من أول الدهر هو (بابلون)[١] بينما قال آخر: إن اسم مصر أول الدهر قبل الطوفان (جزلة)، ثم سميت مصر، [٢] بينما ذهب ثالثٌ: إلى القول إن أهل العلم اختلفوا في المعنى؛ فقوم منهم قال : سميت مصر بمصر نسبة إلى مصريم بن مركايل، وهو الأول، وقيل بل سميت مصر الثاني، وهو مصرام بن نقراوشبنمصراييم الأول، وعلى اسمه تسمى مصر بن بصير، وقيل: سميت مصر باسم الثالث وهو مصر بن بيصر بن حام بن نوح، وهو أبو قبطيم، وإليه ينسب القبط،[٣]في حين قال آخر:سميت مصر بأم خنور لما فيها من الخيرات التي لا توجد في غيرها [٤] .

وانفرد أحدهم بالقول : اسم مصر لا ينصرف؛ لأنه مذكر سميت به هذه المدينة، فاجتمع فيه التأنيث والتعريف، فَمَنَعاهالصرفَ، ثم قيل: لكل مدينة عظيمة يطرقها السفّار (المسافرون) مصر، فإذا أريد مصر من الأمصار صُرِفَ لزوال إحدى العلتين التي هي التعريف [٥] أما فيما يخص موقع مصر الجغرافي فإنها تقع عند مجمع قارتي آسيا وإفريقيا، وعند مفترق بحريين داخليين يمتد أحدهما إلى المحيط الهندي ومناطقه الحارة، والآخر إلى المحيط الأطلسي ومناطقه الباردة، لذاكانت الزاوية التي تجتمع عندها مسالك الشرق والغرب يحدها شمالاً البحر المتوسط

---

(١)–بابِلْيُوْن : هو اسم عام لديار مصر بلغة القدماء وقيل هو اسم لموضع الفسطاط خاصة. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) : معجم البلدان، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، ج١، ص ٣١١ .

(٢)–المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية تحقيق: زينهم(محمد)؛ الشرقاوي(مديحة)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م ، ج١، ص ٥٦ .

(٣)– الزبيدي (محمد مرتضى ت ١٢٠٥ هـ /١٧٩٠م): تاج العروس في جوهر القاموس، تحقيق: شيري(علي)، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤م، مج٧، ص ٤٧٤.

(٤)– الأندلسي (أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ / ١٠٨٥م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: السقا(مصطفى)، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م ، ص ٥١٤ .

(٥)– ابن ظهيرة (جار الله جمال الدين المخزومي ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م): الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق السقا(مصطفى)، المهندس(كامل)، مطبعة دار الكتب، د.م، ١٩٦٩م ، ص ٦ .

وشرقاً البحر الأحمر فخليج العقبة الذي يفصلها عن المملكة العربية السعودية، تبدأ بعد ذلك الحدود الشرقية البرية من رأس خليج العقبة عند رأس طابة في اتجاه عام نحو الشمال الغربي حتى البحر المتوسط شرق بلدة رفح بكيلو متر واحد، ويفصل هذا الخط بين مصر وفلسطين،[١]ويحدها من الغرب الأراضي الليبية التي تتصل بمصر عن طريق الشريط الساحلي الملاطم للبحر المتوسط، ومن الجنوب تقع الأراضي السودانية، ومنابع النهر العظيم(نهر النيل).[٢] ومساحة مصر حوالي مليون كيلو متر مربع، وتشغل مساحتها شكلاً يكاد يقترب من المربع متساوي الأضلاع، وينحصر بين خطي عرض ْ٢٢ و ْ٣١ شمال خط الاستواء، وخطي طول ْ٢٥ و ْ٣٧ شرق غرينتش.[٣] وقد ساهم هذا الموقع في تشكيل تاريخ مصر الحديث وتطورها الاقتصادي، فالحملة الفرنسية التي دخلت أرض مصرأكدت أهمية الموقع الجغرافي لهذا البلد ووجهت الأنظار إلى منطقة الشرق بشكل عام ومصر بشكل خاص[٤].

أما فيما يتعلق بموقعها في قلوب وعقول المؤرخين فقد كان له حظوة كبرى وأهمية بالغة دفعتهم للإكثار من التغني به، وبفضائله وبمحاسنه، وبعجائبه؛ فهاهو المقريزي[٥] يقول" فضائلُ مصرَ كثيرةٌ منها أنَّ الله عزّ وجل ذكرها في كتابه العزيز بضعاً وعشرين مرة، تارة بصريح الذكر، وتارة إيماء". [٦]

وهاهو المسعودي[٧]يصف سكان مصر، ونيلهم، وأرضهم، بقوله " بناؤها عجب، وأرضها ذهب،وهي لمن غلب، ملكها سلب ومالها رغب، وخيرها طلب، وفي أهلها صخب، وفي طاعتهم

---

[١]- حسن (محمد إبراهيم): جغرافية مصر العربية وحوض البحر الأحمر، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص٦،٥.

[٢]- محمد(حجازي محمد): نحو دراسة في جغرافية مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٥.

[٣]- الأنصاري (ناصر): المجمل في تاريخ مصر (النظم السياسية والإدارية)، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٦، ٧

[٤]-حسن: ص٧.

[٥]- المقريزي :(٧٦٦-٨٤٥هـ/١٣٦٥-١٤٤١م) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، ولد ونشأ ومات في القاهرة، ولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات،من تأليفه كتاب(المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار) المعروفة بخطط المقريزي،وكتاب(تاريخ الأقباط والسلوك في معرفة دول الملوك) وغيرها من المؤلفات. الزركلي(خير الدين)، الأعلام(قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين،ط١، بيروت، ج١،ص١٧٧.

[٦]- المقريزي ، ص ٧١ .

[٧]- المسعودي:(...-٣٤٦هـ/...٩٥٧م) علي بن الحسن بن علي أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله مسعود، مؤرخ، رحالة بحاثة، من أهل بغداد، أقام بمصر وتوفي فيها، من تصانيفه(مروج الذهب) و(البيان) و(أخبار الأمم من العرب والعجم) ،وغيرها من المؤلفات. الزركلي، ج٤، ص٢٧٧.

رهب، وسلمهم شغب، وحربهم خرب، ونهرها النيل من سادات الأنهار وأشراف البحار لأنه يخرج من الجنة".[١]

بينما يذكر السيوطي[٢] نقلاً عن الجاحظ قوله:[٣]:"عجائب الدنيا ثلاثون:عشرة منها بسائر البلاد،وهي مسجد دمشق، وكنسية الرّها،وقنطرسَنْجة، وقصر غُمدان، وكنيسة روميّة، وضم الزيتون، وإيوان كسرى بالمدائن، وبيت الرّيح بتدمر، والخورنق بالحيرة، والثلاثة أحجار ببعلبك،والعشرون الباقية بمصر."[٤]

كما تغنّى بها العديد من الشعراء العرب في مواضعَ كثيرةٍ نذكر منهم أبي الصلت الأندلسي[٥]الذي مدح الأهرامات بقوله:

بعيشك هل أبصرتَ أعظم منظراً	على طول ما أبصرت من هرمي مصر
أنافا بأعناق السماء وأشرفا على	الجوِّ إشراف السماكين والنســـــــر

ومن الأقوال الحديثة قولُ مصطفى كامل[٦] المأثور " لو لم أكن مصرياً لودِدْتُ أنْ أكونْ مصرياً" .[٧]

---

[١]- المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦ هـ /٩٥٧م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: عبد الحميد(محمد يحيى الدين)، دار الفكر، ط٥، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج١، ص ٣٤٠.

[٢]- السيوطي(٨٤٩-٩١١هـ/١٢٤٥-١٥٠٥م): عبد الرحمن بن محمد بن سابق الدين الخضرمي السيوطي جلال الدين، إمام مؤرخ وأديب له نحو ستمائة مصنف. الزركلي: ج٣، ص٣٠٢،٣٠١.

[٣]- الجاحظ:(١٦٣-٢٥٥هـ/٧٨٠-٨٦٩م) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، الليثي، أبو عثمان،الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الآدب الآدب ورئيس الفرقة الجاحظية في المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة،فلج في آخر عمره،ومات والكتاب على صدره، له تصانيف كثيرة منها (الحيوان) و(البيان والتبين) و (التاج) .الزركلي، ج٥، ص٧٤.

[٤]- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم(محمد أبو الفضل)، دار إحياء الكتب العربية، ط١، د.م، ١٩٦٧م ،ج١، ص٦٥.

[٥]- أبي الصلت الاندلسي:(٤٦٠-٥٢٩هـ/١٠٦٨-١١٣٥م) أمية بن عبد العزيز الاندلسي الداني المعروف بابي الصلت،حكيم وأديب من اهل دانية الأندلس، ولد بها ورحل إلى الشرق ،مكث بمصر عشرين عاماً، سجن خلالها، نفاه الأفضل شاهنشاه منها، فرحل إلى الإسكندرية، ثم انتقل إلى مدينة المهدية واتصل بأميرها يحي،له مجموعة من التصانيف منها(الحديقة)، و(رسالة العمل في الإسطرلاب) وغيرها من المؤلفات. الزركلي،ج٢،ص٢٢.

[٦]- مصطفى كامل: بن علي بن محمد (١٢٩١-١٣٢٦هـ/١٨٧٤-١٩٠٨م) نابغة مصر في عصره وأحد مؤسسي نهضتها الوطنية مولده ووفاته في القاهرة، حاز على شهادة الحقوق من جامعة (تولوز) الفرنسية، انصرف إلى مقاومة الاحتلال الإنجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه، أنشأ جريدة اللواء سنة ١٩٠٠م، توفي شاباً فرثاه شعراء مصر، أهم مؤلفاته (حياة الأمم والرق عند الرومان)، و(فتح الأندلس) وغيرها .الزركلي،ج٧، ص٢٣٨.

[٧]- الأنصاري، ص ١٠ .

فضـائل، ومحاسـن، وعجائـب كثيـرة، أبـدع المؤرخـون فـي كتابتهـا، معبّـرين عـن مـدى إعجـابهم بمصر، وأهلها، وفضائلها، وعجائبها، مشيرين إلى الازدهار، والتطور اللذين شهدتهما مصرُ عبرَ عصورِها التاريخيةِ.

الفصل الأول

مصر منذ بداية الحكم العثماني حتى الاحتلال الإنجليزي

(٩٢٢-١٣٠٠هـ/١٥١٧-١٨٨٢م)

١-الوضع السياسي

٢-الوضع الاقتصادي

٣-الوضع الاجتماعي

٤-الوضع الثقافي

تمهيد تاريخي

المملوك لغة، جمعه مماليك، هو العبد الذي سُبي ولم يمُلك أبواه، والعبد القن هو الذي مُلك هو وأبواه[١].

أما من الناحية التاريخية، فيقصد به غالباً جموع الرقيق البيض الذين كانوا يستقدمون من بلاد الترك ومن جنوب بحر قزوين إلى العراق والشام كي يباعوا في أسواق النخاسة المنتشرة في البلاد الإسلامية[٢].

توافد هؤلاء إلى مصر في أواخر العصر العباسي ويعود الفضل في ظهورهم إلى الخليفة العباسي المعتصم(٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٣م)، الذي عمد إلى الإكثار من شرائهم للخدمة في الجيش والبلاط، وذلك بعد أن ضعفت ثقته بالعناصر العربية والفارسية، بسبب مانشب بينهم من خلافات وفتن، فيما بعد أتاحت التطورات والظروف الداخلية والخارجية التي أحاطت بمصر في أواخر العصر الأيوبي نوعاً من الهيمنة السياسية والعسكرية للمماليك جعلتهم يستأثرون بالحكم ويؤسسوا دولتين هما: دولة المماليك البحرية والبرجية، حكمت مصر قرابة قرنين ونصف من الزمن إلى أن تمكن السلطان العثماني(سليم الأول٩١٨-٩٢٧هـ/١٥١٢-١٥٢٠م)،[٣]من الأنتصار الأنتصار على السلطان المملوكي (طومان باي)[٤] سنة ٩٣٢هـ/١٥١٧م، وبمقتله يسدل الستار عن دولة المماليك، ويبدأ عهد دولة سلاطين آل عثمان.

---

[١]- ابن منظور، ج١٠، ص٤٣٩.

[٢]- حطيط (أحمد): قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ١٦.

[٣]-سليم الأول (٨٧٥هـ - ٩٢٥هـ / ١٤٨٠م - ١٥٢٠ م) هو أصغر أولاد بيازيد الثاني وأكثرهم بعداً عن والده وأقربهم إلى أمه (حفصة) كان والده يعلم شراسة وحدة طبعه وحبه لسفك الدماء إضافة إلى أنانيته القاتلة وحبه لذاته استلم العرش٩١٨هـ/١٥١٢م هزم الشاه إسماعيل الصفوي في موقعة جالديران سنة٩٢٠هـ/ ١٥١٤م وانتصر عليه كما أنه انتصر على السلطان طومان باي في موقعة الريدانية سنة٩٢٣هـ/ ١٥١٧م دخل على أثرها القاهرة، لقب (بياِّزو) أي الصارم توفي بعدما قضى في السلطنة ثماني سنوات ودفن في استانبول. عامر (محمود) : تاريخ الدولة العثمانية، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤م، ص ٢٤٩-٢٥١.

[٤]-طومان باي (ت ٨٧٩ - ٩٢٣ هـ/ ١٤٧٤ - ١٥١٧م) أبو النصر الملقب بالأشرف من ملوك الجراكسة تولى الحكم بعد وفاة قانصوه الغوري سنة ٩٢٢ هـ /١٥١٧م جهز جيشاً لقتال العثمانيين هزم أمام السلطان سليم أعدم شنقاً كانت مدة سلطنته ثلاثة أشهر.الزركلي: ج٣،ص ٢٣٣- ٢٣٤.

أولاً: الوضع السياسي في ولاية مصر

لقد اتبعت الدولة العثمانية في إدارة البلاد الإسلامية التي دخلت تحت سيطرتها سياسة الإبقاء على الأنظمة السابقة لتلك الأقطار بعد إصلاحها وإجراء التعديلات اللازمة عليها لدمجها في التشكيل الإداري العام للدولة تدريجياً.

أما مصر فقد سنّ السلطان سليم الأول أثناء إقامته فيها أنظمة إدارية تمثلت بتوزيع المصالح،وتنظيم دوائر الحكومة بطريقة حصر النفوذ في واحدة دون أخرى ليأمن عدم الخروج عن طاعته،[١]وكلّف (يونس باشا)[٢] بإدارتها، لكن الثورات سرعان ما عمّت مصر بعد وفاة السلطان سليم الأول (٩٢٧هـ/١٥٢٠م) إذ حاولت بعض الزعامات المملوكية إعلان العصيان على العثمانيين، فكلّف أثناء ذلك الوزير الأعظم(إبراهيم باشا)[٣] بالقضاء عليها، وتنظيم أمور مصر بموجب (قانون نامة)،[٤]مقسّماً عساكرها إلى سبع طوائف هي :

(١) الجلبان: تعني المتطوعين

(٢) الجمليان: تعني صاحب الجمل

(٣) التفنكجيان: تعني حملة البنادق

(٤) الشراكسة: أفرادها من المماليك

(٥) السباهية: أفرادها من الإنكشارية؛[٥] وتعني الخيالة

(٦) المستحفظان: أفرادها من الانكشارية

---

[١]- عمون (هند اسكندر) : تاريخ مصر، القاهرة ، د.ت، ص ٢٤٤ .

[٢]- السبب الذي دفع سليم الأول للاعتماد عليه الشجاعة والكفاءة التي أبداها في تدبير الأمور أثناء الحملة فعهد إليه بإدارة كافة شؤن الإيالة بصلاحية واسعة .السيد(محمد سيد): مصر في العصر العثماني في القرن السادس عشر(دراسة وثائقية في النظم الإدارية والقضائية والعسكرية)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة،١٩٩٧م، ص٨٩.

[٣]- إبراهيم باشا(١٢٠٤-١٢٦٤هـ/ ١٧٩٠ -١٨٤٨م): إبراهيم باشا بن محمد علي أحد ولاة مصر ولد بالقرب من نصرتلي بالقرب من قولة بالروملي، قدم إلى مصر مع طوسون بن محمد سنة١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، فتعلم بها، أرسله أبوه في حملة سنة ١٢٣١هـ/١٨١٥م إلى الحجاز ونجد، سيره في عام ١٢٤٧هـ/١٨٣١م بجيش إلى سورية فاستولى على عكة ودمشق وحمص وحلب وانقادت له بلاد الشام فوجهت حكومة الأستانة جيشاً لصده، توفي قبل والده في مصر. الزركلي: ج١،ص٧٠.

[٤]- قانون نامة: يعد جزء مهماً من القوانين الإدارية العثمانية المحلية التي شرعت الدولة في إعدادها لتنظيم الإدارات المحلية للولايات التي تخضع لها، ويعتمد ذلك القانون على الشريعة الإسلامية، ويتألف من مقدمة مطولة يأتي بعدها بنود القانون التي تفتح بالأحكام الخاصة بالجماعات العسكرية، ثم ينتقل إلى التنظيمات الخاصة بإداري إيالة مصر، وبيان الأسس التي تقوم عليها مؤسسات الإيالة الإدارية والمالية والاجتماعية. السيد: ص١٣٠،١٢٩.

[٥]- الانكشارية : هم المشاة العثمانيون ويتألفون من فيلق من الجيش الجديد " يكيجارى" له امتيازاته الخاصة وقد بدأ تشكيله منذ القرن الرابع عشر مع نشأة الدولة من الصبيان أو الفتيان الأسرى وينقسم فيلق الانكشارية إلى وحدات أو أوجاقات يترأس كل وحدة منها آغا يتمتع بامتيازات كثيرة. حسون (علي) :العرب والدولة العثمانية، الرؤيا للطباعة والنشر، ط١، دمشق، ٢٠٠٦م، ص ١٦٨ .

(٧) العزبان: أفرادها شبان غير متزوجين؛ وهم أفراد الانكشارية [١].

أما فيما يخص ضبط الأمن في مصر فقد أولاه العثمانيون أهمية قصوى بعدما أبقى (قانون نامة) بعض التنظيمات الإدارية المملوكية، وترأس واليها إداراتها برتبة (باشا)[٢] أسوة ببقية الولايات العثمانية الأخرى، وأعدّ له جهازاً إدارياً عُرف بمجلس الولاية، [٣]وضم كلاً من :

١ – الوالي : يُعيَّن من قبل السلطان العثماني، وهو رأس الإدارة المدنية والمالية للبلاد، يأتي من تركية، وعادة ما يكون تعيينه لمدة قصيرة سنة أو سنتين، وكان يمثل السلطان، وينوب عنه في جميع المناسبات الرسمية.[٤]

٢ – الدفتردار : هو مسؤول عن الأمور المالية، وينوب عن الوالي في حال غيابه .

٣ – آغا الإنكشارية:هو مسؤول عن الإنكشارية المتواجدة في ولاية مصر.

٤ – القاضي :هو مسؤول عن ضبط الأمور العدلية في الولاية .

٥ – آغا الاصطبل :هو مسؤول عن القبائل وضبطها .

وإذا كانت الدولة العثمانية قد اعتمدت مصطلحَ كشوفية لمصر بدلاً من ولاية، فإن تقسيماتها الإدارية لا تختلف عن التقسيمات الإدارية في بقية الولايات التابعة للدولة العثمانية؛ [٥]فقد شكلت شكلت ولاية واحدة (كشوفية) مركزها القاهرة، وتلك (الكشوفيات) قُسّمت إلى وحدات إدارية .[٦]

ومن الصعب القولُ إن لمصر خطاً سياسياً مغايراً عن الدولة العثمانية التي انفردت بالقرار ،ومنعت الولاة من التصرف بالأمور، سواء أكانت صغيرةً أم كبيرةً، ولهذا فإن إيضاحَ دور مصر سياسياً في ظل الإدارة العثمانية أمر مستحيل، رغم وجود جانب سياسي لولاية مصر في تلك الحقبة يُقرأ من خلال سياسة الدولة العثمانية التي ضربت على الوطن العربي طوقاً من

---

(١)– باشا (أحمد جودت): تاريخ جودت واستانبول، ١٣٠٩ هـ/١٨٩١م، ج١، ص ٣٥٠ .

(٢)– باشا: كلمة تركية مأخوذة من الكلمة الفارسية (باديشاه)،تدل على الألقاب الرسمية التي كانت مستعملة في تركية والبلدان العربية إلى عهد قريب، كان يمنح للعسكريين ولكبار الموظفين المدنين من غير رجال الدين،ظهر لأول مرة في القرن الثامن الميلادي وألغي بعد سقوط الخلفاء العثمانيين، كما ألغته البلاد العربية.حسين(نصار) وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، ط٣ بيروت، ٢٠٠٩م، مج٢،ص٦٠٦.

(٣)– رافق (عبد الكريم): العرب والعثمانيون، مكتبة أطلس، ط١، دمشق، ١٩٧٤م، ص ٩٧ .

(٤)– الأنصاري: ص ١٩٨ .

(٥)– رافق: ص ٩٨ .

(٦)–حسون: ص ٧٢ .

الحصار الذي يحول دون زيادة الوعي لولاياتها عامة وولاية مصر خاصة، لكن مصر لم تهدأ حتى في ظل الإدارة العثمانية [١] .

فالمماليك وإن ظلّوا لعقود يلتزمون الهدوء، والاستقلال، متطلعين إلى زيادة ضعف الدولة وتفاقم الأوضاع الإدارية، وفساد الانكشارية التي خرجت من ثوبها إثر تدهور الأوضاع الاقتصادية، وعجز الدولة عن دفع رواتب الجند وخاصة في عهد الوالي سليم باشا الخادم (٩٨٣-٩٨٨هـ/ ١٥٧٥ - ١٥٨٠ م) الذي تمكن من ضبط الأمور في ولاية مصر [٢] لكن تدهور الاقتصاد وعجز الحكومة عن دفع رواتب الجند تسبب في قيام ثورات الجند في معظم الولايات العثمانية.[٣] تلك الثورات كانت لها آثار مزدوجة، فقد أسهمت في إضعاف الوجود العثماني من ناحية ومن ناحية أخرى أفسحت المجال لبروز المماليك بوصفها قوةً ضاربة في مصر، [٤] وقد تمثّل ذلك النفوذ المملوكي بشخصية (علي بك الكبير)،[٥]وتلاه (محمد أبو الذهب)[٦] الذي عُدّ آخر شخصية شخصية مملوكية تؤدي دوراً ريادياً مهماً في أثناء خضوع مصر للنفوذ العثماني .

وهاهو ذا (حسن الضيعة) يصف الشخصية المصرية في ذلك الوقت يقول :" إنّ مصر ضاعت بوصفها شخصيةً واضحة المعالم كما كانت في العهد المملوكي؛ فأناسها أكلتهم الهيمنة العثمانية التي تغلغلت بكل شيء، حتى التفكير سلبته من زعامتها التي انصرفت كلياً لإرضاء السلطان القابع في استانبول "[٧].

ويقول في مُؤَلَّف آخرَ " إذا كانت الدولة العثمانية قد تولت مسألة الهجوم الاستراتيجي الذي أجاز لها إعادة تشكيل الخارطة القديمة للعالم لكونها تمثّل أكبر قوة ضاربة في البحر المتوسط، فإنّهُ

---

[١]- راضي (سليم أحمد): أوضاع ولاية مصر في ظل الإدارة العثمانية، بغداد، ١٩٦٣م، ص ٥٨ .

[٢]- تشارشلي (إسماعيل حقي أوزون) : التاريخ العثماني، أنقرة ، ١٩٥٤م، ج٣، ص ١٥٧ .

[٣]- جودت: ج٢، ص ٣٥٠ .

[٤]- رافق (عبد الكريم): ثورة العساكر في مصر، بحث ألقاه في القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٨٥ .

[٥]- علي بك(١١٤١-١١٨٧هـ/١٧٢٨-١٧٧٣م): واحد من كبار سلاطين المماليك في مصر، جركسي الأصل من منطقة القوقاز كان أحد مماليك إبراهيم كتخداالقازدعلي وعند وفات هذا الأمير تولى الحكم من بعده ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م، حاكماً مطلقاً على مصر وعزم أن يستقل عن الدولة العثمانية وأعلن استقلاله في عام١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م وضرب النقود باسمه وذكر اسمه على منابر المساجد خانه صهره أبو الذهب الذي تآمر مع الدولة العثمانية فنشبت بينهما معركة الصالحية سقط على أثرها علي بك جريحاً وتوفي بالقاهرة.نصار: مج٤، ص٢٢٨٠.

[٦]- محمد بك أبو الذهب: هو تابع علي بك اشتراه في سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦١م، تسلم منصب الخذندار لقب بأبي الذهب سبب ذلك أنه لما لبس الخلعة بالقلعة صار يوزع البقشيش ذهباً. الجبرتي(عبد الرحمن): عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم (عبد الرحمن عبد الرحيم)، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٩٧م، ج١، ص ٦٥١ .

[٧]- الضيعة (حسن): شخصية مصر في العهد العثماني، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٨٥ .

سيكون لمصر دور سياسي بارز يتعدى أنها قاعدة عثمانية ضربت الجزيرة العربية أسوة بمناطق المغرب العربي الذي عُدّ قاعدةً لرجال البحر يضربون من خلالها سواحل أوروبه"[١].

لقد انصهرت مصر في البوتقة العثمانية؛ لأن وحدانية القرار كانت تصدر من مؤسسة السراي الهمايوني التي تديرها قوى متعددة المشارب والأهواء، تصبغ القرار وتقدمه إلى سلطان السراي (القصر)، وحالما يوقع عليه يكتسب القدسية، ولا تستطيع شخصية والي مصر، ولا قاضيها التلكؤ في تنفيذه، [٢]هذا يعني أن كل الولايات تذوب شخصيتها ومكانتها تجاه السلطان الحاكم المسمى (تابو)؛ أي ممنوع اللمس وهذا ماينطبق على كل مايتعلق به أو يوقّع عليه. [٣]

هذا ما علق عليه بعضهم بالقول:" إن فقدان استقلالية ولاية مصر سياسياً انعكس على واقع الفرد الذي فقد استقلاليته، علماً أنه ينتمي إلى جماعة مصرية تماماً، كما كانت ولاية مصر ترتبط بالمجموعة العثمانية قولاً وفعلاً"[٤]، كما أن الامتيازات التي منحها (سليمان القانوني)[٥] للأوروبيين سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥ م، وخاصة الفرنسيين بدأت تهيّئ مصر للبروز سياسياً، وقد تجلّى ذلك البروز الفعلي في عهد (علي بك الكبير) لتكتمل شخصية مصر السياسية في عهد محمد علي فقد أصبحت مصر في عهده واحدة من الولايات التي ينفرد حكامها بقرارها دون الرجوع إلى سلطان استانبول [٦].

كما أن غياب مصر عن الساحة الدولية منذ سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م حتى منتصف القرن الثامن عشر أدى إلى دورانها في فراغ مضطرب، إلى أن قدمتْ حملة نابليون بونابرت[٧]إلى مصر؛ فقد

---

[١]- الضيعة(حسن): دولة محمد علي والغرب، بيروت، ٢٠٠٢م ، ص ١٧ .

[٢]- أرشيف رئاسة الوزراء: استانبول، سجلات الفرمانات السلطانية، رقم ٥٦، لمعرفة المزيد عن رأس الفرمانات السلطانية وتحذير السراي للعاملين به.

[٣]- نور (رضا): هيمنة الدولة وسلطانها على وحدانية القرار، استانبول، ١٩٢٥م، ج٢، ص ٢٧٣ .

[٤]- عباس (رؤوف): الفرد والمجتمع في مصر في العصر العثماني، القاهرة،٢٠٠٥م، ص ١٣ .

[٥]- سليمان القانوني:(٩٢٧-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م) تولى العرش وله من العمر خمس وعشرون سنة،سن القوانين وأرسى قواعد ملكه وثبت دعائمها،لقب بالقانوني،خاض أكثر من ثلاثة عشرة حرباً قاد معظمها بنفسه كان آخرها فتح العراق٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، يعد أول السلاطين الذين تخلوا عن قيادة الانكشارية وأسندها إلى الصدر الأعظم، وأول من سمح لهم بالزواج والإقامة خارج ثكناتهم ومنحهم الامتيازات بدون حدود.عامر: ص٢٥٢-٢٥٤.

[٦]- كوران (أرجمند): مصر ومحمد علي، أنقرة، ١٩٧٣م، ص٣٥- ٤٠ .

[٧]- نابليون بونابرت : (١١٨٣-١٢١٤هـ/ ١٧٦٩ – ١٧٩٩ م) إمبراطور فرنسا (١٢١٩-١٢٢٠هـ/ ١٨٠٤ – ١٨١٥ م) يعد أحد أعظم القادة العسكريين في جميع العصور غزا مصر (١٢١٣-١٢١٤هـ/ ١٧٩٨ – ١٧٩٩م)،دوخ بفتوحاته القارة الأوروبية حاول احتلال روسية ولكنه ارتد عنها خائباً عام (١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م) تنازل عن العرش عام(١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م) فنفي إلى جزيرة ألبا وقد حاول استعادة عرشه خلال الأيام المائة ولكنه هزم فنفاه الإنكليز إلى جزيرة سانت هيلاني. البعلبكي (منير) : معجم أعلام المورد (موسوعة لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، دار العلم للملايين، ط١، بيروت،١٩٩٢م، ص ٤٥٠ .

فقد كسبت من تلك الحملة مقومات الإدارة، وحرية القرار الداخلي الذي يصل إلى رعيتها المثقلة بالضرائب، والفاقدة لأسس القضاء المرتبط بقاضي العسكر؛[١]فنابليون منذ أن استقر الأمر له شرع في إرساء نظم جديدة للحكم تمثلت في إلغاء النظام الإداري القائم من جانب الباب العالي منذ الفتح العثماني، ووضع إطار حديث للنظم الإدارية والمالية؛ فمن الناحية الإدارية كان في مصرَ ثلاثَ عشرة مقاطعةً أبقى عليها نابليون، لكنَّه أبدل قيادتها بضباط فرنسيين، وجنرال فرنسي، وديوان من سبعة أعضاء وطنيين بمنزلة جهاز استشاري وتنفيذي له، كما أبقى على (آغا المستحفظان) المسؤول عن حفظ الأمن والنظام في كل مقاطعة .

أما فيما يخص النواحي المالية فقد أصدر قراراً في عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م بالاحتفاظ بالضرائب العقارية التي كانت سائدة قبل الحملة، وبإعداد سجل لكل مقاطعة باللغتين العربية والفرنسية، وغير ذلك من الإصلاحات .[٢]

لقد أفادت الوثائق العثمانية أنّ السلطان العثماني سليم الثالث(١١٩٢-١٢٢٢هـ/١٧٨٩-١٨٠٧م)[٣] لم يكن غاضباً في بادئ الأمر من الحملة الفرنسية على مصر؛ لأنه يدرك أن الفرنسيين بثورتهم حملوا أفكاراً جديدة قد تسهم في تطوير الولايات، لكن الضغط الإنكليزي وتحريضه ضد حملة نابليون غيّرا التوجه العثماني؛ فأدرك الانكليز أنّ الهدف الأساس للفرنسيين منْ غزوِ مصرَ هو تحويل فرنسا إلى دولة عالمية، تلك الفكرة التي لم تدركها الدولة العثمانية في الوقت الذي استغلت فيه إنكلترا جهلَ العثمانيين أهميةَ مصرَ[٤].

ويخطئ من يعتقد أن العثمانيين كانوا يحكمون مصر حكماً فعلياً؛ فقد كان دافعهم الأساس هو جباية الضرائب وهيمنة الجند، في الوقت الذي سيطر فيه المماليك على إدارة شؤون الإدارة فيها،في حين اكتفت الدولة العثمانية بالسيطرة الاسمية .

أما عن بروز شخصية مصر السياسية لتلك المرحلة –أواخرَ القرنِ الثَّامنَ عَشَرَ ومايليه– فقد ردهُ البعض إلى ما أفرزته الحملة الفرنسية التي ولّدت أحداثاً مهمةَ أبرزها ظهور محمد علي باشا(١١٨٢-١٢٦٦هـ/١٧٦٩-١٨٤٩م)،[٥] وصرخة المصريين للمطالبة برحيل الفرنسيين

---

[١]- الزيات (حسن): واقع مصر في ظل الإدارة العثمانية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٠٥ .

[٢]- لمعرفة المزيد عن هذه الإصلاحات.الأنصاري: ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ .

[٣]- سليم الثالث : ولد سنة ١١٩٢هـ / ١٧٨٩ م تولى رئاسة العرش وله من العمر ثماني عشر سنة كانت البلاد خلال عرشه تعيش انقسام وشقاق غير أن انشغال أوروبة بأفكار الثورة الفرنسية سمحت له بتنظيم إدارته فأسس فرقاً عسكرية نظامية موازية للإنكشارية فثارت ضده وطلبت منه التنازل عن العرش توفي في عام١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م على يد مصطفى الرابع. عامر: ص٢٩٢,٢٩٤ .

[٤]- تشارشلي: ج٣، ص ٤٣٧ .

[٥]- محمد علي : ولد في قوله ١١٨٢ هـ / ١٧٦٩ م توفي والده وهو في حداثة سنه فكفله عمه طوسون آغا وبعد موت عمه كفله أحد أصدقاء والده وكان ضابطاً بجيش الانكشارية كان محمد علي يعمل بتجارة الدخان وعندما أغار نابليون على مصر وشرعت حكومة الباب

وإعلانهم تحمل مسؤولية الدفاع عن بلادهم؛ أي وجود ما يسمى بالشعور الوطني ذلك الشعور الذي قدره السلطان سليم الثالث، وقال : "لقد انتفض المصريون ضد جلادهم الجديد؛ فقد تأففوا من الإدارة العثمانية المرتبطة باستانبول، والآن وفي حال تمكن الفرنسيين من الاستقرار في مصر فإن قرارهم سيصدر من باريس[١]".

وبهذا الصدد أيضاً يقول المؤرخ المصري علي مبارك(١٢٣٩-١٣١١هـ/١٨٢٣-١٨٩٣م)[٢]:"إنَّ لمصرَ صوتَها وتوجهاتِها حيالَ ما تريد التعبير عنه بعكس ما كانت عليه في ظل وحدانية القرار، وصراحة الفرمان، وظلم الولاة العثمانيين الذين لم ينفكوا عن جمع الأموال"[٣].

إذاً، لأول مرة في تاريخ مصر الحديث ينبري الأهالي لمقاومة الغزاة الجدد، وهذه المقاومة ولّدت عدداً من القادة، واكتملت بوالي مصر الجديد محمد علي الذي مثل الشعور الوطني من خلال إصلاحاته العديدة التي أوجدت لمصر جيشاً خاصاً بها، وجعلت الدول الغربية تخاطب مصر ليس من خلال سلطانها بل من خلال إداراتها الجديدة التي سعت فعلياً إلى تكوين إدارة منفصلة عن استانبول، وتفوقت عليها من خلال احتكاكها بالشعب، وإقامة مؤسسات شاملة لمختلف التوجهات التي تؤطر الدولة وتمنحها الاستقلالية[٤].

ومن هنا خطت مصر أولى خطواتها الإيجابية من ناحية بروزها على الساحة الدولية، وإرغام الدول على مخاطبتها مباشرة، لكن خطوات محمد علي التحديثية دفعته إلى الصراع مع جيرانه،مما جعله في خلاف دائم حتى مع المجتمع الدولي الذي خاطبه بلغة الإنذار،لينتهي الأمر بمصر إلى العودة من حيث بدأت، ولتبقى سنواتٍ تتحمل جشع التوسع القائم على حساب داخلها[٥].

ولو أن ومحمد علي لم يخرج عن السلطان العثماني لمنح مصر تاريخاً سياسياً متميزاً؛ فقد وصل إلى السودان باسم السلطان العثماني، كما أنه هيمن على الجزيرة العربية باسم السلطان العثماني،

العالي في تعبئة الجيوش لمحاربة الفرنسيين انضم إليهم وصل إلى مصر سنة١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، كمعاون لرئيس كتيبة وقد أظهر كفاءة عالية فاستلم عرش مصر في١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م وتوفي في سنة١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م، عن عمر ثمانين سنة. فريد(محمد): البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس الدولة الخديوية، تحرير: شلق(أحمد زكريا)، دار الكتب والوثائق القومية، ط٢، القاهرة ٢٠٠٥م، ص٣١-٣٢-٢٣٩

[١]-أرشيف رئاسة الوزراء: استانبول، مهمة دفتري، فرمان رقم ١٦ .

[٢]- علي مبارك: علي مبارك بن سليمان بن إبراهيم الروجي، وزير مصري، ولد في قرية برنبال في الدقهلية بمصر ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م سافر سنة١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، وعند عودته تقلب في العديد من الوظائف العسكرية، توفي بالقاهرة عام١٣١١هـ/١٨٩٣م في القاهرة. الزركلي، ج٤، ص٣٢٢.

[٣]- مبارك (علي ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): أحوال مصر في ظل الحملة الفرنسية، مصر المحروسة، ١٩٣٢م، ص ١٢٧ .

[٤]-حامد (مصطفى سعيد): مصر الحديثة، الإسكندرية، ١٩٥٣م، ص ٧٧ .

[٥]- متولي (محمد): الخطوات المرتجلة لإدارة مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٥٣ .

ولم تجرؤ دولة أوروبية على محاسبته على خطواته، لكنه عندما تحرك نحو بلاد الشام باسمه أصبح عرضة للنهب السياسي ولابدّ من وضع حد له.

ومن هنا بدأت الدول الأوروبية بمراقبته وعد خطواته، وظلت ترقب تحركاته إلى أن تعدّى على أملاك السلطان الحقيقية،[١]وهنا كان لابد من وضع حد لأطماع محمد علي، فاجتمع ممثلو هذه الدول وهي (الدولة العثمانية، وانجلترا، وروسيه، والنمسه، في لندن١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م ، وأبرموا معاهدة لندن) رغم رفضِ محمد علي بنودَهذه المعاهدة عاد وقبلها تحت الضغط والتهديد، بعد أن حفظت له هذه المعاهدة الحكم الوراثي في أسرته بضمان الدول الأوروبية، كما أصبح لمصر وضع سياسي، وتتمتع باستقلال داخلي تحت مظلة السيادة العثمانية[٢]

ثانياً: الوضع الاقتصادي

إنْ لم يكن لأية ولاية من ولايات الدولة العثمانية رأي ولا قرار، وإنما تُؤْتَمَرُ بأوامر استانبول،وعليها تنفيذها فما هو حال الوضع الاقتصادي لتلك الولايات، وخاصة ولايةَ مصر التي تُعدّ ولاية ممتازة؟ وكان(قانون نامة) يُطبّق عليها، وواليها ينفذ ما يُطلب منه، فعلى سبيل المثال لا الحصر: بلغ مقدار ميرة[٣] مصر خلال عهد سليمان القانوني حوالي ٧٠,٨٩٩ مليون بارة [٤]، لترتفع سنة٩٥٩هـ/١٥٥١م إلى قرابة ٧٨.٣ مليون بارة، هذا المقدار لا يشمل ما يجبى للولاية (الكشوفية)، وهو قرابة ٢٢ مليون بارة.

لقد جمعت الدولةُ العثمانيةُ هذه الضرائبَ من ولاية مصرَ على الشكل الآتي: من مصر العليا نقداً، أما من مصر الوسطى والسفلى فقد جمعت عيناً تحت عناوينَ شرعيةٍ وأحياناً تحت مسميات (عوائد) أو (غرامات)،أما الضريبة الرسمية فقد قدرت بنحو(٦١) مليون، يذهب منها (٢٤) مليون للخزينة الهمايونية في استانبول، والباقي يُوزَّع للعساكر المرابطة في مصر، وقسم آخر مساعدات لليتامى، ولقافلة الحج، ولخدمات أخرى.[٥]وقد أسند البعض الإنتاج المصري في تلك الفترة إلى الريف، وذلك لتعددِ فرص العمل للفلاحين خارج دورة الإنتاج الزراعي المباشرة

---

[١]- نور (رضا) : تحركات محمد علي باشا، استانبول، ١٩٣٨م، ص ٤٥ ، ٨٧ .

[٢]- الأنصاري: ص٢١٧.

[٣]- الميره: بلا همز، جلب القوم الطعام للبيع. الفراهيدي(خليل بن أحمد): كتاب العين، تحقيق: السامرائي(إبراهيم)، دار الهجرة، د.م ط٢، ١٩٨٩م، ص٢٩٥.

[٤]- بارة: مصطلح نقدي ويعني الفلوس، وقد ضرب في عهد السلطان مراد الرابع ١٦٢٣ – ١٦٤٠ م بعدما أبطل التعامل بالأقجة وكانت قطعة البارة الواحدة وهي أكثر من خمسة قراريط والقيراط في مصر يساوي ٠٦٤فالترهنتس: المكاييل والأوزان وما يعادلها في النظام الميري، ترجمة: العسلي(كامل)، الجامعة الأردنية، د.ت، ص٦٨.

[٥]- الضيعة : ص ٨٣ – ٨٤ .

[1]،بينما يجد البعض صعوبة في قراءة المجتمع الزراعي والإنتاجي لولاية مصر في أثناء هيمنة العثمانيين بصورة كاملة على الولاية قد جمعت ضرائبها من خلال فتاوى شرعية مضافاً إليها قانون الفتح الذي يحلل ملكية الأرض رسمياً للفاتح،[2]ولتأكيد ملكيتهم تلك كانوا يعينون قاضياً مهمته تطبيق الشرع على تلك الولاية المفتوحة، [3]في الوقت الذي ردت فيه معظمُ المصادرِ والمراجعِ العبءَ الاقتصاديَّ المصريَّ في عهد العثمانيين إلى ممارساتهما الضريبية القاسية،مضافاً إليها عدم رغبتهم بالإصلاح الزراعي؛فالدولة العثمانية لم تطبق نظام الاقطاع المتضمن تقسيم الأراضي إلى تيمار، وزعامات، وخاص،[4] بل عمدت إلى تطبيق نظام الالتزام،[5]يضاف إلى ذلك ما تعرضت له مصرُ من كوارث طبيعية تمثلت في انخفاض مستوى نهر النيل، وانتشار الأوبئة والطاعون، فضلاً عن الزلازل التي دفعت الكثير من الفلاحين لهجر أراضيهم، وماشهدته مصر منصراعات بين البيوتات المملوكية، هذه الأمور كان لها أثر سلبي في اقتصاد البلاد.[6]بناء على تلك المعطيات يمكن القول: إن الدخل العام للفرد كان متدنياً؛ ذلك ذلك لجهل الفلاح آنذاك الأساليبَ الحديثةَ للزراعة، واعتماده الطرائقَ البدائية، بالإضافة إلى عوامل أخرى منها :

١ -عدم قدرته على توفير البذار ورشه بشكل جيد.

٢ - اعتماده طرق الحراثة القديمة .

٣ -اعتماده على زراعةَ موسم واحدٍ .

٤ - هجرة الشباب للأرض نتيجة ممارسات الإقطاعيين.

٥-عدم وجود آلية لتسويق منتجات الريف المصري؛ فقد ظل الفلاح يعتمدالأساليبَ الزراعية القديمة لعقود دون تدخل الدولة العثمانية،أومساعدته على تحسين زراعته وطرائق الإنتاج، وتسويق منتجاته إلى المدن الرئيسة التي كانت تشكو إلى حد ما من نقص المواد التموينية

---

[1]- أمين (سمير): أزمة المجتمع العربي، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٥م ، ص ١١٩ .

[2]- عفيفي (محمد): الأقباط في مصر في العصر العثماني، سلسلة تاريخ المصريين، عدد ٥٤، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١١٠ ،١١٣، ١١٩ ، ١٢٨ .

[3]- جودت: ج٦، ص ٤١٧ .

[4]-التيمار هو ما كان دخله ١٩.٩٩٩ والزعامت ٩٩.٩٩٩ وما زاد عن ذلك يعد ملك خاص وهو وقف السلاطين وأبنائهم للمزيد Midhatsertoglu , osmantttraihi , Ankara , ١٩٥٤ , S.٧٩

[5]- الالتزام: نظام أساسهُ تعهد شخص ما أو عدة أشخاص بدفع الضريبة المقرة على مقاطعة ما-قرية – أو عدة مقاطعات -قرى- وأحياناً جزء من المقاطعة وقد وصل عدد الملتزمين في بعض المقاطعات إلى أكثر من خمسين ملتزماً. محمد(جمال كمال محمود): نظام الالتزام في ريف الصعيد، القاهرة،٢٠٠٠م، ص٦.

[6]- الفقي (حسن) :التاريخ الثقافي للتعليم في مصر، د.م، د.ت، ص ٣٣ .

الزراعية والمنتجات الحيوانية؛ فالمصريون اعتمدوا عبر تاريخهم إنتاج الزيت من بذور الخسّ والقنب و السمسم؛ لأن بلادهم لا تزرع أشجار الزيتون رغم أنَّ إنتاجه يحتاج إلى الآلات المتطورة ظلّ الفلاح يعتمد قدراتهِ العضليةَ، والحيوان لإنتاج ذلك الزيت الذي يعطيه دخلاً مردودُه جيد بالنسبة للفلاح المصري قياساً بمردود بقية المنتجات الأخرى.[١]

لكن الأوضاع الاقتصادية المصرية سرعان ماشهدت تحسناً لمساعي بعض ولاتها؛ فمحمد علي عمل على تحسين القطاع الزراعي بإدخال أنواع جديدة من المزروعات منها:

١ – غرس الأشجار : كغرس أشجار التوت لتربية دودة القز لأجل صناعة الحرير .

٢ – غرس أشجار الأخشاب الخاصة بإنتاج الأخشاب اللازمة لصناعة سفن الأسطول،ولأغراض العمران، والبناء، ليس ذلك فحسب، بل عمد إلى حفر الكثير من الترع، ونظم شبكة الري، وغيرها من الإصلاحات التي أسهمت في زيادة الإنتاج الزراعي [٢].

بالنسبة للصناعة : كانت بدائية، وتسدّ حاجات الأسواق المحلية، ويذكر ابن إياس [٣] أن أكثر من خمسين مهنة صناعية تعطّلت بسبب نقل الصناع المهرة إلى استانبول، ولم يبق في مصر آنذاك سوى الصناعات البدائية، ومع مرور الزمن طورها المصريون، وسدوا النقص الذي عانته الصناعة،[٤]في الوقت الذي تركزت فيه معظم الصناعات اليدوية والحرفية في المدن الرئيسة وخاصة القاهرة، وكانت المواد القطنية والصوفية توفر العمل لطوائف كبيرة من الندّافين، فضلاً عن صناعة الحصر التي تعد صناعة محلية بالدرجة الأولى[٥].

أما التحسينات التي شهدها القطاع الصناعي في عهد محمد علي فقد كانت بغالبيتها مُهّيأة لخدمة أغراضه الحربية، ورغم إنشائه مصنعاً للمنسوجات القطنية، والصوفية، وصناعة الأسلحة والذخائر، والمدافع، والسيوف، والورق، والدباغة، وغيرها من الصناعات، [٦] لم يلقَ محمد علي

---

[١]–عيساوي(شارل): التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقية، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٢٨١،٣٢٨.

[٢]– أبو الفضل (محمد عبد الفتاح):الصحوة المصرية في عهد محمد علي، المجلس الأعلى للثقافة، د.م، ١٩٩٩م، ص ٧٣ .

[٣]– ابن إياس:(٨٢٥–٩٣٠هـ/١٤٤٨–١٥٢٤م) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، مؤرخ مصري من المماليك، كان أحد تلاميذ جلال الدين السيوطي، له العديد من المؤلفات منها (بدائع الزهور في وقائع الدهور)، و (عقود الجمان في وقائع الزمان). الزركلي: ج٦ ص٥. سيتم دراسة هذه الشخصية بشكل أوسع في الفصل الثالث ص١٠٩.

[٤]– لابكرية: الريف المصري في عصر المماليك والعثمانيين (وصف مصر)، د.م، د.ت، ج٥، ص ٢٨ .

[٥]– حنفي (سمير علي) : العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبيرة في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ،٢٠٠٠م، ص ١٩ وما بعدها.

[٦]– الفقي: ص ٣٤ .

تجاوباً من الفلاحين في إرسالهم إلى المصانع لدرجة أن المشايخ أبلغوه عجزهم عن تأمين العمال من الفلاحين رغمَ أنَّ محمد علي خصص لهم أجراً[١]

هذا ماعبر عنه(سامي أمين)[٢] بقوله:" ولم تكتفِ الدولة العثمانية بإفقار أهالي مصر، بل علمتهم الخمول والتكاسل وآثروا التسول على العمل، ولكن محمد علي أسهم في الحدّ من هذه الظاهرة، وتلاشت في أثناء الإحتلال الانكليزي لمصر؛لأن الجميع تحولوا إلى مقاومين، وتلقَّوا العبرة من أعمال السخرة التي كلفوا بها في أثناء حفر القناة "[٣].

وقد تميزت المرأة المصرية عموماً، والمرأة الريفية خصوصاً بقيامها بأعمال أمثال: التطريز بالخيوط المذهبة، والمفضضة إلى جانب زوجها لتحسين وضعها المعاشي.[٤]

فيما يخص التجارة كان الطريق البري بين الهند وأوربة من أبرز الطرق التي عاش المماليك على مواردها؛ لأن البضائع والسلع المتبادلة بين أوروبة والهند كانت تتم عن طريق مصر، غير أن مصر شهدت تدهور تجاري مع بداية القرن العاشرِ الهجريِّ/ السادس عشرَ الميلاديِّ نتيجة تحول التجارة إلى رأس الرجاء الصالح؛ لأن التجارة الأوروبية عبر المتوسط كانت عرضة للنهب من قبل قراصنة البحر الذين اتخذوا المتوسط مقراً آمناً لهم، وقد ظلَّت مصرُ شبهَ محرومة من الفوائد التجارية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجريِّ/ الثامن عشر الميلاديّ، عندما أدرك التجار الأوربيون ولاسيما بعد تدمير وتهديم مقر القراصنة المغاربة سنة١٢٣٤هـ/ ١٨١٨ م ضرورة العودة إلى الطرق المصرية لسهولتها، ورخص أجورها، وخلوها من مخاطر تهديدها،[٥]لكن تدفق الفضة المكسيكية وإغراق مجمل الأسواق العثمانية بها ولجوء الدولة العثمانية إلى خلط النقود بمعادن بخسة، ورفض الأهالي التعامل بالنقود العثمانية المغشوشةأسهم في زيادة النقود الغربية،[٦]مما زاد في إحداث اضطرابات عميقة في توازنات الدورة

---

(١)- دفتر ٧٨٤ ديوان خديوي تركي ، ص ١٣٧ .

(٢) – سامي أمين باشا(١٢٧٤-١٣٦٠هـ/١٨٥٧-١٩٤١م)بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ حسن بن حسن البرادعي المصري مؤرخ من العلماء بالتربية والتعليم، تخرج من مدرسة الهندسة بالقاهرة واشتغل بالتعليم فكان ناظر لبعض المدارس، كان عضوا في مجلس المعارف، وعضوا في مجلس الشيوخ، توفي بالقاهرة،له العديد من المؤلفات منها (تقويم النيل) في ثلاثة أجزاء، و(تاريخ التعليم في مصر) .الزركلي: ج٢، ص١٧.

(٣)- أمين (سامي) : تقويم النيل، القاهرة، ١٩٨٣م، ج٢، ص٣٧٤ .

(٤)- أوين (روجر) : الشرق الأوسط في الاقتصاد العالمي (١٨٠٠ – ١٩١٤)، ترجمة:الرزازة (سلمى)، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٧٥.

(٥)- سوندرز (جون): العالم الإسلامي عشية توسع أوروبة، ترجمة: الصواف (محمد ظافر)، مؤسسة الرسالة ، ط١، د.م، ١٩٩٤م، ص ١٥٦- ١٥٧ .

(٦)- استيف (الكونت) : النظام المالي والإداري في مصر العثمانية (وصف مصر)، ترجمة :الشايب (زهير)، القاهرة، ١٩٧٩م ج٥، ص ٨١ -٨٢ .

الاقتصادية،فقفزت الأسعار بشكل جنوني، وتضخمت، هذا ما هيّأ للقيام بالثورات التي عمت مختلف الولايات في القرن الثاني عشرالهجري/ الثامن عشر الميلادي، والتي هيّأت الأسباب للحملة الفرنسية سنة١٢١٣هـ/١٧٩٨م؛ تلك الحملة التي قلبت موازين القوى، وحوّلت الفلاحين والصناع إلى مقاتلين حيناً، ومزارعين، وصناع أحياناً أخرى . [١]

وحينما تولّى محمد علي مقاليد السلطة في مصر، وتصرّف بها كحاكم مستقل شهدت التجارة تطوراً ملحوظاً في نشاطها ولاسيما بعد اعتماده السفنَ التجاريةَ،[٢]وإنشائه أسواقاً أسبوعية في معظم المدن المصرية، وبنائه الخانات التي كانت أشبه بشركات تجاريةلكن سياسة محمدعلي الاقتصادية كانت تقوم على فكرة الاستقلال حيث جعلته المزارع الوحيد والصانع الوحيد والتاجر والوحيد[٣].

على الرغم من كل الصعوبات التي واجهتها التجارة المصرية:اكتشاف رأس الرجاء الصالح،والحملة الفرنسية ظلت مصر مركزاً للتجارة بين الشرق والغرب،وبقي ميناء السويس بحكم موقعه على رأس البحر الأحمر من أهم الطرق التجارية بين أوروبة والشرق[٤].

ثالثاً: الوضع الاجتماعي:

لم يولَ الفرد أهمية عبر العصور التاريخية، وخاصة في أثناء الحكم العثماني، هذا لا يعني أن العثمانيين مسؤولون بدرجة ما عن ظهور الفرد أو الفردية الاجتماعية في مصر؛ لأن معنى المجتمع لم يكن واضحاً ولم يتبلور إلا في نشأة الرأسمالية، ولهذا فإن مصر وغيرها من الولايات العثمانيةً تكونوا اجتماعياًمن طوائف رأسية وأفقية على أسس مختلفة، مهنية، أوحرفية، أو دينية أومذهبية أوعرقية، وكل منها يقطن أويعيش في مكان محدد في حارة، أو في حي، أو محلة وتعطي اسمها للمكان كما هو متعارف عليه، فمثلاً: هذا يُعرف بالجزار، أوالصانع، أوالحريري أوالنحاس، أوالفحام، أوالكاشف، أوالخازندار، أو الدفتردار (وظيفة)، وإذا ما انتقل إلى مكان ما أو بلد مافإنه يُنسب إلى بلده الأصلي عند أهل البلد الجديد الذي حلّ به، فهذا التونسي، وذاك الشامي، وآخر المغربي، والطنطاوي، وهذا يدل بشكل واضح على أن ملامح المجتمع لم تحدد

---

[١]– عثمان (ليلى): الحملة الفرنسية تنوير أم تزوير، كتاب الهلال، عدد ٥٨٧، د.م، ١٩٩٨م، ص ١٨٦ .

[٢]– فهمي (نعيم زكي): طريق التجارة الدولية ومحطاتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٢٩،٥٠.

[٣]–الفقي: ص٣٣.

[٤]– ليلى(عبد اللطيف): دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠م، ص١٢٨. ص١٢٨.

بعد إلا إذا عدّدنا القبائلية، والمراتب الاجتماعية، وطوائف الحرف، والمذاهب، والأعراق، وهو أمر غير مقبول تاريخياً، ولا يمكن أن يُقاس من خلاله المجتمع[١].

والتساؤل المطروح:هل بلغ الفرد مرحلة الاحترام سواء أكان ذلك في حياته الخاصة أم العامة؟ هل نال احترامه في فكره، ومعتقداته، وخياله، وشعوره العاطفي؟ وهل تساوى أمام القانون يوم أقرت الدولة أو السلطة الحاكمة العمل بموجب قانون؟

لقد كان المجتمع المصري كبقية المجتمعات العربية بدءاً من زمن الخلافةالإسلامية حتى العصر العثماني مكوناً من فئات اجتماعية حاكمة ومحكومة، أوبالأحرى فئة فوقية، وفئة تحتية وقسّموا المجتمع إلى منتجين، وأصحاب الرساميل، في حين قسّموا إدراتهم إلى علمية، وسيفية وملكية، وقلمية، ووضعوا السلطان الحاكم على رأس الدولة (الملكية).

أما العلمية فقصدوا بها العلماء، ويرأسهم شيخ الإسلام.

السيفية:الجند (الانكشارية)، ويرأسهم آغا الإنكشارية.

القلمية: موظفو الدولة، ويرأسهم الصدر الأعظم[٢].

هذا التقسيم لخريطة الدولة، لاوجود فيه إلى أية إشارة إلى أفراد المجتمع،لأن العثمانيين عدّوا أفراد الشعب المصري رعايا عليهم واجبات وليس لهم أي حقوق، وظلالوضع على ماهو عليه إلى أن قلصت صلاحيات السلطان الحاكم في مطلع القرنِ الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي بموجب(خطكلخانه خطي سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٩م)[٣]، واعتماد القانون الفرنسي ليتحول المجتمع المصري بوصفه مجتمعاً له حقوق وعليه واجبات.

إذاً، المجتمع المصري قُسِّم في العصر العثماني إلى ثلاثة أقسام:

---

[١]- عاصم الدسوقي، البحث عن الفرد اصطلاحاً، القاهرة ٢٠٠٥م، ص٩.

[٢]-قلفجي(حكمت) : التاريخ العثماني، تعريب: لقمان(فاضل)، دمشق ١٩٨٧م، ص١٢٩.

[٣]- خط كلخانة: صدر هذا البيان عام١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م في عهد السلطان عبد مجيد، وسميت نصوصه بالتنظيمات الخيرية، وقد أقر المنشور مجموعة من البيانات منها، المساواة التامة بين جميع رعايا السلطان على اختلاف مللهم أمام القانون في دفع الضرائب والخدمة العسكرية،كما أنه ألغى نظام الالتزام،وندد بالرشوة،ورغم اعتداله وإنصافه غير أنه واجه مقاومة عنيفة من قبل رجال الدين والسلطان عبد المجيد الذي وقع عليه مكرهاً تحت الضغط الأوروبي.عامر: ص٢١٣،٢١٢.

القسم الأول: العثمانيون، وهم الحكام، وهم الفئة الفوقية.

القسم الثاني: فئة البكوات، ويمثلها المماليك.

القسم الثالث:فئة الرعايا، ويمثلها المصريون بمختلف أطيافهم وقسمت إلى عدة فئات هي :

١. العلماء : لقد حظي العلماء بدرجة كبيرة من الاهتمام والرعاية من قبل الحكام، كانوا تابعين للقاضي وشيخ الإسلام، لعبوا دوراً كوسطاء بين الشعب والحكام من المماليك والأتراك. [١]

٢. الفلاحون : هؤلاء يشكلون الهيئة الأولى المنتجة في الريف التي يعتمد عليها اقتصاد مصر ،لكنهم حرموا من ثمرة إنتاجهم؛ عاشوا في بؤس شديد، ولم يجدوا من الحكومة أية عناية،وقد صور صاحب هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف حياة الفلاح المصري تلك.[٢]

٣ـ العربان :هم أفراد الطبقة الثانية في بنية المجتمع الريفي بعد الفلاح، وكانت لهم حياتهم الخاصة التي تحكمها ضوابط معينة[٣]

٤. أهل الذمة من الأقباط واليهود : هؤلاء أيضاً كانت لهم حياتهم الخاصة بهم[٤]عاشوا على هامش الحياة السياسية والفكرية، لكنهم شغلوا دوراً في الحياة الاقتصادية المصرية. [٥]

بالنسبة إلى الفتاة المصرية من الصعب استعراض واقعها الاجتماعي؛ فالبعض قال: إن التاريخ لم يعرف فتاة دأب الظلم على إذلالها كالفتاة المصرية، ويرى بعضهم أن المرأة المصرية صاحبة قرار ورأي محترم لكن الفقر الذي واجهته بعضهن دفعهن للعمل في البيوت كخادمات، وقد عوملْنَ معاملة الأرقاء،[٦] في حين قال آخرون:إن الوضع العام للمرأة المصرية قد سار في طريق الانحدار من عصر إلى عصر حتى وصل إلى الحضيض في القرن التاسعَ عشرَ الذي شهد فقدانها الكثير من حقوقها التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية،[٧]بينما تؤكد وثائق عقود الزواج في العصر العثماني أنها تتم عادة بواسطة ولي المرأة، وبالنسبة لصفة هذا الولي الرجل،فإن عقود الزواج الشافعي والمالكي تذكر أنها (ولاية الإجبار) بالنسبة للبكر صغيرة كانت

---

[١]- الشربيني (يوسف) : المجتمع الرديف في مصر، القاهرة، ١٩٦٣م ، ص ١٧٥ .

[٢]- الشربيني : هز القحوف في شرح قصيدة أبو شادوف، القاهرة، ١٨٩٠، ج١، ص ١٧ ، ٨٤ ؛ج٢ ، ص ١٥٠ .

[٣]- عبد الرحيم (عبد الرحمن عبد الرحيم) : الريف المصري من القرن الثامن عشر، مكتبة مدبولي، ط٢، د.م، ١٩٨٦ م، ص ١٨.

[٤]- الأنصاري : ص ١٩٤.

[٥]- عبد العزيز : ص ١٥٧ .

[٦]- حمدان(جمال): الشخصية المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٣ ، ص٥٣٤.

[٧]-هلال(عماد) : الفتاة المصرية بين الشريعة والقانون والعرف، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٥٨.

أم كبيرة (ولاية الاختيار) إذا كانت ثيباً، أما عقود الزواج الحنفي، فتصف الولي بأنه (وكيل) في حالتي البالغ والثيب[١].

يمكنُ القولُ: إنَّ الاجتهادات الفقهيةَ كثرت بشأن المرأة لدرجة أن قضيتها من طفولتها حتى زواجها وإنجابها الأولادَ صدرت فيها مجلدات ضخمة مختلفة، لدرجة يلحظ فيها القارئ أن أقوالاً عدة يذكرها مؤلف المجلد، ويناقض نفسه فيها، كما أن هنالك العديدَ من القضايا والمشكلات المعقدة التي واجهت الإدارة المصرية في القرن الثالثِ الهجري/ التاسع عشر للميلاد، وقد أورد مجلس الأحكام آلاف الحوادث عن المرأة (طفلة وفتاة ناضجة وامرأة متزوجة)، وقد ذكرت هذه السجلات حالات عملية للحوادث التي قامت بها المرأة المصرية بإرادتها أو رغماً عنها، وفي كلتا الحالتين كانت هي الضحية الأولى والأخيرة،[٢]إلا أن هنالك محاولاتٍ عديدةً وضعت لتحسين وضع المرأة منها بناءُ محمد علي المدارس الخاصة لتعليم البنات سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧موما قام به (الخديوي إسماعيل)[٣]في فتح الباب لتوظيف المرأة في مختلف المؤسسات الصناعية والإنتاجية،[٤]ودعوة الطهطاوي في كتابه (المرشد الأمين في تربية البنات) إلى تعلم المرأة، مؤكداً دورها في الحياة العامة[٥].

رابعاً:الوضع الثقافي

لقد أجمعت المصادر والمراجع، على أن الوضع الثقافي في مصر تأخّر عمّا كان عليه في الحقبة المملوكية، وتفيد تلك المصادر، أنَّ العالم العربي عامة، ومصر خاصة ظلّا لقرون ثلاثة(العاشرِ والحادي عشرَ والثاني عشر الهجري/السادس والسابع والثامن عشر الميلادي) في

[١]- مجلس الأحكام، س٧/١٠/١٣ ص١٠ مضبطة ٢٨ في ١٣ ذي القعدة ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م.

[٢]- مجلس الأحكام سجل رقم٧ /٣١/٤ وسجل رقم ١٠ دعاوى، ص٣٧ ،١٣٢./ سنبل(أميرة) : المرأة المصرية من خلال سجلات المحاكم، القاهرة، ١٩٧٨م ص١٥ومايليها.

[٣]-إسماعيل باشا:(١٢٤٥-١٣١٢هـ/١٨٣٠-١٨٩٥م) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي الكبير، خديوي مصر ولد بالقاهرة وتعلم بها، بها، ثم في فرنسا، ولي مصر سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، هو أول من أطلق عليه لقب الخديوية، من رجال أسرته، كان مولعاً بالهندسة والرسم والتخطيط في طفولته، قام بالعديد من الأعمال أهمها بناء مدينة الإسكندرية، وحفر ترعة السويس سنة ١٢٨٦هـ/١٦٨٩م، ولي مصر وكان عليها من الدين ثلاثة ملايين جنيه واعتزلها وعليها نحو مليون جنيه، طلبت حكومتا انكلترا وفرنسا من حكومة الآستانة عزله، فعزل سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م، توفي في الأستانة، ونقلت جثته إلى القاهرة. الزركلي: ج١، ص٣٠٨.

[٤]- عبد الكريم(أحمد عزت): تاريخ التعليم في عصر محمد علي(عصر اسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق ١٨٦٣-١٨٨٢م)، مطبعة النصر، مصر، د.ت، ج٢، ص٣٥٨.

[٥]- الطهطاوي(رفاعة رافع):المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، تحقيق: أبو زيد(منى أحمد)، دار الكتب المصرية، القاهرة ٢٠١٢م، المقدمة، الباب الخامس، الفصل الأول، ص٢٩٨ .

عزلة فكرية في أثناء الحكم العثماني عليها؛ فالتعليم بقي لقرون مقصوراً على الكتاتيب، والمواد التي دُرّست فيه كانت دينية ومذهبية بامتياز، مضافاً إليها تعليم القراءة والكتابة؛[١]
فمصر عند خضوعها للسلطان سليم كانت تمتلك العديد من المؤسسات العلمية في القاهرة وبعض المدن المصرية الأخرى، ومن هنا فالولاة العثمانيون وإداريوهم الكبار لم يألوا جهداً في إنشاء مؤسسات تعليمية جديدة،[٢]بل على العكس من ذلك فقد أصدر السلطان سليم أمره عند دخوله مصر عام ٩٢٣ هـ /١٥١٧م بعدم التعرض للأوقاف الموقوفة على أوجه الخير، والتي تمثلت بالجوامع، والمساجد، والتكايا، التي تمت في عهد السلطان الغوري، والصرف عليها نقداً أو عيناً، ونبه الإدارة العثمانية على ضرورة مراعاة ذلك،[٣]ويعود هذا الإجراء إلى فلسفة العثمانيين القائمة على تخفيف أعباء الإدارة المباشرة عن الدولة قدر المستطاع، فتترك للرعية إدارة شؤونهم بأنفسهم.[٤]سنتطرق إلى ذكر أهم المنشآت التعليمية التي وجدت في (مصر العثمانية)، و(مصر محمد علي) لتبيان مدى أهميتها في دعم الحركة العلمية والتأريخية لمصر.

أولاً:أهم المنشآت التعليمية في مصر خلال الحكم العثماني:

شهدت مصر في العصر المملوكي نشاطاً علمياً كبيراً غلب عليه الطابع الديني، ويعود سبب ذلك لرغبة المماليك في الحفاظ على المظهر الإسلامي في دولتهم وبناءً عليه قاموا بتشجيع العلوم الدينية ورعايتها عن طريق الإكثار من بناء المدارس وتشيد الجوامع والمساجد ودور العلم الأخرى، وعند دخول العثمانيين أرض مصر بقي الوضع على ماهو عليه وظل التعليم حتى أواخر القرن الثامن عشر تعليماً دينياً حراً ممثلاً في الكتاتيب والمدارس والمساجد.

١ . المساجد والجوامع :

أماكن العبادة الأولى في الإسلام. وجاءت كلمة المسجد من سجد سجوداً؛ أي خضع فهو إذن كل موضع يتعبد فيه.[٥]
أمّا اصطلاحاً فهو –كما ذكر– المكان المخصص للعبادة عند المسلمين [٦] .

---

[١]– معظم الكتاب تحدثوا عن العزلة التي فرضتها الدولة العثمانية على الوطن العربي والتي شملت مختلف نواحي الحياة وحملوا المسؤولية الكاملة للعثمانيين وسيتم التعرف على أسباب تلك العزلة في الفصل الثاني، ص٤٦ .

[٢]– أوغلي (أكمل إحسان الدين) : الدولة العثمانية (تاريخ وحضارة)، د.م، د.ت، مج٢، ص ٣٢١ .

[٣]–علي (أحمد صلاح أحمد هريدي) : دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر(٩٢٣–١٢١٣هـ/١٥١٧–١٧٩٨م) عين للدراسات والبحوث، ط١، الهرم،٢٠٠٠م، ج١، ص ٣١٣ .

[٤]–أحمد(ليلى عبد اللطيف): الإدارة في مصر في العصر العثماني، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٤٣.

[٥]–الزبيدي: ج٨، ص ١٧٣ – ١٧٤ .

[٦]–عبد الوهاب (حسن): تاريخ المساجد الأثرية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٦م، ج١، ص ١١.

بالنسبة إلى الجامع فهو نعت المسجد، أتى معناه من اجتماع المصلين فيه للصلاة حيث تقام فيه الصلوات الجامعة، وصلاة الجمعة، والخطبة، فهو منبر المسلمين الجامع لهم؛[1] يقيمون فيه صلواتهم، ويعقدون مجالس قضائهم، ومن فوق منابره يستمعون إلى الخطبة في شؤونهم العامة،كما كانوا يودعون فيه خزائن لنفائس علمهم ومخطوطاتهم [2].

أول المساجد الدينية في مصر هو مسجد (عمرو بن العاص)،[3]وأُنشئ بعده العديد من المساجد أهمُّها الجامع الأزهر سنة ٣٥٩ هـ /٩٧٠ م، والذي بناه القائد(جوهر الصقلي)[4] فاتح مصر الفاطمي، و يعد من أقدم المدارس المصرية، بل هو أقدم المدارس الكبرى في العالم.[5]فالمساجد الإسلامية جميعها قامت بأدوار مهمة في تاريخ الأمة الإسلامية، لكن الأزهر قام بدور رئيس ليس في تاريخ مصر فحسب، بل في تاريخ الشعوب العربية والإسلامية على مر العصور؛ فقد حفظ لنا اللغة والثقافة الإسلامية في عصور التدهور والانحطاط، كما كان مصدر الدعوة الإسلامية. كان الغرض من بنائه في البدء إقامة الشعائر الدينية، ليصبح بعدها مقصداًلطلاب العلوم العربية والثقافات الإسلامية من شتى أنحاء العالم، بالإضافة لكونه ملاذاً لعامة الشعب؛يهرعون إليه في الأزمات، ملتمسين من علمائه الإرشادَ والتوجيهَ،[6]وقد ذكر (الجبرتي)[7] ذكر (الجبرتي)[7] الكثيرَ من مواقف علماء الأزهر في دفع الظلم عن الأهالي، وكان طلابه من رواد الكتاتيب،وكان كل طالب يختار لنفسه من شاء من شيوخ الأزهر، متدرجاً في التعليم من السهل إلى الصعب. والكثير من خريجي الأزهر انطلقوا إلى الأقاليم والقرى، يقيمون الكتاتيب،

---

[1]–ابن منظور (محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) : لسان العرب، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج٨، ص ٥٣ .

[2]–عبد الكريم: تاريخ التعليم في عصر محمد علي،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م، ج١، ص ٦

[3]– مسجد عمرو بن العاص: أنشئ بمصر بعد الفتح الإسلامي لها، كانت مساحته ٥٠×٣٠ ذراعاً، ثم توالت عليه الزيادات، إلى أن أمر الخليفة مأمون واليه عبد الله بن طاهر بتوسيعه فأصبحت مساحته ١١٢×١٢٠متر تقريباً، كان مدرسة كبرى للعلوم الدينية، كما استعمل بيتاً للمال ومحكمة دينية ومدنية. نصار: مج٣، ص١٢٢٨.

[4]–جوهر الصقلي:(٣٨١هـ/٩٢٢م) جوهر بن عبد الله الرومي أبو الحسن القائد باني مدينة القاهرة والجامع الأزهر، كان من موالي المعز العبيدي (صاحب أفريقية)، سيره من القيروان إلى مصر بعد موت كافور الإخشيدي، فدخلها سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، مكث بها حاكماً مطلقاً إلى أن قدم مولاه المعز سنة٣٦٢هـ/٩٧٢م، فحل محله وصار من أعظم قواده ،توفي بالقاهرة ولم يبقى شاعر إلا رثاه . الزركلي:ج٢، ص١٤٨.

[5]–زيدان(جرجي): تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت،ج٤، ص٣٧٦.

[6]– البهي(محمد): الأزهر تاريخه وتطوره، دار مطابع الشعب، القاهرة،١٩٦٤م، ص٢-٣.

[7]– الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن بن إبراهيم بن حسن الجبرتي، مؤرخ مصر ، ولد في القاهرة سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م، وتعلم في الأزهر، عين عضواً في الديوان الذي أنشأته الحملة الفرنسية، ولي أفتاء الحنفية في عهد محمد علي، قتل له ولد فبكاه حتى ذهب بصره، توفي عام ١٧٥٣هـ/١٨٢٥م، أهم مؤلفاته كتاب (عجائب الآثار في التراجم والأخبار). الزركلي: ج٣، ص٣٠٤. سيرد البحث بشكل أوسع عن هذه الشخصية في الفصل الرابع ص١١٨.

ويتولـون تعلـيم و إرشـاد النـاس، وهـدايتهم،[1]لكـن الأزهـر بـدأ يـدبّ فيـه الضـعف بعـد مجـيء العثمانيين، لتصبحَ دراسة اللغة والأدب جامدة، وزالت منه علوم الحياة على وجه التقريب ولم يبق فيـه إلاضـروباً مـن الحسـاب،وذلك للحاجـة إليهـا فـي المـوازين بالإضـافة إلـى بعـض مبـادئ علـم الهيئة لضبط الوقت،ورغم هذا بقي الأزهر الينبوعَ الذي نهلت منه المدارس الحديثة التي أنشئت في مصر زمن محمد علي الذي استعان بطائفةً من طلابه، وأرسلهم إلى أوروبا لتلقي العلم [2].

٢- الكتاتيب :

الكتاتيب : مفردها كُتّاب، وهو مشتق من التكتيب، وتعليم الكتابة، وهي المهمة التي اضطلع بها أصـلاً، وتشير النصـوص التأريخيـة إلـى وجود الكتاتيب منذ عصـر الرسـول (ص)، وخلفائـه الراشدين[3].

والكتاتيب هي أولى مراحل التعليم بالنسبة للمسلمين واليهود والأقباط، وقد عرفت مصرُ نوعين من الكتاتيب منها ما هو خاص، ومنها ما هو عام؛ أمّا الخاص فهو الذي يدفع والد الطفل أجراً لتعليم ولده.

أما العام فقد أُنشئ بهدف تعليم الفقراء، وكان يُصرف عليه من الأموال الموقوفة بحسب شروط الوقف .

كانـت تلك الكتاتيـب تعلمّ حفظ القرآن والقراءة والكتابـة، وقد تطـورت بعض الكتاتيب إلـى تعليم بعض مبـادئ الحسـاب، وذلـك للحاجـة إليهـا،[4]بينمـا اقتصـر الكتـاب الريفـي علـى تحفيظ القرآن فقط،ورغم ذلك فقد أمدت هذه الكتاتيب الريفيـة مصـر فـي القرن الثـاني عشـر الهجري/ الثـامن عشـر المـيلادي بـالكثير مـن العلمـاء الـذين بـرزوا علـى مسـرح الحيـاة العامـة، والـذين أُلحقـوا بالأزهر،شـغلوا دوراً بـارزاً فـي الحيـاة المصـرية [5]، وسـن الالتحـاق بهـذه الكتاتيـب يتـراوح مـابين الرابعة والخامسة؛ ذلك أن تعليم الصغر يكون أشد رسوخاً[6].

لقد اختلفت أنظمـة الكتاتيـب عنـد الأقبـاط عمـا هـو عليـه عنـد المسلمين؛ فالطفل يـتعلم أولاً الدين،والسلوكيات الطيبة، والقراءة، والكتابة، باللغة القبطية، يتلقاها عن طريق الأغاني، بعد ذلك

---

[1]- الطويل(توفيق): التصوف في مصر إبان العصر العثماني، مكتبة الآداب، الجماميز، د.ت، ص٢٦.

[2]- عبد الكريم:ج١، ص٨.

[3]- الجـاحظ (أبـو عثمـان عمـرو بـن بحـر ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م): البيـان والتبيـين، تحقيـق:الخطيـب (محـب الـدين)، مطبعـة الفتوح،القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١١م، ج١، ص ٢٥١ .

[4]- علي: ج١ ، ص ٣١٧ .

[5]-عبد الرحيم: ص٢٥٦،٢٥٢.

[6]-علي: ج١، ص٣١٩.

مزامير داود والرسائل باللغة العربية، بالإضافة إلى تعلم الحساب وقياس الأراضي.[١]وقد اكتسب الأقباط شهرة خاصة في تعليمهم الحساب دفعت العديد من المسلمين إلى إرسال أولادهم إلى تلك الكتاتيب لتعلم مبادئه، وقد عرف أغنياء المسيحيين نوعاً من التعليم الخاص لأطفالهم [٢]،بينما لم يكن لليهود نظام ثابت، لوجود يهود الشتات؛ فقد كان التعليم لديهم في البدء يقوم على تعليم أطفالهم القراءة والكتابة، وبعض الأدعية والصلوات في المنازل تعليماً خاصاً أوفي مدرسة أعدت لهذا الغرض.[٣]

٣- الزوايا والربط الصوفية :

أماكن خاصة للعبادة : سكنتها فئات عرفت بالصوفية؛ فالرباط يعني المرابطة؛ أي الملازمة والمواظبة على الأمرأنشئ بداية لأغراض خاصة بالجهاد والذود عن الحدود ضد الدول التي هددتها، لكنه تحول فيما بعد إلى أماكن للعبادة يسكنها الزهاد والفقراء والمتصوفة، [٤] وقد أخذ معناها من قوله تعالى: " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ".[٥]

أما الزوايا فهي الأماكن التي يجتمع فيها الزهاد حول شيخ من الشيوخ أو حول ضريح، وقد ظهرت أول الأمر في الجوامع حيث انزوى عدد من الفقهاء والفقراء الذين يتدارسون في أحد زوايا الجامع بعيداً عن المصلين كي لا يشغلوهم عن عباداتهم [٦].

ازدادت أعداد تلك الزوايا والربط الصوفية في مصر زيادة ملحوظة، ويعودُ ذلك إلى الدعم والتشجيع من قبل الحكام لهذه الطرق،[٧] لكن التصوف في العصر العثماني انحط من فلسفة إلى إلى دروشة، وتحول من ظاهرة نفسية فردية إلى ظاهرة اجتماعية دخلها الكثير من مظاهرالدجل،والشعوذة، والخزعبلات، والإيمان بالخوارق، والتفكير الغيبي، والأوهام،[٨]وذلك أنّ

---

[١]-عبد الكريم : ج١،ص٦٦٨.

[٢]-قاسم (عبده قاسم): أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٢٤.

[٣]- علي: ج١،ص٣٢٢.

[٤]-الزبيدي: ج١٩، ص ٢٩٨ .

[٥]-سورة الأنفال : آية رقم ٥٠ .

[٦]-البرهاوي (رعد محمود) : خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية،مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ص٧٧ .

[٧]- الطويل : ص١٧.

[٨]- الشلق (أحمد زكريا) : معالم التاريخ المصري الحديث والمعاصر، دار قطزي بن الفجاءة، ط١، قطر، ١٩٨٦م، ص٣١.

متصوفة العصر العثماني وضعوا قواعد ألزموا المريد بإتباعها لجأ فيها بعضهم إلى الدعوة بمحبة الجهل، وعدم التنقل بين المدارس، مدّعين أن الزهد في طلب الدنيا والاستهانة بملاذها والإعراض عن شهواتها، والانقطاع للعبادة والتجرد والذكر، يكفل لصاحبه بأن يسلم من عامة البشر، ويجعل له قدرة على القيام بالخوارق والكرامات[1]، وقد تحدث الجبرتي وغيره من مؤرخي تلك الحقبةعن العديد من هؤلاء المتصوفة.

هذه هي أهم المنشآت العلمية التي وجدت في مصر خلال الحكم العثماني.

ثانياً:أهم المنشآت العلمية التي وجدت في مصر في(عهد محمد علي):

هو بالإضافة إلى اعتماده الأزهرَ والكتاتيب الموجودة سابقاً أنشأ محمد علي مجموعة من المدارس الحديثة شغلت دوراً مهماً في تطور الحياة الفكرية في مصر. لكن في البداية لا بد من ذكر السبب الرئيسي الذي دفع (محمد علي) لإنشاء تلك المدارس، وإرساله البعثات العلمية إلى الدول الأوروبية؛ قيل إن الهدف الأساس هو إمداد الجيش بما يحتاج إليه من الضباط لمختلف أنواع الأسلحة، وإمداد الدواوين والمصانع بما تحتاجه من موظفين، وصناع، وأطباء، ومهندسين.[2]

أولاً–المدارس الخصوصية : أنشئت هذه المدارس قبل إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية وذلك لحاجة الدولة لإعداد العسكريين والفنيين اللازمين، وقد كان طلبة المدارس في بادئ الأمر من المماليك، ومعنى هذا أن محمد علي لم يكن له في بادئ الأمر ثقة بالمصريين، وقد حاول تجنيد بعض السودانيين في تلك المدارس، لكن تلك المحاولة قد فشلت،[3]وكانت هذه المدارس منها ما هو مدني ومنها ما هو عسكري .

١– **المدارس المدنية:** منها المدارس الطبية، والزراعية، والفنية، والهندسية أهمها:

آ – مدرسة الطب التي أنشئت في سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٧ وألحقت بمستشفى أبي زعبل.

ب– مدرسة الصيدلة أنشئت في سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ بالقلعة وضمت في نفس السنة إلى مدرسة الطب .

ج – مدرسة الولادة التي أنشئت سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٢٢ م وكانت تلميذاتها في السنوات الأولى من افتتاحها من الجواري، والسودانيات، والحبشيات، ثم أصبحت بالتدريج من المصريات.

د – مدرسة المهندسخانة التي افتتحت في بولاق سنة١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤ م.

هـ – مدرسة الدرسخانة الملكية أنشئت سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ م .

---

[1]– الطويل: ص٥٥.

[2]– عبد الكريم :ج١، ص ٨ .

[3]– الفقي : ص ٣٧ .

و – مدرسة الكيمياء أنشئت سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م وغيرها من المدارس التي لا مجال لعرضها جميعاً .

٢ – **المدارس العسكرية** منها:

آ – مدرسة الطوبجية : أنشئت في سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م، وكان لهذه المدرسة مطبعة خاصة بها تقوم بطبع الكتب المؤلفة، والمترجمة، وقد عُيّن رفاعة الطهطاوي مترجماً فيها.

ب . مدرسة البيادة : أنشئت سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م، ثمَّ نُقلت بعد ذلك إلى دمياط ومن ثمَّ بعد ذلك إلى أبي زعبل، بالإضافة إلى العديد من المدارس الأخرى [١].

ثانياً: المدارس التجهيزية (الثانوية): يعود سبب إنشائها إلى إدراك محمد علي الحاجة إلى مدرسة لإعداد الطلاب للالتحاق بالمدارس الخصوصية، وأهم تلك المدارس :

آ–**المدرسة الحربية في القصر العيني** : أنشئت في القصر العيني سنة١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م تتألف من ٥٠٠ شاب؛ بعضهم من صغار المماليك، والبعض الآخر من أبناء الأتراك، والأكراد والألبانيين، والأرمن، واليونان، وغيرهم كانوا يتعلمون القرآن، والنحو، وآداب اللغة التركية والفارسية والعربية ،ونظراً لأنهم كانوا ينوون إدخالهم إلى المدرسة الحربية كانوا يعلمونهم إلى جانب ذلك مبادئ الحساب، والهندسة، والجبر، والرسم، واللغة الإيطالية، وقد أوفد البعض من تلاميذ هذه المدرسة إلى ليفورون، وميلانو، وفلورنسا سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨١٦م لدراسة الحركات العسكرية وبناء السفن والطباعة والهندسة وغيرها من الفنون الحربية[٢].

وقد هبط مستوى التعليم في تلك المدرسة نتيجة المعلومات الضئيلة التي تلقاها التلاميذ بالمكاتب، وخير من رصد لنا سوء الحالة العامة للتعليم في تلك المدارس(علي مبارك) في كتابه(الخطط التوفيقية) بقوله :" وكانت واجبات الوظائف مجهولة فيها، والتربية والتعليمات غير معتنى بها، بل كان جل اعتنائهم بتعليم المشي العسكري، فكان ذلك في وقت الصبح والظهر وبعد الأكل وفي أماكن النوم، وكان جميع المتكلمين على التلامذة يؤذن لهم بالضرب، وأنواع السبّ والإهانة من غير حساب ...."[٣].

---

[١]– الشيال (جمال الدين): تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، بورسعيد، ٢٠٠٠م ص ١٦ حتى ٣٢؛ الفقي : ص ٤٣ – ٤٨ .

[٢]– زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٤، ص ٣٧٩ .

[٣]–مبارك (علي ت١٣١١هـ/١٨٩٣م): الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق،١٣٠٦هـ/١٨٨٨م،ج١٩، ص ٤٠ ؛ الفقي : ص ٤١ .

وإلى جانب هذه المدرسة مدرستان تجهيزيتان: واحدة في القاهرة يقبل بها ١٥٠٠ تلميذاً، وأخرى بالإسكندرية يقبل بها ٥٠٠ تلميذاً[١].

ثالثاً: المدارس الابتدائية:

لقد اهتم محمد علي في بادئ الأمر بإنشاء المدارس الخصوصية لتمده بالخبراء في الميادين المختلفة، لذا أهمل في أول عهده بالمدارس الابتدائية، وفي البدء كان الاعتماد على الكتاتيب المنتشرة في أنحاء البلاد .

وقد أنشئت المكاتب الابتدائية من عام ١٢٤٩-١٢٥٢هـ/ ١٨٣٣ -١٨٣٦م وهي ٦٧ مدرسة وجدت بالأقاليم، أما تلاميذ القاهرة فقد كانوا يتلقون تعليمهم الابتدائي بمدرسة القلعة والقصر العيني[٢].

والدراسة في هذه المدارس أستمرت لثلاث سنوات، ولم يكن لها في بادئ الأمر لوائح لتنظيم عملها؛ فكان لكل مدرسة شخصية مستقلة عن الأخرى مما أدى إلى هبوط مستوى التعليم. لكن الديوان الخاص بالمدارس الذي أنشئ في سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م أقرّ لائحة للتعليم الابتدائي،فكان الهدف الرئيس لها هو إعداد التلاميذ للمدارس التجهيزية، ونشر مبادئ العلوم بين الأهالي، وبعد تنظيم التعليم أصبح عدد هذه المكاتب الابتدائية خمسين مكتبا: أربعة منها بالقاهرة، ومكتب بالإسكندرية، والباقي في الأقاليم [٣] .

وفي النهاية كان لكل من هذه المنشآت التعليمية دورُها في تطور الحركة التأريخية المصرية؛فالمساجد والكتاتيب تابعت مهمتها التعليمية التي مارستها منذ صدر الإسلام، وكثر فيها الفقهاء والعلماء، وتخرج منها العديد من المؤرخين البارزين، كما لعبت المدارس الحديثة التي كانت من مفرزات عصر اليقظة دورها في تطور الحركة العلمية بشكل عام، والحركة التأريخية بشكل خاص؛ فقد ساهمت في إيجاد جيل جديد للنهوض بالبلاد ونشر العلم. بعدالحديث عن أهم المنشآت التعليمية بالإمكان تقدير الوضع العلمي لمصرفي القرن الثاني الهجري/ الثامن عشر للميلاد من خلال ذكر أهم إسهامات المدرسة المصرية، وأهم كتب العلماء والمفكرين .

---

[١]-الفقي : ص ٤٢ .

[٢]-الفقي: ص ٣٨ .

[٣]- الفقي: ص٤٠،٩٥؛ عبد الكريم:ج١، ص ١٨١ ؛ ولمعرفة المزيد عن تاريخ التعليم والمدارس بشكل عام في عصر محمد علي يمكن العودة إلى عبد الكريم:ج١، ص٨٢ ومايليه؛ عبد الفتاح: ص ١٧٣،١٤٢،١٠٧.

لقد أسهمت المدرسة المصرية في علم القراءات بفضل الشيخ(عثمان بن سعيد المصري ١٩٧هـ/ ٨١٢ م)،[١]وبما أنه كان يُكنّى (بأبي ورش)عرفت مدرسته بمدرسة ورش أو الأصح المدرسة المصرية في القراءات، [٢] لقد توافد الكثير من العلماء من المشرق والمغرب إلى مصر لدراسة علم القراءات وخاصة في القرن الثامن عشر ففي سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م أرسل علماء القسطنطينية (استانبول) عدة مسائل في القراءات إلى الشيخ(أحمد البقري١١٤٠هـ/١٧٢٧م)[٣] يطلبون منه الإجابة عنها [٤].

وتشمل العلوم الفقهية أصول الفقه الذي يهتم بقواعد الفقه الإسلامي، أو العلم بالأدلة التي تؤدي إلى تقرير الأحكام الشرعية من سنة وإجماع وقياس، في حين يهتم الفقه باستنباط أحكام الله من الكتاب والسنة المرتكزة على العبادات وأصول المعاملات [٥].

ولقد تفوقت العلوم الفقهية في مصر في السابق بفضل علماء المذاهب الأربعة (المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي)علماً أن الفقه كان قائماً على الاجتهاد، وحينما بالغ دعاته باجتهاداتهم بدأ الفقه بالتدهور والانحطاط، وغدا مؤيدوه من الكتاب يعيدون كتابات الأولين بأسلوب ركيك، أو يعمدون إلى شرحها بصورة مكررة، كما أن مصر قد تميزت عبر تاريخها بالتصوف، ويعد اللغوي الكبير الشيخ (محمد مرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م)[٦] وهو من أكبر علماء التصوف تأليفاً في القرن الثامن عشر [٧].

أما العلوم العقلية فهي علوم لم يعرفها العرب في جاهليتهم، وقد تعرفوها بعد اتصالهم بالحضارات الأخرى، فقد شغلت الفتوحات دوراً بارزاً في تنمية تلك العلوم، وخاصة بعد حملة نابليون بونابرت على مصر، لكن الحياة الثقافية في مصر تبدلت في العقد الأخير من القرن

---

[١]- عثمان بن سعيد بن عدي المصري: أصله من القيروان،ووفاته بمصر رحل إلى المدينة ليقرأ على نافع، ثم عاد إلى مصر حيث انتهت إليه رياسة القراء، كان حسن الصوت وله قراءة معروفة،لقب بأبي ورش لشدة بياضه. نصار: مج ٧، ص٣٥٨٦.

[٢]- العزباوي (عبد الله): الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م ص ١٥ .

[٣]- أحمد البقري : هو أحمد بن السماح البقري الشافعي، مقرئ له العديد من المشكلات في القراءات أجاب عنها كان حياً ١١٤٠هـ/١٧٢٧م. كحالة(عمر رضا): معجم المؤلفين(تراجم مصنفي الكتب العربية)، مؤسسة الرسالة، د.م، د.ت، ج١، ص١٣٩.

[٤]- البقري (أحمد) : مشكلات في القراءات، استانبول، ١٧٨٩م، ص ١١

[٥]- الصوفي (أحمد): مصطلح علم الحديث في مصر خلال القرن الثامن عشر، القاهرة ، د.ت ، ص١١٧ .

[٦]- مرتضى الزبيدي: (١١٤٥-١٢٠٥هـ/١٧٣٢-١٧٩٠م) محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بالمرتضى، علامة باللغة والحديث، أصله من واسط في العراق، مولده بالهند، ومنشأه في زبيد باليمن، أقام في مصر، اشتهر فضله فنهالت عليه الهدايا والتحف، كاتبه ملوك الحجاز والهند واليمن والشام والعراق، توفي بالطاعون في مصر، له العديد من المؤلفات. الزركلي: ج٧، ص٧٠.

[٧]- الزبيدي : التصوف ودلالته، مصر المحروسة، القاهرة، د.ت ، ص ٥٨ .

الثامن عشر، وتطورت بشكل متسارع في القرن التاسع عشر، ليتجه علماء مصر إلى علم الرياضيات معتمدين كتابات مَنْ سبقهم (كاالخوارزمي ت٥٥١هـ/١١٥٦م)[١] الذي وبفضله تمكن علماء المسلمين عامة ومصر خاصة من إدخال المماس إلى علم المثلثات، وأقاموا الجيوب مكان الأوتار،كما طبقوا علم الجبر على الهندسة، وقد وجد في مصر عدد من العلماء ألفّوا في علم الرياضيات منهم الشيخ(حسن الجبرتي ت ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م)[٢]الذي أدرك أن تضخم مشكلة الموازين ستلحق الضرر بالبلاد، فسارع لتسخير علمه ومؤلفاته لحل بعض المشكلات المتراكمة في التراث المصري الثقافي، وقال: (إن علم الميزان أحد أركان العدالة)، ولهذا ألّف كتاب (العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين) [٣]،كما برز الشيخ(محمد الغمري)[٤]في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، وألّف في الفلك، والكيمياء، والجغرافيا، وحل الرموز. [٥] وبعد أنْ كان الطب في أيدي الحلاقين والمشايخ الذين عالجوا الأمراض عن طريق التمائم والأحجية واعتباره تجارة أكثر منه علماً [٦]بدأ يظهر في القرن الثامن عشر عدد من الأطباء الذين حصلوا على شهرة كبيرة منهم الشيخ (أحمد الدمنهوري سنة ١١٩٢ هـ/١٧٧٨م)[٧]ويعد مؤلفه (إتحاف البرية إلى معرفة الأمور الضرورية)، ومؤلفه (القول الأقرب في علاج لسع العقرب) من أهم المؤلفات العلمية المصرية في مجال الطب، وكذلك الشيخ (علي الخياط ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)[٨]الذي ألف عدة كتب في الطب أهمها (فتح الرحمن في بدء خلق الإنسان)، وهو

---

[١]- حسن الخوارزمي:الحسن بن حارث الحيوبي ويقال المحيوبي الخوارزمي رياضي من سيزكين توفي سنة ٥٥١هـ /١١٥٦م، من آثاره (الاستقصاء والتجنيس في علم الحساب) وغيرها من المؤلفات.حميدان (زهير):أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية التطبيقية، وزارةالثقافة، دمشق، ١٩٩٥م،مج١،ص٣٠٧، ٣٠٨.

[٢]- حسن الجبرتي: حسن الجبرتي(ت ١١٨٨هـ/١٧٧٤م) :حسن بن إبراهيم بن حسن بن علي بن محمد عبد الرحمن الزيلعي العقيلي الجبرتي (بدر الدين أبو التهاني) فقيه وعالم في الرياضيات والفلك أثنى عليه ابنه عبد الرحمن المؤرخ وأطال في ترجمته وقال إنه كان لا يعنى بالتأليف ثم ذكر له نحو عشرين رسالة منها: (رفع الإشكال في حكم ماء الحوض) و(حقائق الدقائق رسالة في المواقيت) وغير ذلك.كحالة:ج١، ص ٥٣١؛ الزركلي: ج٢ ، ص ١٧٨؛ الجبرتي:عجائب الآثار،ج١، ص ١٢٦، ١٢٧.

[٣]- الجبرتي(حسن ت١١٨٨هـ/١٧٧٤م):العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين، القاهرة،١٣٩٧هـ/١٩٧٦م، ص٤٣.

[٤]- محمد الغمري: فلكي حاسب نباتي كيميائي، من بلدة غمرة بمصر من آثاره(القواعد الحسابية)،(مقالة في علم النبات وخواصه)،وغيرها من المؤلفات.حميدان: مج٣،ص٢٠٣، ٢٠٤.

[٥]- العزباوي: ص ٧٦ .

[٦]- الطويل : ص ٣١ .

[٧]- أحمد الدمنهوري:(١١٠١-١١٩٢هـ/١٦٩٠-١٧٧٨م) أحمد عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري، شيخ الجامع الأزهر واحد واحد علماء مصر المكثرين من التصنيف في الفقه وغيره كان يعرف با لمذهبي لعلمه بالمذاهب الأربعة، توفي بالقاهرة، من آثاره بالإضافة إلى ما ذكر (القول في علم التشريح) و(سبيل الرشاد إلى نفع العباد) وغيرها من المؤلفات.الزركلي :ج١،ص١٦٤.

[٨]- علي الخياط: الحفناوي كان حياً ١٢١٣هـ/١٧٩٨م ،طبيب من تصانيفه فتح الرحمن في بدء خلق الإنسان فرغ من تأليفه عام١٢١٣هـ/١٧٩٨م. كحالة:ج٢، ص٤٣٩.

رسالة في علم التشريح، وقد عرّف الخياط أعضاء الإنسان، وكيفية تركيبها، وألّف في علم التشريح، كماعُدّ نموذجاً صارخاً للطب العربي واعتمد في تأليفه الطب اليوناني، وقد اعُتِمدَ في المدارس والكليات التي تدرس العلوم الطبيعية والطبية، وأمر محمد علي باشا بطباعته على نفقة الدولة [١].

أما علم التاريخ في مصر في القرن الثامن عشر فقد توزع في ثلاث مدارس هي :

مدرسة الأجناد، والمؤرخون التقليديون، والسير والتراجم.[٢]

ما يفهم من مؤلفات علماء مصر خلال القرن الثامن عشر أنهم لم يكونوا بعيدين عن مشكلات مجتمعهم على الرغم من انغماسِ معظمهم في العلوم الدينية، وخاصةً الروحانيةَ والغيبيةَ منها.

---

[١]- الأنطاكي (داود بن عمر ت١٠٠٨هـ/١٥٩٩م): تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب والعجاب، القاهرة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ص٤٣.

[٢]- سيتم دراسة هذه المدارس ص٤٩.

الفصل الثاني

السمات العامة للحركة التأريخية في مصر(٩٢٣-١٣٠٠هـ/١٥١٧-١٨٨٢م).

أولاً: حركة التأريخ نشأتها وتطورها.

ثانياً:أسباب ضعف الحياة الفكرية في مصر.

ثالثاً: مدارس الكتابة التأريخية في مصر٩٢٣-١٢١٣هـ/١٥١٧-١٧٩٨م:

١. مدرسة الأجناد.

٢. مدرسة المؤرخين التقليديين.

٣. مدرسة السير والتراجم.

رابعاً: مظاهر اليقظة الثقافية في مصر في القرن التاسع عشرودورها في تطور الحركة التأريخ.

آ- البعثات العلمية

ب- الترجمة

ج- الطباعة

د- الصحافة

هـ- الجمعيات العلمية والأدبية

تمهيد:

أولاً: حركة التأريخ نشأتها وتطورها:

للحركة التأريخية عند العرب العديد من الصفات والمزايا والتي تنوعت بتنوع مناطق وجودها،واختلاف الثقافات التي نشأت فيها.

قبل الحديث عن المزايا العامة للحركة التأريخية في مصر العثمانية، وعصر النهضة العربية هناك عدة تساؤلات يجب الإجابة عنها؟ أولًما تعريف التأريخ؟ وما المقصود بالحركة التأريخية؟ وكيف نشأت هذه الحركة؟ ومتى بدأ العرب بتدوين تاريخهم؟ وكيف تطورت حتى وصلت إلى ما هي عليه في مصر موضوع هذا البحث؟!.

التأريخ اصطلاحاً هو الزمن والحقبة،[١]أما لغةً فقد عرفه السخاوي ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م[٢] بقوله:(التاريخ لغة هو الإعلام بالوقت)،[٣] وتعريفه وفقاً لما ذكره محمد بن يحيى الصولي ت٣٣٦هـ/ ٩٤٨م[٤]هو: (تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه...، وسئل بعض أهل اللغة: ما معنى ذلك فقال معنى التأخر، وقال آخر: هو إثبات الشيء ويُقال: ورخت الكتاب توريخاً لغة تيم، وأرخته تأريخياً لغة قيس وتاريخ وتاريخان وتواريخ وأرخ كتابك هذا وورخه)،[٥]وقد

---

[١]- روزنثال (فرانز): علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة: العلي (صالح أحمد)، مراجعة: د. حسين (محمد توفيق)، مكتبة المثنى بغداد، ١٩٦٣، ص٢٣.

[٢]- الحافظ السخاوي (٨٣١-٩٠٢هـ/١٤٢٧-١٤٩٧م) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي، مؤرخ حجة، وعالم بالتفسير والحديث، أصله من سخا (من قرى مصر) مولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة، ساح في البلدان سياحية طويلة من مؤلفاته"الضوء اللامع مع أعيان القرن التاسع" و"الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ". الزركلي : ج٦، ص١٩٤-١٩٥.

[٣]- السخاوي(محمد بن عبد الرحمن ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: الخشت(محمد عثمان)، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ت، ص١٨.

[٤]- الصولي (ت ٣٣٦هـ/٩٤٨م) أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول بالضم وإليه ينسب كان الصولي عالماً بفنون الأدب حسن المعرفة بآداب الملوك واسع الإطلاع غزير المادة كثير المحفوظات، حسن الاعتقاد، مؤلفاته(أدب الكتاب) (كتاب الوزراء). الصولي(محمد بن يحيى ت٣٣٦هـ/٩٤٨م)، أدب الكتاب، تحقيق: الأزي (محمد بهجة)، المكتبة العربي، القاهرة د.ت، ص٨، ١١، ١٢.

[٥]- الصولي: ص١٧٨.

وافقه على ذلك الجوهري ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م[١] (التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله فقال أرخت وورخت)،[٢] لكنَّ كلاً من الجواليقي ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م في كتابه (المُعّرب من الكلام الأعجمي)[٣] وابن منظور ت ٧١١هـ/١٣١١م في (معجمه لسان العرب)[٤] زادا عليه (الأرخ هو الأنثى من البقر الوحشي بفتح الهمزة وكسرها، لأنه شيء يحدث كما يحدث الوالد)،[٥] فالاتفاق واضح بين المؤرخين على أنَّ معنى التأريخ مرتبط بتحديد الوقت، لكن هناك خلاف حول أصل هذه الكلمة؛ فمنهم من قال: إنها محدثة من لغة العرب، وهي معربة من (ماه روز) الفارسية وتعني حساب الشهور والأيام عن طريق ملاحظة القمر،[٦] في حين ردها البعض إلى أنها مصدر من (أرخ) بلغة قيس، وهو اللفظ الشائع عند العرب أو (ورخ) بلغة تيم،[٧]لكن يلاحظ أنّ معظم المؤرخين اتفقوا على أن مصدرها هو عربي، ونشأ من رحم المنطقة العربية، ومع الزمن

---

[١]- الجوهري (إسماعيل بن حماد ت ٣٩٨هـ/١٠٠٦م) إسماعيل بن حماد، كان من أعاجيب الزمان، ذكاء وفطنة وعلماً باللغة العربية، له مصنفات أشهرها كتاب الصحاح في اللغة، اعترته في أخر حياته وسوسة فصعد إلى سطح جامع نيسابور وعمل لنفسه جناحين وحاول الطيران فسقط ميتاً سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٦م .الحموي (ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ /١٢٢٩م): معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م،ج١، ص١٥١.

[٢]- الجوهري (إسماعيل بن حماد ت ٣٩٨هـ/١٠٠٦م) :الصحاح، تحقيق: العطار(أحمد عبد الغفور)، دار العلم للملايين، ط٢، د.م د.ت، ج١، ص٤١٨.

[٣]- الجواليقي: (ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م) موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي البغدادي اللغوي والأديب المشهور ولد سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م وكان إماماً ي فنون الأدب كافة أشهر مؤلفاته (المعرب في الكلام الأعجمي)، و(شرح الكاتب) و(كتاب العروض) الحموي: معجم الأدباء، ج٧، ص١٩٧-١٩٩.

[٤]-ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ/١٢٣٢-١٣١١م) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب) الإمام اللغوي الحجة من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري ولد بمصر وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم ولي مصر وتوفي فيها ترك نحو خمسمائة مجلد أشهر كتبه (لسان العرب). الزركلي، ج٧ ص١٠٨.

[٥]- الجوليقي (موهوب بن أحمد ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥ م): المعرب من الكلام الأعجمي، حققه وعلق عليه: المنصور(خليل عمران)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٤٩؛ ابن منظور(محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار الفكر،بيروت، د.ت، ج١، ص٥٨.

[٦]- ابن منظور: ج١، ص٥٨. السخاوي: ص١٩؛ السلمي (محمد):منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، دار الوفاء، ط١ المنصورة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٠١. الأصفهاني (حمزة بن الحسن ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام د.م، د.ت، ص٨.

[٧]- السخاوي: ص١٩.الصولي: ص١٨٠؛ الجمل (شوقي): علم التاريخ ونشأته وتطوره، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، القاهرة ١٩٨٢م، ص٩٢٨.

تقدمت هذه الكلمة، وتطورت لتأخذ معانيَ ودلالات كثيرة اختلفت باختلاف الأغراض التي استخدمت من أجلها[1] .

والسؤال الذي يطرح نفسه متى بدأ العرب تدوين تاريخِهم؟ وكيف كانت نشأته ؟أهي طبيعية أم هناك أسباب ساعدت على نشأته وتطورت فيما بعد؟.

لقد نشأ التاريخ مع نشوء الأمم والدول، وتطور مع تطور مراحل الإدراك بالواقع العربي، هكذا كان حال العرب و تاريخهم؛ فلكل جماعة تأريخها الخاص، وطريقها بمقدار سويتها الحضارية؛فبعضه مُدوّن أو منقوش، وبعضه شفهي؛ فالعرب قبل الإسلام عملوا على استذكار تاريخهم عن طريق نقله من جيل إلى جيل عبر الرواية الشفوية[2] .

والبعض الآخر عمل على تدوين أخباره عن طريق نقشها على الأوابد الأثرية، والمعابد والقلاع كما فعل أهل اليمن الذين كتبوا بلغة الجنوب وبخطهم المسند، وتركوا روايات ذات طابع أسطوري،[3]أما عرب الشمال فقد أوردوا أخبارهم بأسلوب يشبه أسلوب القصص مع استخدام نسب أوفى مع الشعر ،وذلك لتقوية تأثير القصة من الروايات الشفوية التي تطورت حتى أصبحت جزءاً من الأخبار التاريخية،[4]لتتطور مع الأيام ولتعرف فيما بعد بعلم (أيام العرب) الذي تطوّر ومرّ بمراحل كثيرة، وذكره كثير من المؤرخين منهم حاجي خليفة،[5] إذ يقول: (هو علم يبحث عن الوقائع العظيمة والأهوال الشديدة بين القبائل والعلم المذكور ينبغي أن يجعل فرعاً من فروع

---

[1]- ترحيني (محمد أحمد): المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٣٥.

[2]- الصباغ (ليلى): دراسة في منهجية البحث التاريخي، جامعة دمشق، ط١٣، ٢٠٠٥، ٢٠٠٧م، ص٣٦.

[3]- الدوري (عبد العزيز): نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زيد للتراث والتاريخ، د.م، د.ت، ص١٤. لقد اهتم وهب بن منبه ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م) بتدوينها في كتابه: (التيجان في ملوك حمير) تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، الناشر مركز الأبحاث والدراسات اليمنية، ط١، ١٩٧٩م، ص٣٠ وما تلاها.

[4]- الدوري (عبد العزيز): الأعمال الكاملة(نشأة علم التاريخ عند العرب) مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، لبنان، ٢٠٠٥ ص١٦،١٤.

[5]- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب حلي المعروف بالحاج خليفة مؤرخ بحاثة تركي الأصل مستعرب مولده ووفاته في القسطنطينية، تولى أعمالاً كتابية في الجيش العثماني ذهب مع أبيه إلى بغداد حج وزار خزائن الكتب، شهد حرب كريت انقطع في سنواته الأخيرة إلى التدريس من كتبه (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدان، و(تقويم التواريخ) وغيرها من الكتب. الزركلي: ج٧، ص٢٣٦-٢٣٧.

التواريخ)،[1] وبظهور الإسلام بدأت مرحلة جديدة ارتبطت خلالها الرواية التاريخية بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً بالنظرة العالمية المتمثلة في توالي النبوءات وكان لها أثرها العميق،[2] فقد كانت شخصية النبي محمد (ص) محور اهتمام المؤرخين،وحافزهم على الكتابةالتاريخية؛ فانطلقت من السيرة إلى تتبع أخبار غزواته وأصحابه،[3]كما مثلت رغبتهم في التَعرُّف على الأمم السابقة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم[4] بالإضافة إلى أخذ العِظة والعبرة منه.[5] هذه كانت من الأسباب التي أدت إلى ظهور التاريخ، وبداية التدوين التاريخي الذي تمركز في اتجاهين:

١-الاتجاه الإسلامي: الذي ظهر عند أهل الحديث مثّلته مدرسة المدينة التي رفع شعارها أجيال من المؤرخين أمثال (أبان بن عثمان ت١٠٥هـ/٧٢٥م)[6] و(الزهري ت ١٢٤هـ/ ٧٤١م)[7] و(ابن

---

[1]- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حققه:(محمد بن عبد القادر)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١، ص٢٠٤.

[2]- سالم (عبد العزيز): التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢١٦.

[3]- عثمان (فتحي): المدخل إلى التاريخ الإسلامي، دار النفائس، ط١، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٨٨٨م، ص١٢١.

[4]- سيزكين (فؤاد): تاريخ التراث العربي، ترجمة:(محمود فهمي) حجازي، الرياض، ١٩٩١م، ج٢، ص٥-١٠.

[5]- النديم(محمد بن اسحاق ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م): الفهرست، تحقيق: الطويل(يوسف علي)، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠١م ج١، ص٨٩٠؛ خضر (عبد العليم عبد الرحمن):المسلمون وكتابة التاريخ، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط١،فيرجينيا، ١٩٩٣م ص٩٥.

[6]- أبان بن عثمان: أبان بن عثمان بن عفان الأموي روى عن أبيه،شهد الجمل مع عائشة (رضي الله عنها) وكان الثاني من المنهزمين، ولي المدينة لعبد الملك، من فصحاء الإسلام وممن عرفوا بالزهد، أصابه الفالج قبل موته وتوفي سنة ١٠٥هـ/ ٧٣٢م، ابن العماد(عبد الحي بن أحمد ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج١، ص١٣١.

[7]- الزهري: ولد محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب سنة ٥٨هـ/٦٧٧م، كان عالماً بنسب قومه من أهل العرب، رأى عشرة من الصحابة رحل إلى دمشق ولازم عبد الملك بن مروان والأسرة الأموية اشتهر بعلم القرآن والسنة والنسب توفي ١٢٤هـ/٧٤١م؛ ابن خلكان (أحمد بن محمد ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) : وفيات الأعيان وأنباء الزمان تحقيق:عباس(إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٤، ص١٧٧.

و(ابن إسحاق ت ١٥١هـ/ ٧٦٨م)[١] و(الواقدي ت ٢٠٧هـ ٨٢٢م)[٢] و(ابن سعد ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)[٣].

٢-أما الاتجاه الثاني فهو الاتجاه القبلي اتجاه الأيام مثلته مدرستا البصرة والكوفة، وقد حصل تأثير متبادل بين المدرستين، ثم ظهر تفوق الاتجاه الإسلامي[٤].

وأبرز ممثلو المدرسة الثانية(أبو مخنف ت١٥٧هـ/ ٧٧٣م)،[٥] و(سيف بن عمر ت١٨٠هـ/ ٧٩٦م)،[٦]وغيرهم ولتبلغ أوج ذروتها في أعمال (المدائني ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)[٧] .

وقد ساد هذان الاتجاهان في القرنين الأول والثاني للهجرة/ السابع والثامن للميلاد، ليصبحا في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد منهجين واضحي الأهداف والمعالم للكتابة التاريخية.

أما فيما يخص مصر فإن مولد المدرسة التاريخية فيها ارتبط بالفتح الذي مثّل نقطة تحوّل جوهرية في تاريخ البلاد كلها؛ فقد عرفت مصر أصول الكتابة، وسبقت غيرها بالتدوين وتسجيل التأريخ البشري، وقد كان لجامعاتها القديمة التأثير المباشر وغير المباشر لتكوين عناصر هذه المدرسة. [٨]

---

[١]- ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار،من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، له (السيرة النبوية)، هذبها ابن هشام، و(كتاب الخلفاء) و(كتاب المبدأ)، زار الإسكندرية سنة ١١٩هـ/٧٢٧م، سكن بغداد ومات فيها. الزركلي :ج٦، ص٢٨.

[٢]- الواقدي: ولد محمد بن عمر بن واقد سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م، مولى بني هاشم وقيل بني سهم بن أسلم، كان عالماً له تصانيف في المغازي وكتاب في الردة تولى القضاء بشرقي بغداد توفي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م. ابن خلكان: ج٤، ص٣٤٨.

[٣]- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع مولى بني هاشم، سكن بغداد وصنف الطبقات الكبرى، كان كاتباً للواقدي عرف بكثرة العلم والحديث وعلمه بالفقه توفي في بغداد سنة ٢٣٠هـ-٨٤١م . ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: عطا(محمد عبد القادر)، دار الكتب العربية، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١١، ص١٦١.

[٤]- عثمان: ص١٢١.

[٥]- أبو مخنف: لوط بن يحيى ابن سعد بن مخنف بن سليم الأزدي، كان من أصحاب علي عليه السلام، روى عن النبي (ص) وصحبه توفي سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٣م وله من الكتب الردة، فتوح الشام، وكتب أخرى كثيرة. النديم:ج١، ص١٦٢.

[٦]- سيف بن عمر: أحد أصحاب السير والأحداث له من الكتب كتاب الفتوح الكبير، الردة، كتاب الجمل وغيرها من الكتب، كوفي الأصل والنشأة إلا أنه توفي في بغداد سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م. النديم: ج١، ص١٦٥.

[٧]- المدائني: ولد علي بن محمد بن عبد الله مولى سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في المدائن سنة ت ١٣٥هـ/ ٧٥٢م ثم انتقل عنها إلى بغداد فلم يزل بها حتى وفاته سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م، مؤلفاته كثيرة منها الخلفاء والمغازي. الحموي: ج٥، ص٢٥٣.

[٨]- دوحان (عبد الكريم إبراهيم) : نشأة المدرسة التاريخية في الشام والحجاز والعراق ومصر، مرتضى للكتاب العراقي، ط١، بغداد ٢٠٠٩م، ص ٧٠.

بدأت حركة التأليف التاريخي في مصر (بابن عبد الحكم)،[1] وكتابه:(فتوح مصر والأندلس) لتنمو وتنشط فيما بعد نشاطاً عجيباً لم يشهده بلد من البلاد الإسلامية، ترك خلالها المصريون تراثاً ضخماً في معظم فنون التأليف التاريخي، إما تكملةً، أو تذييلاً، أو إضافة، أو ابتكاراً،لتصل هذه الحركة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي إلى الذروة من حيث وفرة الإنتاج وتنوعه وعدد المؤرخين الذين ظهروا في تلك الحقبة، [2] ومن هؤلاء (تقي الدين المقريزي ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م) صاحب كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،(ابن تعزى بردي ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧١ م) [3]وكتابه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (ابن إياس ت ٩٣٠ ٩٣٠ هـ /١٥٢٤ م) وكتابه بدائع الزهور من وقائع الدهور ، (ابن زنبل الرمال ت ٦٩٠ هـ / ١٥٥٢م) وكتابه تاريخ السلطان بايزيد حنان مع قانصوه الغوري سلطان مصر، و(الجبرتي ت١٢٤٠هـ/١٨٢٥م) وكتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار.... الخ.

ليشهد القرن السادس عشر فترة انقطاع استمرت ثلاث سنوات خضعت خلالها مصر للحكم العثماني، تدهورت خلالها الحركة العلمية؛ فاتجهت نحو الجمود والتخلف والركود بدلاً من الابداع والتجديد، إلا أن الوضع سرعان ما تبدل، وتغّير، وخصوصاً في نهاية القرن الثامن عشر، وما شهده من أحداث كان لها الفضل في رفع غطاء العزلة، وفتح الأبواب والنوافذ على العالم الخارجي؛ أهم تلك الأحداث الحملة الفرنسية ونزولها أرض مصر١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م حاملةً معها نظماً وأفكاراً جديدةً نبهت المصريين إلى العالم الخارجي، وشكلت لهم دافعاً لتغيير أسلوب حياتهم؛ "فلم يعودوا يقتنعون بحالتهم التي كانوا عليها، ولا بالدور الذي ظلوا قروناً يلعبونه على شرح حوادث مصر – دور المتفرج– بل تجاوزوه فعلاً إلى الاشتراك في مجرى الأحداث"،[4]ولم تقف الأمور عند هذا الحد، بل كان للحدث الآخروهو تولّي محمد علي باشا عرشَ مصَرَ كان له الأثر الهام في اتساع مدارك التقدم والاتصال بالغرب؛ فسياسته التي تمثلت في إيفاد البعوث

---

[1]- ابن عبد الحكم (...–٢٥٧هـ/...–٨٧١م): هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، أبو القاسم، مؤرخ من أهل العلم بالحديث، مصري مولده ووفاته فيها، من كتبه(فتوح مصر والمغرب والأندلس). الزركلي: ج٣، ص٣٥٣.

[2]- الشيال (جمال الدين) : التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١،بورسعيد، ٢٠٠٠،ص٥ ٢٠٠٠،ص٥

[3]- ابن تغري بردي (٨١٣ – ٨٧٤ هـ / ١٤١٠ – ١٤٧٠ م) يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبوالمحاسن جمال الدين، مؤرخ من أهل القاهرة مولده ووفاته بها كان والده من مماليك برقوق، أولع بالتاريخ وبرع في فنون الفروسية من مؤلفاته (النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة) وغيرها كتب كثيرة ، الزركلي: ج٨، ص٢٢٢– ٢٢٣ .

[4]-عبد الكريم :ج١، ص٢٩٣ .

العلمية إلى الدول الأوروبية كان لها أثرها البارز في نشر الحركة والحياة محلّ الجمود والتخلف بالإضافة إلى ما شهدته البلاد في عهد خلفاء محمد علي والحركات الوطنية في أواخر عهد إسماعيل، هذه الأمور كان لها أثرها البارزُ في منهج وأسلوب الكتابة التاريخية في مصر[١].

ثانياً:أسباب ضعف الحياة الفكرية في مصر:

إنَّ تاريخَ مصرَ في العصر العثماني من الفترات التاريخية التي عانت إهمالاً وتجاهلاً كبيرين من جانب المؤرخين والباحثين لمدة طويلة؛[٢] ففي الوقت الذي اقتصرت الغالبية العظمى من الدراسات في تاريخ مصر على تاريخ مصر منذ مجيء الحملة الفرنسية١٢١٣هـ/ ١٧٩٨، أو عهد محمد علي الحقبة تعرضت الفترة الممتدة من عام٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧ – ١٧٩٨م للإهمال،[٣] غير أنّ بعض المؤرخين سوغوا هذا الإهمال بالتطورات السريعة التي شهدتها مصر منذ مطلع القرن الثالث الهجري/ التاسع عشر بعد اتصالها بالحضارة الغربية والاستعمار الغربي،هذا الأمر جعل مجمل الدراسات تتركز على القرن الثالث الهجري/ التاسع عشر الميلادي[٤].

اتسمت الحياة الفكرية في مصر العثمانية بالجهل والتخلف والركود فقد ظل التعليم حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجريِّ/ الثامن عشر الميلاديّ تعليماً دينياً حراً ممثلاً في الكتاتيب والمساجد التي ظهرت منذ الفتح العربي لمصر ٢٠هـ/٦٤٠م، وذلك يعود إلى مجموعة من العوامل والأسباب ساهمت في تدهور الحياة العلمية منها:

١- انتشار التصوف وزحفه إلى الحياة العقلية والاجتماعية، والتحول عن ذكر الله والعبادة إلى استخدام السحرمع إضفاء صبغة دينية عليه، والمصادر المعاصرة حفظت تراجمَ كثيرةً لهؤلاء

---

(١)- الشيال:التاريخ والمؤرخون، ص٢٠١؛ طربين (أحمد): التأريخ والمؤرخون العرب في العصر الحديث(دراسة في حركة التأليف التاريخي في أقطار الوطن العربي)، د.م، د.ت، ص٥٩.

(٢)- عبد العزيز (حمزة): تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، دار الأوقاف العربية، ط١، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٥.

(٣)- عبد العزيز (عمر): دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (١٥١٧-١٩٥٢) ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٢.

٤- أنيس (محمد)، مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٧.

نذكر منهم (الجبرتي) وكتابه (عجائب الآثار) الذي حفل بالحديث عن عدد من هذه الشخصيات منها مَنْ أدعى النبوة، والبعض الآخر ادعى قدرته على تحريك الجمادات، ومخاطبته الجن،وأمور أخرى كثيرة[١].

٢- التلف الذي لحق الكثيرَ من المكتبات نتيجة النزاع والصراع بين الفرق العثمانية، والبيوتات المملوكية، وتسرب العديد من الكتب إلى خارج البلاد، وتحدث عنها (الجيرتي) بقوله: (ثم ذهبتْ بقايا البقايا في الفتن والحروب وأخذلفرنسيس ما وجدوا إلى بلادهم)[٢].

٣-العزلة التي فُرضت على مصرَ بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، فتحولت تجارة الهند والشرق عن مصر، ولاسيما تجارة التوابل[٣].

٤-عدم تعرض مصر في تلك القرون الثلاثة لأية أحداث خطيرة كغزو خارجي، أو نكبة عامة من شأنها أن تثير بين الناس اهتماماً عاماً، وتحفزهم على التفكير والعمل المشترك لمواجهة الحدث الخطير[٤].

٥- طبيعة الحكم العثماني اللامركزية وسلبيته؛ فالعثمانيون لم يكن لهم أي رصيد حضاري يُنّقحون به الحياة العلمية في مصر، وكان هذا من أهم الأسباب لإبقاء الحياة العلمية والمؤسسات التعليمية على ما هي عليه[٥].

٦-التركيز على العلوم النقلية من فقه وحديث في الوقت الذي أُهملت فيه العلوم العقلية وخاصة التاريخ،وهنا نذكر حادثة الوالي التركي (أحمد باشا)الذي جاء إلى مصرَ عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، والذي كان يميل إلى دراسة العلوم الرياضية مع أحدِ شيوخ الأزهر، والحديث الذي دار

---

[١]- الجبرتي : ج١، ص ٢٥٢/ ج٢، ص٢٦،٢٧؛ عوف (أحمد): أحوال مصر من عصر لعصر (من الفراعنة إلى اليوم)، العربي للتوزيع والنشر، القاهرة، د.ت، ص٩٣؛ عبد الرحيم: ص٢٣٤-٢٣٥.

[٢]-الجبرتي : ج١، ص١١؛ أنيس : ص١١.

[٣]- عوف:ص٩٠.

[٤]- شريف (محمد بديع) وآخرون: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ت، ص٥٣٠.

[٥]- أنيس : ص١٤.

بينهما فيما يتعلق بالعلوم العقلية، فكان رد شيخِ الأزهرِ بعدم معرفتهم شيئاً عن هذه العلوم .... الخ [١].

٧- النظرة الهابطة لعلم التاريخ، وعدم الاهتمام بدراسته، واعتباره من شغل البطالين، قال الجبرتي:" ولم تزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنساني تعنى بتدوينه سلفاً عن سلف، وخلفاً من بعد خلف، إلى أن نبذه أهل عصرنا، وأغفلوه، وتركوه، وأهملوه، وعدوه من شغل البطالين وقالوا:(أساطير الأولين)، وَلَعَمْرِي إنهم لمعذورون، وبالأهم مشتغلون، ولا يرضون لأقلامهم المتعبة في مثل هذه المنقبة...الخ"[٢].

هذه الأسباب مجتمعة أثرت سلباً على الحياة الفكرية رغم ذلك فقد ظهر بعض العلماء وألفت بعض الكتب وجمعت المخطوطات النادرة وسنتطرق في الفصل الثالث لذكر أهم مؤرخي تلك الحقبة.

---

[١]- الجبرتي:ج١، ص٣١٥-٣١٦-٣١٧.

[٢]- الجبرتي : ج١، ص٤؛ أنيس: ص١٢.

ثالثاً: مدارس كتابة التاريخ في مصر(٩٢٣-١٢١٣هـ/١٥١٧-١٧٩٨م):

توزعت كتابة التاريخ المصري في العصر العثماني إلى ثلاث مدارس هي:

١. مدرسة الأجناد (العساكر):

هذه المدرسة تبعد كثيراً عن مدرسة العلماء (المؤرخين التقليديين) في فهمها للتاريخ، وطريقة كتابته؛[١]فهي تميل إلى الأسلوب العامي، والنحو الضعيف، والخطب، والصيغ ... الخ، كما أنها تفتقر إلى أية خطة في البحث والكتابة، وقد كتبت من قبل رجال ذوي ثقافة محدودة أو معدومة،وأغلبهم من الجنود بهدف التسلية والترويح،[٢]كما أنهم قدّموا مادة تاريخية فريدة في أهميتها، فقد ازدهرت هذه المدرسة في مصر بشكل متميز في القرن الثامن عشرَ، وتمكنت من احتكار كتابة التاريخ، وتحملت العبء الأكبر في كتابة تاريخ مصر، وقد اتبع مؤرخو هذه المدرسة في مؤلفاتهم اتجاهاتٍ عدةً، كذكر أعيان مصر، وشخصياتها المهمة، ومهام باشوات مصر، والفرمانات التي أرسلت من السلطان العثماني، والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي،والتركيبة الطائفية للمجتمع المصري.[٣]

ويعود السبب الرئيس لشهرة هذه المدرسة في مصر إلى الحوادث الكثيرة في تلك الحقبة التي تمثلت في صراع البكوات المماليك على السلطة قبل الحملة الفرنسية وبعدها[٤].

كما أن أهم ميزات هذه المدرسة أن دوافع الأشخاص وأعمالهم كانت واضحة ومحددة[٥].

ومن أهم مؤرخي هذه المدرسة (ابن زنبل الرمال ت ٩٦٠هـ/١٥٥٢م) و كتابه (تاريخ السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغوري)، و(يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل ت١١٣١هـ/١٧١٩م) و كتاب (تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب)، و(أحمد الدمرداش كتخذا عزبان

---

[١]- أنيس : ص١٨.

[٢]- جونيور (كرايس): كتابة التاريخ في مصر في القرن التاسع عشر(دراسة عن التحول الوطني)، ترجمة: بكر(عبد الوهاب)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٥٣.

[٣]- العزباوي : ص١١٢.

[٤]- جونيور : ص٥٣.

[٥]- حاطوم : ص٥٥؛ طربين: ص١٦.

ت١١٦٩هـ/١٧٥٦م)[1] صاحب (كتاب الدرة المصانة في أخبار الكنانة)، و(مصطفى إبراهيم عزبان ت١١٥٠هـ/١٧٣٧م)[2] وكتابه(تاريخ وقائع مصر والقاهرة من سنة١١٠٠-١١٥٠هـ/١٦٨٨-١٧٣٧م).

٢-مدرسة المؤرخين التقليديين:

وقد ضمت هذه المدرسة مجموعة من المؤرخين من العلماء الذين ظلوا سواء أكان ذلك من ناحية فهمهم للتاريخ أو طريقة كتابته متأثرين بمدرسة التاريخ الإسلامي؛[3]فمؤلفو هذه التواريخ عموماً احتفظوا ببعض التقاليد التي ورثها العصر العثماني من العصور السابقة لحكمه كالعصر المملوكي في التأليف التاريخي[4] .

أما أسلوب المؤرخين في هذه المدرسة فقد تمّيز بكونه أسلوباً رخيصاً متدنياً غيرَ نَحْوي لكنّه مكتوب بواسطة رجال عندهم بعض الطموح نحو التعليم الرسمي، وأغلبهم في الحقيقة من العلماء، ويشار إلى هذا النوع من التاريخ عادة (بحوليات السلاطين والباشوات)،[5] وهؤلاء الكتاب الكتاب كُثر إلا أنهم لم يرقوا إلى مرتبة من سبقهم من المؤرخين التقليديين السابقين وخاصة في القرن الخامس عشر[6].

وقد اختلفت هذه المدرسة مع مدرسة الأجناد في ناحيتين:

١- في ناحية الاهتمامات؛ ففي حين اهتمت جماعة الأجناد في كتاباتها بإبراز نواحي الصراع والتنافس بين الفرق العسكرية العثمانية كتبت جماعة العلماء-المؤرخين التقليدين- تاريخاً عاماً لمصر.

---

[1]- سيرد البحث عن هذه الشخصات في الفصل الثالث ص٧٧-٨٢-٨٨.

[2]-سيتم دراسة هذه الشخصيات ص٩١.

[3]- أنيس : ص١٨.

[4]- طربين : ص٣٥.

[5]- جونيور: ص٥٢.

[6]- أحمد : ص١٣-١٤.

٢- من ناحية اللغة؛ ففي حين أن اللغة التي كتب بها الأجناد هي أقرب إلى العامية كتبَ العلماء باللغة العربية الفصحى، وإن لم يمنعهم هذا من الوقوع في بعض الأخطاء النحْوية والإملائية،واستعمال بعض الكلمات العامية والتركية[١].

لقد افتتح ذلك العصر (بابن إياس ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) وكتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور)و (الإسحاقي ت١٠٦٠ه/١٦٥٠م) كتاب (أخبار الأول بمن تصرف في مصر من أرباب الدول)، و (ابن أبي السرور البكري الصدّيقي ت١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) صاحب كتاب (المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية) لتخُتَم هذه المدرسة بمؤرخ كبير هو (الجبرتي ت١٢٤٠ه/١٨٢٥م) صاحب كتاب(عجائب الآثارفي التراجم والأخبار)[٢].

٣-مدرسة السير والتراجم:

لقد احتلت كتب السيرة والتراجم مكاناً مرموقاً تبوأته منذ القدم؛ فهي أقرب كتب التاريخ إلى القارئ نفسه، وأكثرها إثارة من كل الكتابات التأريخية[٣].

أما فيما يخص تلك المدرسة في مصر فهي لم تكن بجديدة على التاريخ العثماني، ولكنها نشطت في ذلك العصر بشكل واضح، وتلك المدرسة لم تتناول علماء المغرب ومؤلفاتهم، في حين أولت المشرق العربي اهتماماً خاصاً، علماً أنَّ مدرسة التراجم الشامية، وخاصة مدرسة دمشق تفوقت في هذا المجال؛ فقد اتخذت طابعاً قومياً جامعاً أشبه بطابع الوحدة الثقافية العربية،في حين أنها اتخذت طابعاً محلياً في الأقطار العربية الأخرى؛[٤]،فـ(المرادي مؤرخ الشام)[٥] هو من شجع الزبيدي والجبرتي على كتابة التراجم[٦].

---

[١]- العزياوي: ص١٢٨-١٢٩.

[٢]- سيرد دراسة عن هذه الشخصيات في الفصلين الثالث والرابع ص٩٢-١١٨.

[٣]- النجار (حسين فوزي): التاريخ والسير، دار الثقافة والإرشاد القومي، ط١، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٤.

[٤]- جمعة (أحمد راضي): كتاب التراجم، بغداد،١٩٥٩م، ص٤٤.

[٥]- محمد خليل المرادي: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد بن علي المرادي الحسيني الحنفي البخاري الأصل دمشقي المولد ولد سنة١١٧٣هـ/١٧٥٩م، وتوفي ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م أهم مؤلفاته(سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) وغيرها من المؤلفات. الزركلي:ج٦، ص١١٨.

[٦]- العزياوي: ص ١٣٠.

ومن هذه السير ما رتُّب على طبقات للشعراء، والتابعين، والمحدثين، ومنها ما تصدى للأعيان. أما بالنسبة إلى كتب التراجم فقد اقتصرت على سير الأعلام في قرن معين، وقد روعي في أكثرها ترتيب التراجم على حروف المعجم[١].

أبـرزمن يمثـل هـذه المدرسـة فـي مصـر (علي بـن محمد الشـاذلي الفـرا ت١١٩٥هـ/١٧٨١م)[٢]وكتابه(ذكر ماوقع في مصر المحروسة)، و(الجبرتي١٢٤٠هـ/١٨٢٥م) صاحب كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار[٣].

بعد الحديث عن أهم مدارس التأريخ في الحقبة العثمانية سنتطرق لذكر أهم المظاهر والعوامل التي أفرزتها اليقظة المصرية، ودور تلك المظاهر في تطور الحركة التأريخية المصرية.

رابعاً: مظاهر النهضة الثقافية في مصر في القرن التاسع عشر ودورها في تطور حركة التأريخ:

لقد تمثلت النهضة الثقافية في مصر في عدة مجالات نذكر منها تلك المظاهر التي كان لها تأثير على حركة التأليف التاريخي.

١. البعثات العلمية:

بعد جلاء الفرنسيين عن مصر تفتحت الآفاق لنشوء مصر الفتية من خلال نهضة شاملة لعب فيها والي مصر محمد علي دوراً بارزاً،[٤]والذي شعر بأن المُلْك لا يشّيد إلا على أسس علمية متينة، والعلم في بلاد الشرق لا يُعتمد عليه في دعم الممالك، وإنما يجب الاعتماد على المدينّة الغربية، التي اعترفت لها الأمم بالغلبة والسيطرة، ومن هنا بدأ محمد علي بتنفيذ ما جال في

---

[١]- طربين : ص١٥-١٦.

[٢]- علي الشاذلي: هو علي بن محمد الحباك الشافعي الشاذلي الفرا،تفقه على يدالشيخ عيسى البراوي، أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد كشك، عين شيخاً على المريدين بعد وفاة شيخه،كان حسن السيرة، لطيف المعشر،طارحاً للنكات متواضعاً، توفي ٢٣شعبان ١١٩٥هـ/١٤أغسطس١٧٨١م، اسم مؤلفه (ذكر ماوقع في عسكر المحروسة ١١٢٣هـ/١٧١١م).الجبرتي: ج٢، ص١٠١.

[٣]- سيرد دراسة هاتين الشخصيتين في الفصل الرابع ص١١٨.

[٤]- شريف: ص٢٩.

خاطره، فما كان منه إلا أن بدأ بإنشاء المدارس على نمط المدارس في أوربا، وعمل على جلب الأساتذة من هناك[١].

إلا أن نظام التعليم الحديث الذي وضعه محمد علي سرعان ما تعرض لمجموعة من المشاكل،فكان لا بد من البحث عن حلول. والسؤال المطروح ما هي أهم مشاكل التعليم الحديث ؟ وما الحلول التي وضعت؟ وإلى أي البلاد أرسلت البعثات العلمية؟. لا بد من الإجابة عن هذه الأسئلة لتكوين فكرة عن البعثات وأثرها في النهضة الثقافية لمصر.

لقد تعرض نظام التعليم المدني الحديث الذي وضعه محمد علي في بدايته لمشكلتين هما:

١- قلة الأساتذة الأكفاء[٢].فمحمد علي لم يكن يثق بالأساتذة الأجانب فقد رأى أنهم يعملون لمصالحهم الذاتية، قبل أن يعملوا لمصلحة البلاد[٣] بالإضافة إلى قلّة ولائهم الوطني وتكاليف أجورهم المرتفعة.

٢- عجز اللغة العربية واللغات الشرقية عموماً عن التعبير عن مضمون العلوم العصرية، وعدم وجود الكلمات الدالة على ذلك[٤] .

هاتان المشكلتان ربما تكونان الدافع وراء فكرة إرسال بعوث علمية إلى الغرب. بهدف إعداد الرجال لدراسة النظم والعلوم بالإضافة إلى تعلم لغة ذلك البلد، وليصبحوا عند عودتهم إلى مصر قادتها في السير فيها إلى طريق الحضارة الجديدة، فيحلّون محل الأجانب في الأعمال التي تخصصوا بها،[٥]وليكونوا أداة صالحة لنقل علوم الغرب وفنونه وترجمتها إلى اللغة العربية[٦].

---

[١]- طوسون (عمر): البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، الإسكندرية، مطبعة صلاح الدين، د.ط ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، ص٦,٧.

[٢]- السهم (سامي سليمان): التعليم والتغير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر،الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢٩٠.

[٣]- عبد الكريم: ج١، ص٣١-٣٢.

[٤]-السهم: ص٢٩٠.

[٥]- عبد الكريم: ج١، ص٣٤.

[٦]- الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ص٢٣.

أما بالنسبة إلى أول البلاد التي أرسلت إليها تلك البعوث. فهي إيطاليا فقد كان التفوق في البدء للإيطاليين، فلغتهم الإيطالية كانت أولى اللغات الأجنبية التي دُرّست بالمدارس المصرية كما أن محمد علي استقدم منها المعلمين للمدارس والضباط والمدربين للجيش، كما انه اشترى آلات الطباعة والكتب التي عهد بترجمتها إلى التركية أو العربية من هناك،[1] إلاّأنّ فرنسا نجحت تدريجياً في الحلول محل إيطالي، فتحولت مصر من النقل عن الثقافة الإيطالية إلى النقل عن الثقافة الفرنسية.[2] أرسل محمد العديد من البعثات إلى بلاد مختلفة، وهذا الجدول يوضح تاريخ إرسال هذه البعثات، والجهة التي أرسلت إليها، وأعداد تلاميذها ونفقاتها ووفقاً لما وصفه (الأمير عمر طوسون)[3].

تاريخ الإرسال	الجهة المرسل إليها	عدد المرسلين	المترجم لهم
١٨١٣-١٨٢٥	إيطاليا وفرنسا وانكلترا	٢٨	٢
١٨٢٦-١٨٣٣	فرنسا والنمسا وانكلترا	١٣٨	١٣٠
١٨٣٣-١٨٤٣	انجلترا وفرنسا	٤٠	٦
١٨٤٤	فرنسا	٨٠	٨٠
١٨٤٥	النمسا	٢	٢
١٨٤٧	فرنسا	٥	–
١٨٤٧	انجلترا	٢٥	٢٥
١٨٤٨	انجلترا	٢١	–
الجملة	–	٣٣٩	٢٤٥

[1]- عبد الكريم:ج١، ص٩٠.

[2]- الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي، ص١٤.

[3]- عمر طوسون(١٢٨٩-١٣٦٣هـ/١٨٧٢-١٩٤٤م) عمر بن محمد بن علي، مؤرخ وباحث من الأمراء السابقين، مولده ووفاته بالإسكندرية،تعلم في سويسرة، وأتقن العربية والتركية والفرنسية والإنكليزية، عكف على دراسة تاريخ مصر الحديث وآثارها، العديد من الكتب منها (البعثات العلمية في عهد محمد علي وسعيد وعباس). الزركلي: ج٥، ص٤٨.

والناتج النهائي لنفقات هذه البعثات فقد وصل إلى ٢٧٣٣٦٠ جنيه [١].

لكن سرعان ما خبا ضياء هذه البعثات على يد(عباس)،[٢]فقد قيل: إنه الذي استدعى الطلبة المبعوثين من بعثات خارجية،[٣]فور توليه السلطة مباشرة[٤].إلا أن (الأمير عمر طوسون) ذكر أنه أرسل أربع بعثات الأولى إلى النمسا في ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م، و الثانية إلى انجلترا في ٢٠ يناير سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م، والبعثة الثالثة في ٨ أكتوبر ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م، والرابعة إلى إيطاليا أرسلت في أخر شهر أكتوبر سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م.[٥]

أما فيما يخص عهد(سعيد) فهناك اختلاف في الآراء حول إرساله تلك البعوث أم لا، وبالعودة إلى كتاب (تاريخ التعليم في عصر محمد علي) نجد أن عدد المبعوثين الذين أرسلوا إلى أوروبا سواء في حكم (عباس) أو حكم(سعيد) لم يكن قليلاً رغم قصر المدة التي حكم فيها كل من هذين الواليين لمصر،[٦]في حين اختلف الباحثون في تقدير عدد الطلاب الذين أرسلوا إلى أوروبا في حكم إسماعيل ما بين سنة(١٢٨٠-١٢٩٧هـ/ ١٨٦٣-١٨٧٩م)، فقد بلغ عدد الطلبة وفقاً لما قاله إلياس الأيوبي[٧] (نيفاً ومائة واثنين وسبعين وزعّوا كالآتي مائة وعشرين أرسلوا إلى مدرسة الطب والمدرسة الحربية بباريس وخمسين إلى مدرسة طورنيو العسكرية والملكية، وثلاثة فقط إلى مدرسة لندن الهندسية ،وبلغت النفقات عليهم في تلك السنوات الستة عشرة ١٦٣٠٥٧ جنيه)[٨]

---

[١]- طوسون: ص٤٠٨-٤١٤.

[٢]- عباس الأول:(١٢٢٨-١٢٧٠هـ/١٨١٣-١٨٥٤م) عباس باشا بن طوسون بن محمد علي، ثالث الولاة من أسرة محمد علي بمصر، ولد بجدة ونشأ بمصر تولى الحكم بعد وفاة عمه إبراهيم باشا في أواخر عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م، كان شديد الكره للأوروبيين أنشئ المدرسة الحربية في العباسية بالقاهرة، ومهد الطريق بين السويس والقاهرة وغيرها من الأعمال قتل في قصره في بنها على يد مملوكان أرسلتهما عمته نازلي بنت محمد لخلاف بينهما على الميراث. الزركلي: ج٣، ص٢٦١.

[٣]- وفقاً لما ذكره الأمير عمر طوسون باعتماده على دفاتر دار المحفوظات وغيرها يقول أن عباس أمر بإرجاع بعضهم وأبقى البعض الآخر وظل ينفق على هؤلاء الباقين الذين أتموا تعليمهم حتى آخر أيام حكمه. عمر: ص٤١٧.

[٤]- طه (جاد)، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ص٦٤.

[٥]- طوسون: ص٤١٨-٤١٩، وما يليها من صفحات.

[٦]- عبد الكريم: ج٢، ص٦٦٥.

[٧]- إلياس الأيوبي (١٨٧٤-١٩٢٧) أديب ومؤرخ عربي فلسطيني ولد في مكة وارتحل إلى مصر من آثاره (تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل) و(تاريخ مصر الإسلامية) و(قطف الأزهار في أهم حوادث الأمصار). البلعلبكي: ص٨٥.

[٨]- الأيوبي: مج١، ص٢٢٨.

وكان للعائدين من هذه البعثات التي أرسلها إسماعيل إلى الخارج أثرهم في المجتمع، فقد تأثر الذين عادوا بالبيئة الأوربية أكثر من المبعوثين الذين أرسلهم محمد علي لأنهم كانوا شباباً نحو العشرين من عمرهم بينما كانت بعثات محمد علي أكبر سناً بكثير من هؤلاء، فلم يتأثروا كهؤلاء الشباب بالعادات الأوربية وحاولوا تقليد الأجانب دون مراعاة لظروف البيئة التي نشأوا وترعرعوا فيها.[١]

٢-الترجمة :

هذه الكلمة فارسية الأصل وكذلك الترجمان، وقد تكلم بها العرب بعد ذلك، وتعريبها: (ترجمت له الأمر أوضحته له)[٢].

لم يكن للترجمة أيٌّ دور يذكر في مصرَ قبل نزول الحملة الفرنسية؛ فقد كانت مصرُ خلال العصر التركي محرومة من الاتصال بالعالم الخارجي، ولم تكن اللغة التركية أكثرَ من لغة رسمية تستعمل في الدواوين؛ فهي لم تكن تمثل بالنسبة إلى مصرَ أيَّة حركة أو نهضة ثقافية،كما أنَّ تراثهم الأدبي، وآثارهم المختلفة لم يلفت أنظارَ الكتاب والمفكرين المصريين إلا نادراً، وعند نزول الحملة أرض مصرَ اتُخذت الترجمةُ أداةً للتفاهم بين الفاتحين والمصريين،[٣]وابتداءً من هذا هذا الوقت ظهر أول احتكاك مباشر بين نمطين حضاريين أحدهما متحرك ومتطور، والآخر يعيش في عزلة وركود[٤].ففي أثناء وجود الحملة الفرنسية ظهر نوعان من الترجمة الأولى ترجمة ترجمة رسمية والثانية علمية.

بالنسبة إلى الترجمة الرسمية : يعود السبب الرئيس لظهور هذا النوع من الترجمة هو حاجة الحملة لوجود مترجمين دائمين ينقلون عنها الأوام، ويترجمون المنشورات، ويسجلون

---

[١]- البطريق (عبد الحميد): عصر محمد علي ونهضة مصر في القرن التاسع عشر (١٨٠٥-١٨٨٣)، االهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٤٩-١٥٠.

[٢]- الصولي : ص١٨٦.

[٣]- عنان (عبد الله): مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٧٦

[٤]- الشلق: ص٣٦.

محاضر الدواوين ويكونون وسطاءَ في نقل الحديث بين الحكام والمحكومين، وقد مثل هيئة المترجمين الرسميين نوعان من الجماعات:

١- جماعة أسرى البحارة المسلمين الذين كانوا تحت أيدي(فرسان القديس يوحنا)[١] بجزيرة مالطة، وقد اشترك هؤلاء مع المستشرقين من علماء الحملة في ترجمة المنشور الذي أعده نابليون بالفرنسية لشعب مصر.

٢- جماعة العارفين باللغة العربية من رجال الحملة الفرنسية، والمترجمون السوريون منهم (يوحنا عنجوري)[٢] و(جورج فيدال)[٣] و(أغسطين سكاكين)[٤].

فيما يخص الترجمة العلمية: فقد بدأ بها المستشرقون من علماء الحملة يساعدهم نفر من المترجمين السوريين، ولولا القلاقل السياسية التي انتهت بإخراج الحملة من مصر لتمكن هؤلاء العلماء من أداء هذا الواجب؛[٥] أي الترجمة .إلا أن نابليون أسس المجمع (العلمي المصري)[٦] لدراسة جميع نواحي العلوم المختلفة في الهندسة،والفلك، والمعادن، وطبقات الأرض وغيرها،ولو قُدّر للحملة أن يطول عمرها لنشطت حركة الترجمة التي تعرضت لنقطاع لتعاود الظهور مرة أخرى، ولكن هذه المرة كانت أكثر إنتاجاً، وأوفر نشاطاً في عهد الوالي محمد علي، وليبدأ عصر

---

(١)- فرسان القديس يوحنا: ظهروا عام ١٠٧٠ م كهيئة داعمة، سماهم العرب فرسان الاسبتارية، منحهم شارل الخامس جزيرة مالطة التي أصبحت مقرهم الرئيسي دافعوا عن هذه الجزيرة ضد الأتراك الذين ظلوا يهددونهم حتى معركة ليبانتو٩٧٩هـ/ ١٥٧١م، وقد واصل فرسان القديس أعمال الإحسان بالمستشفيات حتى استولى نابليون على مالطة١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م ولا تزال بقايا هذه الهيئة في أوروبة. نصار: مج٥، ص٢٣٨٦.

(٢)- يوحنا عنجوري: ويقال له أيضاً حنين عنجوري وبيت عنجوري معروف بمصر والشام لم نقف على ترجمة له كان ضعيفاً في اللغة الفرنسية ومتمكناً في اللغة الإيطالية فكان ينقل من هذه إلى العربية وأول كتاب طبي طبع في العربية من تأليف كلوب يك وترجمة يوحنا عنجوري وغيرها من الكتب التي ترجمها توفي في أوساط القرن التاسع عشر. زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٤، ص٥٣٤.

(٣)- جورج فيدال: ولا يعرف عنه كثيراً سوى أنه ترجم قانون الصحة تأليف الدكتور برنار أستاذ علم الصحة في مدرسة الطب وهو من أقدم كتبها طبع سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣١م. زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٤، ص٥٣٥.

(٤)- أغسطين سكاكين: لعله من بيت السكاكين المعروفين بمصر ولا نعرف إلى من ينتسب منهم لكننا نعلم أنه كان من جملة المترجمين في مدرسة الطب ونقل كتاباً اسمه العجالة الطبية فيما لا بد منه لحكماء الجهادية تأليف كلوت بك. زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٤، ص٥٣٥.

(٥)- الشيال (جمال الدين): تاريخ الترجمة في عهد الحملة الفرنسية، دار الفكر العربي، د.ط، د.م،١٩٥٠م، ص٦٤-٦٥.

(٦)- المجمع العلمي أنشأه نابليون بونابرت عام١٢١٣هـ/ ١٧٩٨ وسماه بالفرنسية(institudeegpte) عقد أولى جلساته في ٢٣أغسطس ١٧٩٨.سيرد دراسة هذا المجمع ص (هنري) وآخرون: الحملة الفرنسية في مصر (بونابرت والإسلام)، ترجمة: السباعي(بشير) السباعي، سينا للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٥م ، ص ٧٠١ .

الترجمة والتعريب،غير أن مشكلة خطيرة أعترضت محمد علي : أين الكتب التي تترجم ؟ وأي هذه الكتب أحق بالترجمة ؟ وأين في مصر العارفون باللغة ليقوموا بترجمة هذه الكتب وأخيراً أين أداة طبع هذه الكتب ونشرها ؟

لقد كانت مصر تخلوا من هذه الأدوات فالحملة الفرنسية أخذت معها كتبها، ولم يكن في مصر مدرسة تعنى بتدريس أية لغة أوروبية، ولم يكن بين المصريين من له معرفة بهذه اللغات الأجنبية، كما أن المطبعة – أداة الطبع والنشر – قد رحلت مع الفرنسيين عند خروجهم [١]
تلك الأمور شكلت حافزاً لمحمد علي دفعه لاتخاذ الإجراءات اللازمة لتنشيط الترجمة، وقد تم ذلك على مرحلتين :
المرحلة الأولى تمثلت في :
١. إرسال البعوث العلمية إلى المدن الإيطالية (ليفورن، ميلانو، فلورنسا، روما) لدراسة فن سبك الحروف والطباعة وأولى تلك البعثات كانت عام ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣م. [٢]
٢. تأسيس مطبعة بولاق ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢م.[٣]
٣–تأسيس مدرسة الألسن في عام ١٢٥١هـ/١٨٣٥م، عرفت في البدء باسم مدرسة الترجمة ثم غير اسمها فأصبح (مدرسة الألسن) وقد أنشئت بناءً على اقتراح قدمه رفاعة الطهطاوي لمحمد علي ببناء مدرسة ينتفع بها الوطن ويستغنى عن الدخيل فأجابه على ذلك، [٤]وكان منهج تلك المدرسة ينص على أن تدرس بها اللغات العربية والتركية والفرنسية، والحساب والجغرافية ثم أضيف إليها بعد ذلك دراسة التاريخ، وأرسلت المدرسة إلى أوروبا لشراء كتب فرنسية في الأدب والقصص،[٥]وكان لها عدة فروع أهمها قلم الترجمة الذي أنشئ في أوائل عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤١م.
بينما تمثلت المرحلة الثانية في إيجاد المترجمين للكتب الأجنبية وقد اعتمد محمد علي على مجموعة من المترجمين منهم:
١. الأجانب الوافدون إلى مصر، ولم يكن يميل كثيراً إلى استخدامهم وذلك لعدم معرفتهم بعادات البلاد وتقاليدها، بالإضافة إلى عدم شعورهم بالانتماء وجهلهم باللغة العربية، وكانوا على حسب

---

[١]– الشيال : تاريخ الترجمة في عهد الحملة الفرنسية، ص ٧٠

[٢]– طوسون: ص ١٠ .

[٣]– عد إلى ص ٦٢ من البحث

[٤]– مبارك : ج ١٣، ص ٥٤ .

[٥]– عبد الكريم: ج١، ص ٣٣٢ – ٣٣٣

قوله (من النصابين البارعين في الشعوذة)،[1]كما أنَّ بعضهم كان يتباطأ في الترجمة، وهذا ما يتنافى مع شغف محمد علي لإنجاز الترجمة على وجه السرعة فاضطره في إحدى المرات إلى أن يقسم كتاباً بحد السيف إلى ثلاثة أجزاء، ويوزعه على ثلاثة أشخاص لإنجاز ترجمته في ثلث المدة.[2]

٢. المترجمون السوريون المقيمون في مصر وقد ذُكِرتَ أسماؤهم أثناء دراسة الترجمة العلمية في عهد الحملة الفرنسية.[3]

٣. المترجمون من خريجي المدارس والبعثات وخير من يمثلهم (عثمان نور الدين)[4]

٤ . خريجو مدرسة الألسن : التي هدفت منذ إنشائها إلى تحقيق غرضين اثنين .

آ . إعداد مترجمين في مختلف الفنون والعلوم .

ب .إعداد مدرسين للغة الفرنسية في المدارس التجهيزية والخصوصية ، وقد ذكر (صالح مجدي)[5]في كتابه (حلية الزمن) أسماء النابهين الذين نبغوا من تلاميذ رفاعة في مدرسة الألسن، وعدد هؤلاء سبعة وستون، وهؤلاء هم أركان النهضة في عهد محمد علي ثم كانوا القائمين على إحيائها والإشراف عليها في عهد إسماعيل. [6]

٤ـ موظفو الحكومة : كانت معظم الكتب التي ترجموها لخدمة الدولة – وخاصة الجيش –ثم لإرضاء رغبات الوالي محمد علي، وفي بعض الأحيان لإرضاء رغبات ابنه إبراهيم باشا. [7]

---

[1]- جوان (دوارد) : مصر في القرن التاسع عشر (سيرة جامعة لحوادث ساكني الجناب محمد علي وإبراهيم باشا المغفور له سليمان باشا الفرنسي)، ترجمة: مسعود (محمد)، ط٢، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٦٢١.

[2]- نصير (عايدة إبراهيم): حركة نشر الكتب في القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٤٤-٢٤٥.

[3]- ص ٥٧ من البحث

[4]- عثمان نور الدين:عثمان نور الدين أو (عثمان سقه باش زادة) (أسرته تركية من جزيرة مدللى رحلت إلى مصر واستقرت بها وكان أبوه فراشاً أو سقاء بقصر محمد علي ومن هنا اكتسب اسمه الأول عثمان سقه باش زاده) أرسله محمد علي في بعثته لتلقي العلوم الحربية وفنون السياسة وإدارة الحكم في إيطاليا وفرنسا ولما عاد إلى مصر سنة١٢٢٤هـ/ ١٨١٨م عين كاشفاً في حرس محمد علي ثم عهد إليه بتنظيم الكتب الكثيرة. الشيال: ص٩٧.

[5]- صالح مجدي(١٢٩٨هـ/١٨٨١م) بن صالح بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن مجد الدين، أديب ثائر، شاعر، ولد في أرجوان أرجوان بمصر، ظهر نبوغه في اللغتين العربية والفارسية، ولما أنشئ قلم الترجمة جُعل فيه قسماً لترجمة الكتب الرياضية عين (صالح مجدي) وكيلاً لهذا القسم استعان به (علي مبارك) في تأليف تصنيف معظم كتبه أهم مؤلفاته (حلية الزمن بذكر مناقب خادم الزمن)،وقام بترجمة العديد من المؤلفات الرياضية والعلمية والطبيعية والفلكية والأدبية، كما إنه اشترك في تحرير (مجلة روضة المدارس)، و له العديد من المقالات الأدبية وديوان شعر كبير. كحالة: ج١،ص٨٣٣

[6]- مجدي (صالح) : حلبة الزمن في مناقب خادم الزمن، تحقيق : الشيال (جمال الدين)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني د.ط، مصر، ١٩٥٨م، ص ٤٣.

[7]- الشيال : تاريخ الترجمة في عهد الحملة الفرنسية، ص ١٥٩ .

٥-كما أنه اعتمد على السّيَّاحَ الذين زاروا مصر؛ فلا يوجد سائح واسع الإدراك زار مصر إلا اتصل به حتى يضيف جديداً إلى ما لديه من علم ومعرفة، بالإضافة إلى اعتماده السوريين الذين سكنوا مصر لكنه أصبح يعتمد اعتماداً كلياً على المصريين لتتحول الترجمة إلى تعبير مصري أصيل[١] .

بالنسبة إلى اللغات التي تمت الترجمة عنها فلم تقتصر على اللغات الأوروبية فقط بل شملت الترجمةُ كلَّ اللغات الأوروبية والشرقية،وكانت أولى اللغات التي تُرجم عنها هي اللغة الإيطالية والفرنسية في المقام الثاني، كما أنه تُرجم عن ترجمات فرنسية عن الإيطالية أو عن ترجمات إيطالية وعن الفرنسية إلى اللغتين العربية والتركية، كما ترجمت كتب عن العربية إلى التركية وبالعكس[٢].أما الكتب المترجمة فهي متنوعة في الطب، والهندسة، والجغرافية، والمنطق، والعلوم والقانون، وغيرها[٣] إلا أن أثر الكتب التاريخية محدود، ولم يفد منها إلا محمد علي وبعض كبار رجال الدولة، كما تُرجم في عصر محمد علي عددٌ كبيرٌ من الكتب الحربية والعلمية والطبية كانت محدودة الأثر لم يفد منها إلا تلاميذ المدارس، في الوقت الذي كانت فيه الكتب المتصلة بالعلوم الإنسانية من فلسفة وجغرافية ومنطق والتي ترجمها رفاعة وتلاميذ مدرسة الألسن لها أثرُ قوي في المجتمع المصري، وفي القرّاء المثقفين لكن هذه الكتب أودعت في المخازن من يوم طباعتها، وأغلقت عليها الأبواب إلى أواخر عهد إسماعيل باشا[٤] .

إذاً، فالترجمة في القرن التاسع عشر كانت تتأرجح بين هبوط وصعود؛ فقد صعدت في أيام محمد علي لتعود تهبط في أيام عباس وسعيد، وتعود مرةً أخرى للصعود في أيام إسماعيل لتعود وتضعف مع بداية الاحتلال الانكليزي لمصر[٥] .

---

[١]-السهم: ص٢٨١ وما يليها

[٢]-الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي، ص٢٠٦.

[٣]- لمعرفة المزيد عن هذه الكتب من قام بترجمتها؛ الشيال (جمال الدين): تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي ص٤٥ ص٤٥ وما يليها.

[٤]- الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي، ص٢٣٥.

[٥]- شريف: ص٣١

٣-الطباعة والنشر:

لم تعرف مصر الطباعة بالحروف المتفرقة إلا بعد نزول الحملة الفرنسية أرض مصر (١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م)؛ فقد أدخل نابليون معه أول مطبعة إلى مصر ،والسبب في ذلك يعود إلى إدراكه أن (الدعاية هي السلاح الأمثل الذي قد يكسب به قلوب المصريين)،[١]هذا ما دفعه إلى أن يزوّد حملته بالإضافة إلى العتاد الحربي اللازم مطبعةً فخمة تحتوي عدة مطابعَ مجهزةٍ بحروف عربية وفرنسية ويونانية، بدأت هذه المطبعة عملها وهي على ظهر البارجة في عرض البحر، فقامت بطبع عدة نسخ من الترجمة العربية للمنشور الذي أعده نابليون لإذاعته على المصريين، وقد أُطلق على هذه المطبعة عند نزولها أرض مصر (المطبعة الشرقية) أو (المطبعة الفرنسية) ليتحّول اسمها بعد استقرار الحملة بالقاهرة إلى (المطبعة الأهلية)، أو (مطبعة الجمهور الفرنساوي)،[٢] أهم مطبوعاتها بالإضافة إلى المنشورات والأوامر طباعة محاكمة سليمان الحلبي[٣] باسم ((مجمع التحرريات المتعلقة إلى ما جرى بإعدام محاكمة سليمان الحلبي قاتل صاري عسكر العام كليبر))،كما طبع نابليون بعض رسائل في النصائح الطبية وغيرها لاستمالة قلوب المصريين،[٤]وكان من ضمن مطبوعاتها أيضاً كتاب هجاء عربي وتركي وفارسي، بالإضافة إلى جريدتين فرنسيتين هما((كوريه ديجيت)) و ((دكادأجيسيان))،[٥] ولم تكن المطبعة الأهلية هي المطبعة الوحيدة للحملة الفرنسية؛ فقد كان إلى جانب تلك المطبعة مطبعة نابليون الخاصة (مارك أوريل).

وقبل الحديث عن أهم المطابع التي ظهرت في عهد محمد علي لا بد من معرفة الدوافع والأسباب التي دفعت محمد علي للاهتمام بالطباعة، يعود سبب اهتمامه إلى طموحه في فتح مدارس حديثة،

---

[١]-صابات(خليل): تاريخ الطباعة العربي في الشرق، دار المعارف، مصر، د.ت، ص١٢١.

[٢]- الشيال: تاريخ الترجمة في عهد الحملة الفرنسية، ص٣٣.

[٣]- سليمان الحلبي (١١٩١-١٢١٥هـ/ ١٧٧٧ -١٨٠٠م): ثائر عربي من مواليد حلب تلقى العلم في الأزهر بالقاهرة عز عليه أن يحتل الفرنسيون أرض الكنانة فأقسم ليقتلن الجنرال كليبر وكذلك فعل فقضت محكمة فرنسية بإعدامه(صلب على الخازوق) بعد أن تحرق يده اليمنى ثم يترك طعمة للعقبان وقد نفذ فيه هذا الحكم في ١٧ يوليو ١٨٠٠م. البعلبكي: ص ٢٤٢ .

[٤]- الطناحي (محمود محمد): الكتاب المطبوع بمصر في القرن التاسع عشر(تاريخ وتحليل)، دار الهلال، د.م، د.ت، ص٢١.

[٥]- عد إلى ص م البحث.

وإنشاء جيش حديث على نمط النظام الأوروبي الحديث لكن ذلك غيرُ ممكنٍ؛لأن تلك النظم لا توجد في الكتب العربية، فكان لا بد له من إنشاء مطبعة لتزويد تلك المدارس والمنشآت بما يحتاج إليه الطلاب والمؤسسات،[١] فكانت أولى خطواته متمثلة في إرسال (نقولا مسابكي)[٢] في بعثة إلى ميلانو الإيطالية (ليتعلم فن سبك الحروف، وصنع أمهاتها، وليدرس فن الطباعة فيها).[٣]

الطباعة في عهد محمد علي:

أولاً : المطابع الرسمية :ظهر العديد منها أهم تلك المطابع هو:

١-**مطبعة بولاق** : وهي أولى المطابع التي عرفتها مصر بعد خروج الحملة الفرنسية، قام بإنشائها محمد علي١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م،[٤]وقد بقيت هذه المطبعة نيفاً وتسعين سنة لم تتعطل إلا في عهد عباس الأول وسعيد لتعاود نشاطها في عهد إسماعيل لكن سرعان ما تأثرت هذه المطبعة بالأزمة المالية التي تفشت في أواخر حكم إسماعيل١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠ م لتنتقل ملكيتها من الدائرة السنية إلى الحكومة المصرية لتبقى في عهدة الحكومة في زمن توفيق لتتولى أمرها وتنتشلها مما لحق بها من سوء حكم البلاد.[٥]

أهم مطبوعات تلك المطبعة:أقدم قاموس إيطالي عربي،[٦]طبع فيها عام١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م، كما كما طُبعت فيها أجرومية باللغة العربية الفصحى لأحد علماء القاهرة، ورسالة في الفنون الحربية مترجمة من الفرنسية إلى التركية، وكتاب في الصباغة ترجم من الإيطالية،[٧] كما طبعت فيها

---

[١]- البطريق: ص ٥٠ ؛ صابات: ص١٣٦ .

[٢]- نقولا مسابكي: ولد في دمشق في أوائل القرن التاسع عشر، هاجر والده من سورية واستقر في القاهرة هو وأسرته وقد كان نقولا شاباً ذكياً فوقع اختيار الوالي عليه لإرساله في بعثة إلى ميلانو الإيطالية في عام١٢٣١هـ/ ١٨١٥م، لتعلم فن الطباعة أمضى أربع سنوات في إيطاليا وعاد إلى القاهرة ليتولى إدارة مطبعة بولاق .صابات: ص ١٣٩-١٤٠ .

[٣]-طوسون: ص١٠.

[٤]- صابات: ص١٣٨؛ رضوان(أبو الفتوح): تاريخ مطبعة بولاق ولمحة عن تاريخ الطباعة في بلدان الشرق الأوسط، المطبعة الأميرية، د.ط، القاهرة، ١٩٥٣م، ص٤٤.

[٥]- صابات: ص١٧٢-١٨٢ .

[٦]-الطناحي: ص ٢٨-٣٢ .

[٧]- زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٤، ص ٤٠٧ .

صحيفة الوقائع المصرية حتى عام ١٢٤٩ هـ/١٨٣٣م لتتحول طباعتها إلى ديوان الوقائع المصرية بالقلعة وغيرها من الكتب الأخرى.[١]

٢-مطبعة مدرسة الطب بأبي زعْبل : كانت أوّل مطبعة رسمية أنشئت بعد بولاق، أُلحقت بمدرسة الطب التي أنشأها محمد علي، تم إغلاقها سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، ونقلها من مدرسة الطب إلى القصر العيني، وقد بلغ عدد الكتب المطبوعة فيها عشرة كتب، وأُعطي لكل من تلك الكتب رقمٌ مسلسلٌ[٢].

٣-مطبعة ديوان الجهادية : وهي مطبعة حجرية تابعة للمدرسة الحربية ببولاق، استخدمت لطبع الكتب العربية والتركية والفارسية،(وجرنال)[٣] أسبوعي يصدر باللغة العربية والإيطالية،[٤]وقد والإيطالية،[٤]وقد ضُمّت إلى مطبعة بولاق (لأن المطبوعات الجهادية كانت تكلف الدولة نفقات لا لا فائدة منها لذلك تقرر في عام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥ نقلها إلى مطبعة بولاق وضمها إليها)[٥] وبلغ عدد الكتب المطبوعة فيها ستة كتب[٦] منها كتاب (تنبيه فيما يخص الطاعون للأطباء ورؤساء المارستانات) تأليف (كلوت بِك)[٧].

كما يوجد هناك عدد من المطابع الرسمية التي لا مجال لعرضها جميعاً.

---

[١]- لمعرفة المزيد عن الكتب المطبوعة صابات: ص١٤٩ ؛ الطناحي: ص ٦٣-٧٩؛ رضوان: ص٢٤٩ ومايليها

[٢]- نصير: ص ٤٠٤ .

[٣]- عد إلى ص ٦٥ من البحث.

[٤]- اسكاروس (توفيق): تاريخ الطباعة في وادي النيل، مجلة الهلال، السنة الثانية والعشرون، ١٩١٤م، ص٤٢٦؛ نصير: ص ٤٠٤؛ صابات: ص١٥٨ .

[٥]-نصير: ص ٤٠٤؛ صابات: ص ١٦٥ .

[٦]-الطناحي: ص ٧٥.

[٧]- كلوت بِك : ت ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م ولد في غرينوبل بفرنسا سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣ م من أبوين فقيرين وربي في شظف من العيش ثم توفي أباه وهو غلام فازداد ضيقاً فالتفت إليه طبيب جعله مساعداً له يرافقه ويتمرن على يده وهو في أثناء ذلك يدرس بنفسه ثم انتقل إلى مرسيليا فتعرف على تاجر فرنسي فاختاره كطبيب للجيش المصري فسافر إلى مصر سنة١٢٤١هـ/ ١٨٢٥ وله العديد من المؤلفات والرسائل منها (رسالة في الطاعون) (ونبذة في تطعيما لجدري) وغيرها من المؤلفات. زيدان: آداب اللغة العربية، ج٤ ص٥٣٢ .

ثانياً – المطابع الأهلية :

لم يبق في مصر إلا مطبعة بولاق، وعدد من المطابع الأميرية(نسبة إلى لوالي أو السلطان) واستمر ذلك نحو أربعين سنة لم يُقدم في أثنائها أحد على إنشاء مطبعة غير أميرية، وأول من تصدّى لذلك (الانباكيرالس الرابع)[١]بطريرك الأقباط الذي اختار أربعة من الشبان الأقباط واستأذن سعيد باشا والي مصر ليسمح بقبولهم في مطبعة بولاق ليتعلموا فن الطباعة، فأنشأ:

١–**المطبعة الأهلية القبطية** :وعرفت فيما بعد باسم (مطبعة الوطن)،[٢] ولا تزال باقية حتى اليوم، وهي أولى المطابع الأهلية التي أُنشئت في مصر،وكان الغرض من إنشائها نشر الكتب الدينية المخطوطة، بدأت عملها بشكل فعلي في سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م[٣] .

٢–**المطبعة الوهبية**:أنشئت في سنة١٢٤٨هـ/١٨٣٢م، وكان عطاؤها إلى آخر القرن التاسع عشر،وبلغ ما ساهمت بطباعته ونشره في الكتب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نحو(٢٤٥كتاباً).[٤]

٣–**المطبعة العثمانية (عثمان عبد الرزاق)** :أنشئت حوالي سنة١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، بلغ عدد الكتب التي طبعتها ونشرتها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حوالي ٣١٧ كتاباً[٥] .

٤–**مطبعة وادي النيل**:أنشأها عبدالله أبو السعود١٢٨٣هـ/١٨٦٦م،[٦] واشتهرت المطبعة بكثرة بكثرة عمالها، وآلاتها، ولم تقتصر على طبع صحيفة (وادي النيل) بل تعدت ذلك إلى طبع نشرة

---

[١]–الانبا كيرالس الرابع: ولد هذا القديس عام١٢٢٢هـ/ ١٨١٦م بقرية نجح أبو رزقالي، التابعة للصومعة الشرقية بأخميم بمديرية جرجا حالياً محافظة سوهاج ، وكان اسمه " داود بن توماس بن باشون بن داود، كان والده رجلاً أمياً ولكنه عني بتعليم ابنه حتى أصبح ملماً بالقراءة باللغتين العربية والقبطية وقد نجح هذا البابا في استصدار أمر من سعيد باشا لتدريس أربعة شبان في المطبعة الأميرية لتدريبهم على العمل في المطبعة الجديدة التي أنشأها.

http://ar.wikipedia.org

[٢]– زيدان: آداب اللغة العربية، ج٤، ص ٤٠٩؛ و صابات: ص١٩٨ .

[٣]– صابات: ص ١٩٤ .

[٤]– نصير: ص ٤٣٤ .

[٥]– نصير: ص ٤٤٤ .

[٦]– أبو السعود:هو عبد الله أبو السعود ابن الشيخ عبد الله، ولد في دهشور سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠ م وأصله من جبال برقة، تفقه في المدارس التي أنشأها محمد عليكان يتقن اللغة العربية والفرنسية والإيطالية، وعندما أعيد تنظيم قلم الترجمة الملحق بالألسن ترجم كتاب (نظم اللالئ في السلوك، فيمن حكم فرنسا، ومن قابلهم على مصر من الملوك)، أنشأ أول صحيفة شعبية هي جريدة (وادي النيل)، كما أنه ساهم في تحرير (مجلة روضة المدارس)،تسلم منصب مدرسٌ للتاريخ بمدرسة العلوم وعضواً لمجلس الاستئناف حتى توفي في سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م، أهم مؤلفاته (الدرس التام في التاريخ العام) و(قناصة أهل العصر في خلاصة مصر القديم). زيدان: آداب اللغة العربية، ج٤، ص٦١١،٦١٠.

أركان حرب الجيش المصري، ومجلة روضة المدارس،ويعود لها الفضل في طبع عدد لا بأس به من الكتب العربية[١] .
كما يوجد هناك عدد من المطابع الأهلية لا مجال لعرضها جميعاً.

٤ . الصحافة :

مصر وإن تأخرت في معرفة الطباعة غير أنها وبفضل الحملة الفرنسية كانت أول بلد في الشرق عرفت الصحافة،[٢]فقد أصدرت الحملة الفرنسية العديد من الصحف، والنشرات باللغة الفرنسية لم يدمْ الكثير منها، ولكن البعض الآخر استمر فترة طويلة، ومن هذه الصحف جريدة (لوبرد جوية أجبسيان) التي استمرت أكثر من مئة عام.[٣]

أولاً:أهم الصحف التي ظهرت في ظل الاحتلال الفرنسي لمصر هي:

١ . جريدة (بريد مصر): ظهرت ١٢١٣هـ/١٧٩٨م وهي باللغة الفرنسية بحجم كتاب وسط ذات أربع صفحات [٤]تحمل أخبار مصر الداخلية، وهي الأخبار المحلية في القاهرة والأقاليم،وكانت تتضمن أحياناً بعض الشعر والأدب وكثير من الرحلات وأخبار الوفيات، كانت تصدر كل خمسة أيام، صدر منها ١١٦ عدداً.[٥]

٢ . صحيفة العشرية المصرية : مجلة أدبية علمية كانت تصدر في أول الأمر كل عشرة أيام، ثم أصبحت شهرية، وقد اشتملت على محاضر جلسات معهد مصر، ومقالات كتبها أعضاء لجنة العلوم والفنون، [٦]وقد تم تجميعها في ثلاثة مجلدات أهديت إلى كل من بونابرت[٧]وكليبر [٨]ومينو [٩].

---

[١]- صابات: ص١٩٨.
[٢]- حمزة (عبد اللطيف أحمد):الصحافة المصرية في مائة عام، دار القلم، د.م، د.ت ، ص٨.
[٣]-سوليه (روبير): مصر ولع فرنسي، ترجمة: فرج (لطيف)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٩م، ص ٣٩٣ .
[٤]-عبده (إبراهيم): تاريخ الوقائع المصرية(١٨٢٨-١٩٤٢)، مطبعة الوكيل، ط٢، القاهرة، د.ت، ص ٢٣ .
[٥]-سوليه: ص ٣٩٣ .
[٦]- سوليه: ص ٣٩٣ .
[٧]- عد إلى ص١٨ من البحث.
[٨]-كليبر : جات باتيست جنرال فرنسي أخمد الثورة الملكية المضادة التي نشبت في مقاطعة فانديه عام١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م، لعب دوراً دوراً بارزاً في حملة نابليون على مصر وتولى قيادتها بعد عودة نابليون إلى فرنسا عام١٢١٤هـ/ ١٧٩٩ اغتاله سليمان الحلبي، البعلبكي: ص ٣٦٧ .
[٩]-عبد الله مينو :(١١٦٤-١٢٢٥هـ/١٧٥٠-١٨١٠م) اسمه الحقيقي جاك دومينو فرنسي ولد في بوساي،خلف كليبر في قيادة الجيش الجيش الفرنسي في مصر١٢١٥هـ/١٨٠٠م تم في عهده الجلاء الفرنسي عن مصر١٢١٦هـ/ ١٨٠١ م تزوج من امرأة مطلقة تدعى زبيدة بنت محمد البواب رحلت معه إلى فرنسا بعد جلاء الحملة. نصار: مج ٦، ص٣٣٣٤.

٣ . **صحيفة التنبيه** : صحيفة سياسية باللغة العربية أنشأها الجنرال عبد الله مينو آخر الولاة الفرنسيين في مصر ،[١]عيّن لها إسماعيل الخشاب رئيساً للتحرير [٢]

لكن التطورات الخطيرة والتي شهدتها مصر والتي شملت جميع نواحي الحياة بعد جلاء الفرنسيين عن مصر ، والنهضة الواسعة التي طرأت على حياة المصريين، والنظم التي وضعها محمد علي استوجبت عليه أن يشغل جزءاً من حياته في إنشاء الصحف ورعايتها؛ فظهر في تلك الفترة نوعان من الصحف الأولى رسمية والثانية شعبية

ثانياً: أهم الصحف التي ظهرت في عهد محمد علي:

١-الصحف الرسمية :

ولدت الصحف المصرية في جحور الحكام، وعاشت على أموالهم ونمت وترعرعت بسلطانهم،وخضعت لتوجيهاتهم، ولم يكن لها مفر من هذا الخضوع،[٣] ومن هذه الصحف :

أ-الجرنال : أقدم الصحف المصرية الرسمية أنشأها محمد علي باشا في عام١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م، ويعود سبب إنشائها إلى رغبة محمد علي في تنظيم حسابات الأقاليم والمصالح وشؤونها الإدارية، ذلك الأمر جعله يقدم ملخصاً عنها في فترات معينة، ذلك الملخص عرف بـ(باسم الجرنال)، وكانت تطبع باللغتين العربية والتركية، وقد كانت هذه الصحيفة وقفاً على الوالي كما كان يُسمح

---

[١]-عبده (إبراهيم): أعلام الصحافة العربية، مكتبة الآداب، الجماميز ، ط٢، د.ت، ص ٨ .

[٢]-إسماعيل الخشاب: هو أبو الحسن إسماعيل بن سعد بن إسماعيل الحسيني الشافعي المعري المعروف بالخشاب كانوالده تاجراً ففتح ففتح له مخزناً لبيع الخشب تجاه تكية الجلش توفي عام ١٢٣٠ هـ / ١٨١٥مفعرف بالخشاب كان صديقاً للعطار وملازماً له أشهر مؤلفاته (أخبار أهل القرن الثاني عشر). الخشاب (إسماعيل بن سعد): أخبار أهل القرن الثاني عشر، تحقيق: جمال الدين(عبد العزيز)، القاهرة، د.ت، ص٦.

[٣]- حمزة: ص٩ .

بـأن يطلـع عليهـا نفـر قليـل مـن كبـار مـوظفي الحكومـة، والشـعب لـم يكـن لـه أيـة صـلة بهـذه الصحيفة[١]واستمر الحال على ذلك حتى ظهرت الجريدة الرسمية الثانية وهي الوقائع المصرية .

ب -**الوقـائع المصـرية** : هـي الجريـدة الرسـمية الثانيـة التـي أصـدرها محمد علـي، ويعـود سـبب إنشائها رغم النجاح الذي حققه (جرنال الخديوي) إلى رغبته في التعرّف على أخبار البلاد الداخليـة والخارجيـة؛ فهـو يريـد صـحيفة كالصـحف التـي يتلقاهـا فـي أوروبـا لكـي تتسـع لجميـع أغراضـه، كمـا أنَّ الـوالي أدرك أنـه مـن الجيـد أن يكـون الشـعب المصـري علـى صـلة بأعمـال الحكومة، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ من خلال نشر جريدة رسمية بين أكبر عدد ممكن من أفراد هذا الشعب المصري، [٢]كما أنَّ سياسته الاحتكارية التي أجهدت الناس كانت دافعاً قوياً لتأسيس تلك الجريـدة لعـرض نتـائج سياسـته الاحتكاريـة ممثلـة فـي جملـة الإصـلاحات والمشـروعات العمرانية،فتكون ميداناً لمدحه، والثناء عليه، فتظهر حكومته في صورة قادرة ومجدة صدر العدد الأول من هذه الجريدة في ١٥ رجب عام ١٢٤٤هـ/ الثالث من ديسمبر عام ١٨٢٨م، وقد تولى تحريرها رفاعة رافع الطهطاوي بعد عودته من باريس، وقد ظهرت في أول عهدها باللسان التركي فقط، ثم ظهرت باللغتين العربية والتركية لتعود إلى الظهور بلغة تركية محضة، ثم لتظهر مرة أخرى بصورة عربية خالصة، ولم تزل حتى الآن تصدر ثلاث مرات في الأسبوع في اثنتي عشرة صفحة متوسطة الحجم، وكانت قبل ولاية الخديوي إسماعيل تصدر بشكل غير منتظم، [٣] أهم منشورات هذه الصحيفة فهي نشر الأخبار الخارجية؛ فلم يكن يخلو عدد من أعدادها عن ذكر أخبـار مـن بروسـيا وفرنسـا وانكلتـرا ورومـا، كمـا أنهـا عملـت علـى نشـر الحـوادث التجاريـة كنشـر

---

[١]- عبده: تاريخ الوقائع المصرية، ص ١٢؛ حمزة: ص ١١.

[٢]- حمزة: ص ١١، ١٢؛ عبده: ص١٢.

[٣]- طرازي (فليب دي): تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، د.ط، بيروت،١٩١٣م، ج١، ص٤ .

أسعار الغلال، وألوان التجارة، بالإضافة إلى نشرها بعض فصول الآدب القديم، كما أنها عملت على نشر الشعر بكثرة؛ فكانت بعض أعدادها تحمل قطعتين معاً، وكان جل هذا الشعر مدحاً وإطراءً [١].

ج-الجريدة العسكرية :هي التي عبّرت عن النهضة العسكرية في عصر إسماعيل سواءً أكان ذلك في مجال الاهتمام بالتعليم العسكري، أم كان في نهضة الجيش والبعثات التعليمية العسكرية،[٢] كانت تطبع (بمطبعة الجهادية)، وبدأت بالصدور منذ عام١٢٤٩هـ/١٨٣٣م،وكانت تختص بنشر الجرائم التي تقع في الآيالات، ونشر الأحكام التي تصدر بحق أصحاب تلك الجرائم بالذات، فكانت تصدر خمس عشرة مرة كل شهر، ومع ذلك فإن هذه الجريدة لم تعش طويلاً لعدم الحاجة إليها.[٣]

د-جريدة يعسوب الطب: مجلة طبية أنشأها الخديوي إسماعيل عام ١٢٧٢هـ/١٨٦٥م، لم تعمر طويلاً، شعارها " يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس " [٤]، وقد ساهم في تحريرها عدد من الأطباء منهم إبراهيم الدسوقي[٥].

هـ- جريدة روضة المدارس : مجلة أدبية علمية غرضها النهوض باللغة العربية، وإحياء الأدب، ونشر المعارف الحديثة، [٦]ويعود الفضل في إنشائها إلى علي مبارك الذي شعر بحاجة الأمة عامة، وأبناء المدارس خاصة في عهد إسماعيل إلى صحيفة علمية وأدبية فأنشأ هذه

---

[١]-عبده: تاريخ الوقائع المصرية، ص١١١ ، ١١٣ وما بعدها .

[٢]- السهم: ص ٢٧٢

[٣]-حمزة: ص ١٧-١٨

[٤]سورة النحل، آية رقم ٦٩.

[٥]- إبراهيم الدسوقي:(١٢٢٦-١٣٠٠هـ/١٨١١-١٨٨٣) ولد في دسوق وتعلم بالأزهر، وعين مصححاً في مدرسة الطب ثم بمدرسة المهندسخانة وقام بتصحيح جميع كتب الرياضيات كما أنه عمل مصححا في مطبعة بولاق ثم كان رئيس المصلحين شارك في تحرير مجلة الوقائع ومجلة يعسوب الطبية. الزركلي:ج١،ص٤٧.

[٦]- عبده: أعلام الصحافة العربية، ص ٣٣ .

المجلة في سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠ م[١]، وعهد إلى رفاعة رافع الطهطاوي إدارة أمورها، وتولى ابنه (علي بك فهمي) [٢]رئاسة تحريرها، وكان شعارها مكتوباً على غلاف المجلة وهو:

تعلّم العلم واقرأ   فخرَ فخارِ النبوة

فالله قال ليحى   خذ الكتاب بقوة [٣]

وقد صدر عددها الأول عام ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ بمقال لرئيس تحريرها (علي فهمي) موضحاً أهم أهدافها ومراميها بقوله: (... لتكون فيها الفوائد المتنوعة، والمسائل المتأصلة والمتفرغة أقرب تناولاً للمطالع المستفيد ... وإن المرام من ظهورها بهذا الشكل هو أن تنكشف للعامة مخدرات العلوم، وترفع حجبها المستورة ،وتستضيء بنورها أربابُ العقول السليمة، وأصحاب الطبائع المستقيمة .... الخ . [٤]

٢- الصحافة الشعبية

لم تسمحْ ظروف الحياة المصرية بظهور الصحافة الشعبية في مصر قبل عام١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م؛ لأن التربية السياسية والاجتماعية للأمة المصرية لم تكن قد تهيأت بعد لاحتمال وجود صحف يتناولها الجمهور،[٥]وما يمكن أن يقال عن الصحافة الرسمية يمكن أن يقال مثله على

---

[١]- زيدان: آداب اللغة العربية، ج٤، ص ٥٥٥.

[٢]- علي فهمي:(١٢٦٥ – ١٣٢١ هـ / ١٨٤٨ – ١٩٠٣م) ابن رفاعة رافع بن بدوي الطهطاوي فاضل من أعيان مصر عين وكيلاً لنظارة المعارف المصرية ، توفي بالقاهرة له (رقم العلم في رسم القلم) و(قدرة الفرع بأصله وحب الوطن وأهله) رسالة صغيرة و (حسن الصحابة من شرح أشعار الصحابة). الزركلي: ج٤، ص ٣٢٠ .

[٣]- فهمي (علي): روضة المدارس المصرية، القاهرة، مطبعة المدارس الملكية،الجماميز، العدد ١، يوم السبت ١٥ محرم سنة ١٢٨٧ هـ /١٨٧٠م، ط١، ص١.؛ سورة مريم: آية رقم١٢.

[٤]- فهمي: الافتتاحية، ص ١؛ النجار (حسين فوزي): رفاعة الطهطاوي، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ص ١٢٥ – ١٢٩ ؛عبده: ص ٣٤ .

[٥]- عبده: تاريخ الوقائع المصرية، ص ٦٥ – ٦٦ .

وجه التقريب عن الصحافة الشعبية التي كانت بدايتها غريبة كل الغرابة؛ فقد بدأت أولاً بصحيفة السلطنة .

أـ صحيفة السلطنة : أول الصحف الشعبية، ظهرت سنة١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م، وكانت لسان حال السلطان تدافع عن مصالح السلطان السياسية، وتلك المصالح التي قضت يومئذ بمحاربة الخديوي سعيد لإصلاحاته التي قام بها؛ فقد أصدر هذا الوالي لائحة يقال لها (اللائحة السعيدية)، أصبح بموجبها الفلاح مالكاً للأرض التي يزرعها ليس ذلك فحسب بل عمل على إلغاء الكثير من الضرائب التي أثقلت كاهل الفلاح المصري، كما أنه قضى على نظام الاحتكار وإجراءات أخرى رآها السلطان العثماني خطراً على مكانته عند المصريين،فلم يجدْ السلطان العثماني بداً من أن يسلك طريق الدعاية ضد هذا الوالي(سعيد باشا) ففكر في نشر هذه الجريدة الشعبية. لكن هذه الجريدة ارتبطت ارتباطاً قوياً بمجيء(إسماعيل) الذي آمن بالدعاية والصحافة إيماناً شديداً، بالإضافة إلى ولعه الشديد بتقليد الأوروبيين في كل صغيرة وكبيرة، وبما أن لأوروبا صحافة شعبية لابد أن يكون لمصر صحفٌ شعبية، [١]وقد كان دافعه الأساسي لإنشائها التكالب السياسي الذي ظهر من قبل الأجانب، والسلطان العثماني ضده، أهم تلك الصحف الشعبية والتي ظهرت على يد إسماعيل فقد كانت نوعين :

١ –الصحف الشعبية التي تولتها أقلام وعقول مصرية منها: (صحيفة وادي النيل ، ونزهة الأفكار، وروضة الأخبار، والوطن) .

٢ – الصحف الشعبية التي تولتها أقلام وعقول سورية منها: (الأهرام، ومصر، والتجارة، والمحروسة).[٢]

---

[١]– حمزة: ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

[٢]– حمزة: ص٢٥، ٢٦ وما بعدها

٥. الجمعيات العلمية والأدبية :

ظهر في مصر نوعان من الجمعيات منها جمعيات أجنبية، والأخرى عربية.

أولاً الجمعيات الأجنبية :

وقد ظهرت هذه الجمعيات في مصر مع قدوم الحملة الفرنسية منها:

١. المجمع العلمي المصري : أنشأه نابليون بونابرت عام١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م وسماه بالفرنسية (institudeEgypte) وهو فرنسي اللغة،[١]ويعود الهدف الرئيس لإنشاء هذا المجمع سياسة بونابرت القائمة على إقامة دراسة ضيقة للبلاد التي يريد احتلالها، والوقوف على جميع مواردها لكي يجعل منها نقطة ارتكاز لتوسعاته في الشرق لأن العلم في نظره أقوى أثراً من الحرب،وأرض مصر تصلح لتكون حقلاً لتحقيق تلك الغايات. من هنا جاء أمرهُ بعد دخول مصر بإنشاء مجمع العلوم والفنون (لنشر العلم والمعارف والقيام بالبحوث والدراسات وإصدار الكتب والنشرات)،[٢]وقد أنشأ هذا المُجمع مجلة سنوية، كما كان ينشر (مجلدات تذكارية سنوية)، وهذه المجلة السنوية كانت تنشر العشرات من الأبحاث والمقالات في التاريخ بوجه عام وتاريخ مصر بوجه خاص ولا تزال موجودةً حتى الآن [٣].

٢ . الجمعية المصرية : يقول جرجي زيدان :" لما صارت مصر لمحمد علي انقضتْ معظم ولايته، وليس في مصر جمعية علمية، ولكن بعض الجاليات أنشؤوا فيها جمعية انكليزية سموها

---

[١]- زيدان: آداب اللغة العربية، ج٤، ص ٤٣٧ .

[٢]- طه: ص٣٦ .

[٣]- الشيال: التاريخ والمؤرخون، ص ٢٠٧ .

(الجمعية المصرية) غرضها تدريس اللغات والآثار وسموها بالفرنسية (societed ' Egypte)

ولا نعرف مصيرها"[١].

٣ . الجمعية الجغرافية : وهي من أهم المنشآت العلمية في مصر أسسها إسماعيل باشا سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م، بهدف نشر الأبحاث الجغرافية وإصدار المطبوعات،[٢]بلغ عدد ما نشرته هذه الجمعية حتى نهاية القرن التاسع عشر ١٩ كتابا.[٣]

ثانياً : الجمعيات العربية :

لقد تأخر ظهور هذه الجمعيات إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد تنبه الأذهان إلى (الأمور السياسية في زمن الخديوي إسماعيل)،[٤]وتزايد الاحتكاك بالمدينة الأوروبية ولاسيما بعد قدوم (جمال الدين الأفغاني)،[٥]إلى وادي النيل، وانتشار روج السياسة الحرة في نفوس الأدباء، فمالوا إلى الاجتماعات السرية واتخذوا من (الماسونية)،[٦] وسيلة للاجتماع وقد

---

[١]- زيدان: آداب اللغة العربية، ج٤، ص٤٣٨ .

[٢]- نصير: ص٤٢٨.

[٣]-السهم: ص٣٠١. ؛ نصير: ص٤٢٨ .

[٤]-يقصد بالأمور السياسية المنافسة بين الخديوي إسماعيل وحليم باشا على نظام الوراثة وبعد أن غير الخديوي نظام الوراثة عام ١٨٦٦م بحيث ضمن الخلافة في ذريته وحرمان حليم باشا من عرش مصر .

[٥]-جمال الدين الأفغاني: ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م مصلح ديني مسلم من بلاد الأفغان تعاون مع الشيخ محمد عبده في إصدار مجلة العروة الوثقى في العاصمة الفرنسية، حث المسلمين على التحرر من الاستعمار ويعتبر أحد أبرز رجال الإصلاح في القرن التاسع عشر وأكبر داعية إلى الجامعة الإسلامية، وقد شن حملة دعائية واسعة للتبشير بها. البلعلبكي: ص٦٠ .

[٦]-الماسونية : هناك خلاف حول السنة التي أنشأت فيها تلك الجمعية فمنهم من قال بحداثتها ومنهم من قال بأنها لم تدرك ما وراء القرن الثامن عشر بعد الميلاد ومنهم من ساربها إلى بعد ذلك وبعضهم وصل بها إلى الحروب الصليبية وآخرون يرجعونها إلى أيام اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد ومنهم من قال أن منشأها قديم جداً وعادوا بها إلى الكهنة المصريين وغيرها من الأقوال لمعرفة المزيد. زيدان (جرجي): تاريخ الماسونية العام، مطبعة الهلال، ط٢، د.م، ١٩٢١م، ص١٠ وما يليها.

وكان لأبناء الشام النازحين إلى مصر ضلع بارز في تكوين هذه الجمعيات [1]،وهذه الجمعيات تنقسم إلى قسمين منها ما هو سياسي ومنها ما هو علمي وأدبي .

١ . الجمعيات السياسية :

أكثر هذه الجمعيات كان سرياً منها:

آ-**جمعية مصر الفتاة** :تأسست تلك الجمعية في عهد الخديوي إسماعيل في سنة١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، وكان من أهم أعضائها (جمال الدين الأفغاني)،[2] و(أديب اسحق)،[3]و(سليم النقاش)[4]وغيرهم من أرباب الأقلام،[5] وقد صدرت هذه الجمعية باللغتين العربية والفرنسية،ليوهموا الخديوي إسماعيل أنها لسان حال جمعية كبرى من الإفرنج والوطنيين تسعى في خلعه وقتله، وكان إسماعيل يبحث عن أعضائها إلا أنه لم يتمكن من الوصول إليهم،[6]وقد غزت المنشورات السرية لهذه الجمعية أرجاء البلاد وأول منشوراتها في ٢٤ فبراير سنة ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م.[7]

---

[1]-شلش (علي): مصر الفتاة (جمعية سياسية ووثيقة إصلاحية ١٨٧٩م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د. ط، القاهرة،١٩٩٠م، ص ١٩- ٢٠ ؛ زيدان: آداب اللغة العربية، ج٤، ٤٣٩ .

[2]- عد إلى ص٧٢ من البحث.

[3]- أديب اسحق: صحافي وأديب ولد في دمشق وعمل في بيروت والإسكندرية والقاهرة وباريس عرف بدعوته العرب للحرية والنهوض والمطالبة بالاستقلال من آثاره (الدرر) وعدد من الروايات المترجمة من الفرنسية. البعلبكي: ص٥٦.

[4]- سليم خليل النقاش:(ت ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م)مؤرخ وباحث من أهل بيروت له مقالات كثيرة في جرائد مصر والإسكندرية كان أحد تلاميذ جمال الدين الأفغاني، كان من الأوائل الذين نادوا بالقومية العربية والليبرالية، أهم مؤلفاته كتاب مصر للمصريين من تسعة أجزاء، توفي في الإسكندرية.الزركلي:ج٣، ص١١٧.

[5]- نصير: ص ٤٢٨ .

[6]- زيدان: آداب اللغة العربية، ص ٤٤٠ .

[7]- السهم: ص٣٠٢,٣٠٣

ب . **الجمعيـــة الشــرقية :** أنشـئت بمصـر سـنة١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧ مـن أعضـائها (أرتـين باشا)[١]،وقد تعطلت هذه الجمعية في أيام (الثورة العرابية)[٢].

ج . **جمعيـة الآداب :** أنشئت بمصـر سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧وتـولى رئاسـتها(محمد الخشـاب الفلكي)، بالرغم من أن قدرة تلك الجمعيات السرية كانت محدودة إلا أنها كانت نقطـة انطـلاق مهمة لبداية أي عمل وطني واسع النطاق .

٢ . الجمعيات العلمية والأدبية :

قسمها جرجي زيدان إلى سبعة أقسام تختلف باختلاف أغراضـها وأساليبها وهي:أ–جمعيات نشـر الكتـب ، ب– جمعيـات الترجمـة والتـأليف ، ج– الجمعيـات العلميـة الخطابيـة ، د– الجمعيـات العلمية الفنية ، هـ– الأندية الأدبية، و– الجمعيات الخيرية التعليمية، ز–جمعيات التمثيل.[٣]

هذه هـي العوامل والمؤثرات الثقافيـة أسـهمت فـي ظهـور الـوعي التـاريخي فـي القرن التاسـع عشـر والتي أثرت في حركة التـأليف التـاريخي، فتعددت ألـوان وطـرق الكتابـة فـي التـاريخ، فظهـرت كتـب فـي التاريخ العام، وفي تاريخ الدول المجاورة، والمذكرات الشخصـية وكتـب الخطط وغيرها .

---

[١]– يعقوب أرتين باشا(ت١٣٣٧هـ/١٩١٩م) مصري من أصـل أرمنـي، فاضل، تعلم فـي بـاريس ومكث بهـا نحـو سبع سنوات، تولى وكالـة نظـارة المعـارف المصـرية، من آثاره (القول التام في التعليم العام)و(الأحكام المرعيـة في شـأن الأراضـي المصـرية).كحالة: ج٤ ص١٢٤.

[٢]– شلش: ص ١٩ ؛ زيدان: آداب اللغة العربية، ج٤،ص٤٤٠.

[٣]– زيدان: آداب اللغة العربية، ج٢، ص٤٤٠ ، ٤٤١ .

الفصل الثالث:

نماذج من رواد الحركة التأريخية في الحقبة العثمانية

أولاً: نماذج عن مدرسة الأجناد:

١-يوسف الملواني بن الوكيل(ت ١١٣١هـ/١٧١٩م).

٢- أحمد الدمرداشكتخدا عزبان(ت ١١٦٩هـ / ١٧٥٦م).

ثانياً: نموذج عن مدرسة المؤرخين التقليديين(التأريخ العام):

١-محمد بن أبي السرور البكري الصديقي(١٠٠٥ هـ - ١٠٦٠/١٥٩٦-١٦٥٠م).

لقد حظي الحكم العثماني منذ القرن العاشر الهجري /السادسَ عَشَرَ الميلادي بمصادرَ تأريخيةٍ عديدة أرخت لتلك الحقبة فمعظم المؤرخين الذين دونوا وسجلوا التأريخ في العصر العثماني كانوا يعيشون الأحداث، وبعضهم شارك في تلك الأحداث بطريقة أو بأخرى، ومِنْ ثَمَّ كانت شهادتهم وتدوينهم للأحداث علمية طبيعية، فسجلوا بذلك ذكراهم في سفر المؤرخين في العصر العثماني.

في الفصل السابق تم ذكر أهم المدارس التي ظهرت في مصر في بداية الحكم العثماني،سنتطرق إلى بعض النماذجَ عن هذه المدارس مع التعريف بالشخصيات الأخرى، وأهم الكتب المؤلفة في نهاية الفصل لكي يتم رسم صورة واضحة عن الحركة التأريخية لمصر في بداية الحكم العثماني.

أولاً:نموذج عن مدرسة الأجناد:

ظهرت في مصر خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي مجموعة من المؤرخين ذوي ثقافات مختلفة من العلماء ومن رجال الفرق العسكرية لم تكن صناعتهم كتابة التاريخ، أو الاشتغال بالعلم، بل كان أغلبهم من الأجناد مارسوا كتابة التاريخ بوصفه نوعاً من الهواية، وهذه المجموعة كانت موضع تجاهل وعدم اهتمام من جانب المعاصرين لهم في العصر العثماني، ومن جانب المؤرخين المعاصرين أيضاً [١] منهم:

---

[١]- أنيس: ص٥٣.

١-يوسف الملواني بن الوكيل (ت١١٣١هـ/١٧١٩م).

أ-حياته:

هو يوسف بن محمد الميلوى (المولوى)[١]أبو الحجاج المعروف بابن الوكيل، ويقول محمد (الش処تاوي) الذي حقق كتاب يوسف الملواني (تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب) إنّه لم يجد ترجمة له سوى ما ذكره الزركلي في كتابه الأعلام (نشر دار العلم للملايين بيروت، ط٩، سنة ١٩٩٠ م، المجلد الثامن، ص ٢٥٢) ولم يجد سوى ترجمةٍ مقتضبةٍ عنه وهي " ابن الوكيل بعد ١١١٤ هـ / بعد ١٧٠٤ م (أديب لطيف التصانيف كان بمصر من كتبه تغريد العندليب على غصن الأندلس الرطيب)، رأيته في خزانة محمد بن الهادي المنوفي الحسنى بمكناس بخط (يوسف بن عبد الله الديريني الرفاعي)، اختصر به نفح الطيب في مجلد ضخم وزاد عليه فوائد وكان انتهاؤه منه في مصر يوم الأحد ٦ ذي القعدة ١١١٤ هـ /١٧٠٢م، وكتاب (أحسن المسالك لأخبار البرامك وبغية المسامر وغنية المسافر)."[٢]

توفي في عام ١١٣١ هـ / ١٧١٩ م، أو بعدها إذ أن آخر تاريخ ذكره هو " يوم الثلاثاء ٢٠ شوال ١١٣١ هـ / ١٧١٩ م، كما أن الملواني قد أشار إلى كتاب آخرَ من تأليفه هو (عيون الأثر).[٣]

ب- أهم مؤلفاته:

تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب.

---

[١]-أن كلمة المولى نسبة إلى الطريقة المولوية وليست نسبة إلى بلدة ملوى بمحافظة المنيا. ابن الوكيل (يوسف الملواني ت ١١٣١هـ/ ١٧١٩ م): تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق:الششتاوي (محمد)، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٠٦

[٢]-ابن الوكيل: ص ٦؛ الزركلي: ج٨، ص ٢٥٢ .

[٣]- الملواني: ص ٢٤٢ .

١. مواصفات الكتاب :

كتاب حولي سردي، جامع لأخبار مصر والقاهرة وما اشتملت عليه من أوصاف، إضافة إلى ذكر مَنْ تولى أمرها بعد الطوفان، ومن حكم مصر من المماليك المعروفين بالأتراك والجراكسة،ومن ناب عنهم من آل عثمان من الوزراء والأعيان .

٢. الخطة العامة للكتاب :

يقع في جزء واحد حققه محمد الششتاوي، معتمداً نسخةَ مرتضى بيك بن مصطفى الكردي الدمشقي ناسخ الكتاب عن النسخة الأصلية بخط يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل الموجودة بمكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج، تحمل رقم (٨) تاريخ، والتي كتبت بقلم نسخي سنة ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م، وفي آخرها فقرة بخط (علي فهمي رفاعة) استكمال ترجمة (محمد باشا)، [١]قسم ابن الوكيل كتابه إلى مقدمة وأربعة أبواب؛ في المقدمة حمد الله وأثنى على رسوله الكريم محمد (ص)، ومن ثم انتقل لذكر فضل التاريخ، وأهميته، والأسباب التي دفعته إلى تأليفه، [٢] ليتناول بعدها فضائل مصر، وما ورد في حقها من آيات، ومَنْ دَخَلَها، وولد بها من الأنبياء، والخلفاء الراشدين، والأئمة المجتهدين، وأصحاب الطريق. [٣]

الباب الأول فقد خصصه لملوك مصرَ بعد الطوفان حتى الفتح الإسلامي لها، وهو هنا ينقل عن غيره من المؤرخين الإسلاميين دون نقد أو تمحيص؛ فهو يذكر مثلاً " أنّ الذي بنى أهرام دهشور هو قسطيم بن مصر "[٤]، ومرجع هذه الأخطاء التي وقع بها ابن الوكيل تعود بحسبِ قول المؤرخين إلى أن علم المصريات لم يكن قد خرج بعدُ إلى الوجود، بل كان هذا العلم مرتبطاً

---

[١]- زيدان (يوسف) : فهرس المخطوطات مكتبة رفاعة الطهطاوي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج١، ص ٢١٥ .٢١٦

[٢]- الملواني : ص ١٣.

[٣]- الملواني : ص ١٣ – ٣٣ .

[٤]- الملواني : ص ٣٥

بفك رموز حجر رشيد التي حلت في عام١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠ م على يد شامبليون، ولذا فإن معالم هذا التاريخ لم تكن قد وضحت في مصر حتى العصر العثماني، بل لم تتضح إلا بعد اتصال مصر بأوروبا على يد (محمد علي) الذي أرسل البعثات العلمية إلى هناك.[١]

تدور أحداث الباب الثاني حول ولاة مصر بعد الفتح الإسلامي زمن أمير المؤمنين (عمر ابن الخطاب)،[٢]والخلفاء الأمويين، والعباسيين، والفاطميين [٣] .

في حين وظف الباب الثالث لذكر ولاة مصر ومماليكهم الأتراك والجراكسة إلى أن انتزعها منهم السلطان سليم خان بن عثمان.[٤]

وأرخ في الباب الرابع لملوك آل عثمان ونوابهم، وآخر تاريخ ذكره المؤلف هو يوم الثلاثاء في عشرين شوال سنة ١١٣١ هـ / ١٧١٩ م، ليقوم مرتضى بيك بالتزييل عليه حتى أحداث شهر ربيع الأول سنة ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣م، فيقول " أمّا بعدُ ... لما انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء مؤلف هذا الكتاب صديقنا وخليلنا يوسف أفندي الملوى الشهير بابن الوكيل ... أردت أن أكتب ما حدث بعده من الحوادث والوقائع في مصر القاهرة، ليكون ذيلاً لكتابة تحفة الأحباب..."[٥]

كل ذلك من خلال تقسيم الكتاب إلى أبواب، والأبواب إلى فصول مفصلاً في العناوين وفق أسلوب سردي سلس مبوب بسيط وألفاظ سهلة واضحة مائلاً إلى الاختصار من غير حشو و

---

[١]- العزباوي : ص ١١٧ ، ١١٨ .

[٢]- عمر بن الخطاب(٤٠ق.هـ-٢٣هـ/٥٨٤-٦٤٦م): ابن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، صاحب الفتوحات بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة١٣هـ/٦٣٤م، وفي أيامه تم فتح الشام و العراق، والقدس، والمدائن، ومصر، والجزيرة، وهو أول من وضع التقويم الهجري. الزركلي: ج٨،ص٤٦،٤٥.

[٣]- الملواني ، ص ٤٠ – ٤٩ .

[٤]- الملواني ، ص ٥٨ – ٧٠.

[٥]- الملواني : ص ٢٤٥ .

تطويل يتجلى ذلك في قوله: ((أعرضنا عنها للاختصار، وهي حكاية طويلة ذكرها ابن زنبل في رسالة مستقلة لمن أرادها فليطالعها))،[١] وعندما يقول (الله أعلم) يترك الحكم للقارئ بعد أن ذكر ما يعرف عن الحادثة، كما أنه لم يدون خبراً إلا وجاء باسم المصدر الذي أخذ عنه، عندما يسرد حديثاً أو حكاية، فكان دائماً يقول : " أخبرني ، ويروى ، ذكر السيوطي ، يقول بعضهم ،أخبرني بعضهم ."[٢]

لكل سبب مسبب، فلا بد أن يكون هناك سبب دفع ابنَ الوكيل إلى تأليف كتابه هذا، والمؤلف لا يضع القارئ في حيرة، وإنما يصرح عن سبب التأليف بقوله: " فلما كان علم التاريخ من أنفس ما يحاضر به، ويتنافس في طلبه، فتعرف به أحوال القرون الخالية، والأمم الماضية، خطر لي أن أجمع تاريخاً لطيفاً ومختصراً ظريفاً أذكر فيه أحوال مصر والقاهرة، وما اشتملت عليه من الأوصاف الباهرة، ومن تولاها مِن بعد الطوفان، ومن ناب في ولايتها من الخلفاء والأعيان، ومن حكم مصر من المماليك المعروفين بالأتراك والجراكسة، ومن ناب فيها عن آل عثمان من وزرائهم والأعيان ... وسميته (تحفة الأحباب ممن ملك مصر من الملوك والنواب)، وأرجو ممن استحلى نفائسه، واستجلى عرائسه، أن يستر ما فيه من زلل، ويسد ما تضمنته مطاويه من خلل بأن يسبل عليه ذيل المسامحة، ولا يعامل بالمشاححة، ومن حمد الكون، استمد العون، وهو حسبي ونعم الوكيل " [٣]

بعد التعّرف على مضمون الكتاب بشكل مبسط، والدوافع التي دفعت ابنَ الوكيل إلى تأليف كتابه، ماالأسباب التي أعطت تاريخ ابن الوكيل هذه الأهمية:

[١]- الملواني : ص ٤٤ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ١٣١.

[٢]- الملواني : ص ١٤ ، ١٥ ، ٦٩ ، ١٩، ١٦٣.

[٣]- الملواني : ص ١٣ .

١. موضوعيتهُ ونزاهته في عرضه أحداث كتابه؛ فهو رغم إعجابه الشديد بالمصريين وفضائلهم لم يمتنع عن ذكر عيوبهم؛ فيصفهم بقوله: " ...وأما أهل مصر فالغالب على طبعهم اتباع الشهوات، والانهماك في اللذات، والاشتغال في الترهات، والتصديق بالمحالات، وعندهم الملق والبشاشة، وفيهم الفطنة واللطافة، ورقة الطبع وعدم الغيرة، وحسن الخلق، وعندهم الخوف والجبن والقنوط، وعدم الصبر على الشدائد، وعندهم المكر والخداع، وفيهم الكذب، وذم الناس، والسعي إلى السلطان، وليس هذا عام عنهم، بل يوجد في أكثرهم ..." [١]

٢. أمدنا الكتاب بمعلومات عن مظاهر الحياة السياسية، فقد اهتم مؤلفه بالمقام الأول بالصراع القائم بين الفرق العثمانية في النصف الأول من القرنِ الثامنَ عشرَ .

٣. قدم ابن الوكيل صورة واضحة عن الحياة العقلية والعلمية المسيطرة، فهو كبقية رجال ذلك العصر يؤمن بالكرامات والأولياء يقول ضمن أحداث ١١٣٠ هـ / ١٧١٨ م: " ... ومن العجائب الغريبة أن صاحب الشرطة قطع يد رجل ظلماً من غير سبب، ومضى عليها مدة من الزمن وصار الرجل كلَّ وقت يستعين بالنبيَّ (ص) فبينما هو نائم بمقام الأربعين ببولاق بتكية الأعجام انتبه من نومه، فوجد يده كما كانت، لكنها غير يده الأولى لشدة بياضها، وصارت مخالفة للون جلده "[٢]

٤. لم يقف موقف الناقل، والمسجل للأحداث فقط، وإنما كان يد لي برأيه في كثير من المواقف والشخصيات؛ فهو يصف داود باشا بأنه: " كان حاكماً شهماً سفاكاً للدماء. "[٣]

ويصف مصطفى باشا: " بأنه كان حاكماً صالحاً."[٤]

---

[١]- الملواني : ص ٣١

[٢]- الملواني : ص ٢٣٤ .

[٣]- الملواني : ص ١١١

[٤]- الملواني : ص ١٢٧

٥. زخر كتابه بالكثير من الأخبار المتعلقة بالقحط والغلاء، وانتشار الكوارث الطبيعية، والأحداث السماوية، وتأثير ذلك كله في الشعب المصري، والمظالم التي تعرض لها، كما أورد ذكر أسعار العملة، والحاصلات الزراعية، وتأثير تلك العوامل جميعها في تردي الأوضاع الاقتصادية.[١]

٦. حفل كتابه بالعديد من المصطلحات الإدارية والعسكرية والمالية منها(الضلمة، القابي قول، الجنزرلي)[٢]

بعد التعرف على أهمية الكتاب ماهو الأسلوب والمنهج الذي اتبعه ابن الوكيل في التدوين التاريخي؟

١- اتبع ابن الوكيل نظام التأريخ بالحوليات من خلال ذكر تاريخ ولاية كل والٍ، وتاريخ عزله وأهم الأحداث التي جرت في عهده .

٢- تباينت المساحة التي عرض فيها تراجمه؛ ويعود ذلك إلى أهمية الشخص الذي يترجم له كما أنه عمد إلى ذكر الأمثال الشعبية المتداولة بين العامة، فيقول عن تعقب كل من عوض بيك وعبد الرحمن بيك للعربان في عام ١١١٠ -١١١١ هـ /١٦٩٨-١٦٩٩ م:

" وأوقعهم الله تعالى في النكال والخسران بما فعلوه في سالف الأزمان كما مثل في الأمثال كما تدين تدان."[٣]

الموارد التي اعتمد عليها في كتابه والتي ميزت أسلوبه فقد تباينت ما بين:

---

[١]- الملواني : ص ٤٥ ،٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ٢٠٦ ، ٢٦٢.

[٢]- الضلمة : لفظ تركي وهو لباس قديم مفتوح من الأمام يشبه الجيبة كان يصنع من الجوخ ويلبسه الرجال والنساء، وتضم حاشيتا الفتحة فوق الصدر كمين واسعين متموجين ونصف الضلمة الأعلى ضيق، ونصفها الأسفل واسع، والضلمة النسائية تتجاوز الركبة قليلاً إلى الأسفل. دهمان(محمد أحمد): معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٩١م، ص١٠٤.
القابي قول : لفظ تركي مركب من قابي بمعنى الباب، وقولي بمعنى عبيد الباب، وتطلق على الحرس السلطاني وعلى الانكشارية لأنهم أصناف الحرس. دهمان : ص١٢١ .
– الجنزرلي : عملة ذهبية اتخذت اسمها من الجنزير الذي يشبه السلسة على حواف العملة وقد سكت هذه العملة أيام السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ – ١٧٣٠م) وكلمة جنزير تحريف للكلمة الفارسية (رنجير) بمعنى السلسلة، كلمة (لي) أداة النسب التركية لذلك فالجنزرلي هو ذو السلسلة. دهمان : ص ٥٥ .

[٣]- الملواني : ص ١٦٩.

١ـ مؤلفات من سبقة : اعتمد ابن الوكيل على من سبقة من المؤرخين للأحداث التي لم يعاصرها؛ فكان يلجأ في بعض الأحيان إلى ذكر اسم الكاتب، ومؤلفه، كقوله: (هكذا قال السيوطي في حسن المحاضرة)[١] وفي حالات أخرى اكتفى بذكر اسم مؤلف الكتاب فقط، مثال ذلك: " المقريزي ،ابن عبد الحكم".[٢]

٢ . اعتماده على موظفي الدولة الرسميين في تسجيله للحوادث المتصلة بالأمور المالية، فمثلاً: عند حديثه عن الطاعون عام ١١٠٧ هـ /١٦٩٥ م الذي مات فيه أناس كثيرون يقول ابن الوكيل: " وأخبرني الفاضل عبد الكريم أمين بيت المال أنه ضبط ثمن الأكفان، فكانت عشرين كيساً"[٣]

٣. المشاهدة والملاحظة اللتان قام بهما بنفسه، فمنذ عام ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥م بدأ بذكر أحداث كل شهر من شهور السنة على حدة بعد أن كان يجملها مع بعضها في حدث واحد.[٤]

ذلك هو المنهج الذي اتبعه ابن الوكيل في تدوين كتابه، والذي تميز به مِنْ غيره، باعتباره وثيقةً مهمة لدراسة مظاهر الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية .

٢-أحمد الدمرداش كَتْخُداعزبان (ت١١٦٩هـ/١٧٥٦م):

أ-حياته :

رغم أهميتهِ كمؤرخ غير أن المعلوماتُ عنه قليلةٌ جداً، فمعاصروه لم يترجموا له، ولم يذكروه في مصادرهم التاريخية،[٥]كما أن مؤلَّفه (الدرة المصانة في أخبار الكنانة)،[٦] ضنينٌ بالمعلومات التي تحدث فيها عن نفسه، والذي يبدو فيه متواضعاً غاية التواضع، فلم يذكر سنة

---

[١]- الملواني : ص ٣٥.

[٢]- الملواني : ص ١٤،٣٨.

[٣]- الملواني : ص ١٦٣.

[٤]- الملواني : ص ١٦١ وما يليها.

[٥] -أحمد: ص ١٤٨ .

[٦]-وقد ذكره كحالة باسم (درة المحاسن في أخبار الكنانة): ج٢، ص ٥٢ .

مولده، وإنما بدأ في تدوين تاريخه عام ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٨م، وينتهي بأحداثه عام ١١٦٩ هـ / ١٧٥٦م، وقد ذكر ذلك في آخر كتابه بقوله: (وقد أنهيت تأريخي على ذلك، وإن أعطاني الله عمراً أزدته مما أراه عياناً)،[١]وبما أنه لا توجد للدمرداش كتب بعد هذا التأريخ فربما يكون قد توفي بعد عام ١١٦٩ هـ / ١٧٥٦م بقليل. [٢]

ذكر أن اسمه (أحمد)، ولم يذكر اسم والده، وكان يشير إلى نفسه بأنه " ابن خزنة،"[٣] ولم يذكر شيئاً عن حياته الخاصة؛ هل كان متزوجاً أو لا ؟. فيما يخص كنية الدمرداشي فهي نسبة إلى الطريقة الصوفية التي كان ينتمي إليها،[٤]استلم منصب كَتْخُدا(النائب)أوجاق العزبان،[٥] فقد كتب على الصفحة الأولى " كتاب الدرة المصانة..." تأليف الأمير أحمد الدمرداش كَتْخُدا عزبان،"[٦] تلقى تعليماً دينياً، بالإضافة إلى تعلمه مبادئ الفروسية والحرب، والنزال بالطريقة المعتادة التي تربّى عليها المماليك. [٧]

---

[١]- الدمرداش (أحمد عزبان): الدرة المصانة في أخبار الكنانة، تحقيق: عبد الرحيم (عبد الرحمن عبد الرحيم)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٦١.

[٢]- أحمد: ص ١٤٨.

[٣]-أي أنه تربى في حجرة واحدة مع أمثاله عند حسن أفندي باشا خليفة الذي أصبح روزنامجياً في عهد إسماعيل باشا .عزبان: المقدمة، الفصل الثاني، ص٣ .

[٤]-الطريقة الصوفية : أسسها الشيخ أبو عبد الله الدمرداشي الذي ولد بمدينة تبريز ببلاد فارس ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣ م ثم جاء إلى مصر في عهد الأشرف قيتباي فارتفع قدرة عند السلطان وظل يرتقي بالمناصب حتى وصل إلى أمير مائة وكان مهيب الجانبي ، قوى الشخصية وإلى طريقته ينتمي الدمرداش. عزبان: مقدمة ، الفصل الثاني، ص٣.

[٥]-العزبان : من أهم الفرق العسكرية في مصر العثمانية بعد فرقة الانكشارية وكان يشار إليهم في المصادر العربية باسم (عزب) أي غير متزوج .أحمد : الإدارة في مصر في العصر العثماني، ص ١٥٧ .

[٦]- الدمرداش: ص ١ .

[٧]-أحمد: ص١٤٩.

ب- أهم مؤلفاته :

(الدرة المصانة في أخبار الكنانة، وما وقع بمصر في دولة المماليك من السناجق والكشاف والسبعة أوجاقات والدولة وعوايدهم والباشا إلى آخر سنة ثمان وستين ومائة وألف).

١ - وصف الكتاب :

كتاب سردي حولي، جامع لأخبار مصر إبان العصر العثماني منذ عام ١٠٩٩ -١١٦٩هـ/ ١٦٨٨- ١٧٥٦م، يحوي معلومات على جانب كبير من الأهمية عن فروع الجهاز الإداري بمصر، و الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

٢- الخطة العامة للكتاب:

يوجد لهذا الكتاب أربع نسخ، موزعة على مكتبات أوروبه نسخة في المتحف البريطاني تحت رقم(-٤٠٠ -ms١٠٧٣)، والثانية في القسم العربي بالمكتبة الوطنية في ميونخ تحت رقم (arab ٣٩٩)، بينما وجدت الثالثة ضمن المجموعة العربية الشرقية بجوتا رقم (١٦٨٤) والنسخة الرابعة ضمن المجموعة العربية في كمبردج رقم (١٠١٢تاريخ) [١].

وقد جعل الدمرداش لكتابه مقّدمة ابتدأها بالبسملة ذكر فيها السبب الرئيس الذي دفعه إلى تأليف كتابه هذا، يقول: " ... فقد سألني بعض الإخوان عن وقائع مصر القاهرة بين السناجق والأغوات واختيارية السبعة أوجاقات من عزل(السلطان محمد خان)[٢] طاب ثراه، وتولية أخيه السلطان (سليمان خان)[٣]إلى دولة (السلطان عثمان)[٤]دام نصره عام ثمانية وستين وألف ومئة،

---

[١]-الدمرداش: الفصل الثاني ، من المقدمة .

[٢]- هو السلطان محمد الرابع تولى السلطنة (١٠٥٨-١٠٩٩هـ/١٦٤٨-١٦٧٨م).

[٣] – هو السلطان سليمان الثاني تولى السلطنة(١٠٩٩- ١١٠٣هـ/١٦٧٨-١٦٩١م).

[٤] – هو السلطان عثمان الثالث تولى السلطنة(١١٦٨-١١٧١هـ/١٧٥٤-١٧٥٧م).

ومئـة، ومـا وقـع فـي مـدة الباشـاوات المرسـولة إلـى مصـر مـن طـرف الدولـة الروميـة –هكذا كـان يطلق على الدولة العثمانية لسيطرتها على بلاد الروم–، من عام تسعة وتسعين وألف،[١]"يتناول بعدها الولاة الذين تولوا عرش مصر متطرقاً لأهم الأحداث السياسية التي جرت في عهد كل منهم والمناصب التي شغلوها، مصوراً المراسم المتبعة في استقبال الوالي الجديد لتسلم منصبه كخروج (الملاقية)[٢]لاستقباله، وإطلاق (الشنك)[٣]موضحاً الوظائف والمهام الموكلة إليه[٤]، ليس هذا فحسب بل احتوى كتابه معلوماتٍ عن جانب كبير من فروع الجهاز الإداري في مصر والفرق العسكرية والامتيازات التي تمتعت بها كما وصف الصناجق، والمراسم المتبعة في تعيين أمير الصنجق،[٥]والوظائف التي يتعين أفرادها بموجب فرمان من السلطان العثماني، وطريقة قراءة تلك الفرمانات،[٦]وكيفية عقد الاجتماعات في حالة الأزمات، وما يتبع من إجراءات لتعويض نقص الخزينة و فرض الضرائب،[٧] ولا يقتصر الكتاب على وصف نظام الحكم في مصر، بل يقدم معلومات عن الوضع السياسي. لقد تميز الدمرداش بفهمه العميق للا نقسامات والأحزاب العثمانية لأنه شارك فيها،[٨]كما أن البعض أشار إلى أن كتابه لا يمثل تاريخاً عسكرياً كما قد يتبادر إلى الذهن بل تاريخاً سياسياً لأنه صراع حول السلطة؛ فالنظام العثماني كان يقوم

---

[١] – الدمرداش: ص ١ .

[٢]– الملاقية : وهو ما يعرف ببعثة الشرف التي تصحب الباشا من إسكندرية إلى تفررشية حتى وصوله إلى الوراق (والوراق هو إحدى قرى مركز إمبابة) عزبان: ص ٢٦.

[٣]–الشنك : كلمة تركية بمعنى بهيج، وشنلك البهجة أو الطرب، وتطلق الشنك على الاحتفال الذي تطلق فيه المواقع والنيران.دهمان: ص ٩٩ .

[٤]–الدمرداش: ص٢٢٥.

[٥] – الدمرداش: ص ٧٨ – ٢٥١ ، ٧ وما يليها ٢٧ ، ٢٨ وما يليها.

[٦]– الدمرداش: ص١٥،٢٣،٢٦، ١٢٥ .وهناك الكثير من الأمثلة في النص

[٧]– الدمرداش: ص

[٨]– عمر: ص٥٨ .

على قاعدة عسكرية.[1] وقد عالج في كتابه بداية ظهور الانقسام بين الفقارية والقاسمية، ويتجلى ذلك في قوله: " وكانت مصر في وقته فريقين: سعد وحرام تبعى وكليبى ويزيدي، الحسيني رايته بيضا، واليزيدي رايته حمرا، وأكرى وقيس، وكنا نعرف سعد وحرام، من المواكب ومئة سعد بجلبة مدورة ومزراق نصف حرام ...)[2].

كما يزخر كتابه بالعديد من المعلومات عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وذلك من خلال رصده الأخبار المتعلقة بالقحط، وهجر الفلاحين أراضيهم وهبوط منسوب النيل، وما يترتب عليه من انتشار الأوبئة وارتفاع الأسعار، وحالة الفقر العامة التي دفعت الناس إلى أكل القطط،[3]وتعرضهم للنهب والسرقة والمخاطر من جانب المماليك واصفاً فرحهم لعزل الباشوات؛فعند الحديث عن عزل (رجب باشا)[4]يقول: "ونرجع إلى رجب باشا، اجتمعت عليه أولاد مصر في بركة الفيل وأتوا تحت القاعة أمام الشباك يقولون:

باشا ياباشا   ياعين القملة ياباشا

ايش قلك عقلك   تعمل دا العملة [5]

ومن الناحية الاجتماعية، قدم فكرة عن التكوين الطائفي للمجتمع المصري فيقول: (أرسل علي آغا شيخ الطباخين وشيخ الخبازين وجاب من بولاق إردب قمح، غربلة، وطحنه، ... وأحضر

---

[1]–أنيس : ص٥٦ .

[2] – الدمرداش: ص ١–٢؛ ص ٧٨ ، ٧٩ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ٤١.

[3]– الدمرداش: ص ٢٩ ، ٦٤ ، ١٦ –١٧ ، ٢٧ ، ٢٠٢ .

[4] – رجب باشا : مدة ولايته من ٢٥ ذي القعدة ١١٢٥ غرة رمضان١١٢٦ هـ/١٧٢٠م أكتوبر–٢٦ يونيه ١٧٢١م.

[5]– الدمرداش: ص ١٤١.

تجـار الـبن والصــابون ... كـذلك شـيخ السـريجانية وشـيخ المعصـرانية ... وكـذلك شـيخ الزباتين...الخ،[١]بالإضافة إلى رصده العادات المتبعة في اللباس، وإقامة الأفراح.[٢]

ومـن خـلال حديثـه عـن (الشيخ الشيمي) الـذي يصـنع عقـوداً لجلـب الحظـأوجز الحالـة العقليـة العامة التي يسيطر عليها السحر والخزعبلات.[٣]وقد اشتمل مؤلفه على كثير من المصطلحات الإدارية، والمالية، والاجتماعية، والاقتصادية، وكثير من الأمور الأخرى الهامة التي جعلت كتابه رغم قصر المدة التي أرّخ لها من المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها، ولابد من الرجوع إليها للحديث عن مصر العثمانية في القرنِ الثامنَ عشرَ .

بعد تقديم ملخص موجز عن موضوعات الكتاب ماهي الملامح العامة لأسلوب الدمرداش في التدوين التاريخي؟.

١-اتبع نظام التأريخ بالحوليات؛ من خلال ذكر سنة تولْي كل والٍ و عزله، وأهم الأحداث التي جرت في عهده.

٢- لم يوزع الدمرداش أحداث كتابه في أبواب وفصول، وإنما وزعها على السنوات فاصلاً أحداث كل سنة عن أخرى، لاجئاً في بعضالأحيان إلى دمج أحداث السنين بعضها ببعض، يقول: " ثم هلت سنة تسعة وثلاثين ومئة وألف ثم سنة أربعين ومئة وألف "[٤]،

٢-استخدم لغة العصر العامية مستشهداً بالأمثال الشعبية المتداولة بين العامة كقوله:" الذي لميجِ بشراب التوت، يجي بعيدانه"[٥] وقوله أيضاً:" الهدية قدر هاديها".[٦]

---

[١]- الدمرداش: ص ٦٦ .

[٢]- الدمرداش: ص٢٤، ١٤٩، ١٤٨، ٩٩، ٣١.

[٣]- الدمرداش: ص ٦٤ .

[٤]- الدمرداش: ص ١٧١.

[٥] - الدمرداش: ص ٨٥ .

[٦]- الدمرداش: ص١٨.

٢–زود مؤلفه ببعض الأشعار، لكن تلك الأشعار كانت ضعيفة التركيز، أقرب أن تكون زجلاً شعبياً مثال ذلك: ما ارتجله، عندما شاهد موكب أمير الحج حسين بيك عام ١١٦٨هـ/١٧٥٥م، يقول :

يوم توليت حسين بيك أميرية الحج الشريف

خطفوا عمامة رأسي طربوش مع شاش لطيف.[١]

أما بالنسبة إلى المصادر التي اعتمدها فهي:

مشاهداته الخاصة لكونه شاهد عيان لمعظم الأحداث التي سجلها، ودليل ذلك قوله: (كان العبد الحقير في باب العرب ليلتها)، و(كان العبد الحقير واقف)، و(العبد الحقير والصلبة)، و(هذا ماسمعنا عنه غيرها)[٢]

هذا هو منهج الدمرداش في كتابه(الدرة المصانة في أخبار الكنانة) الذي ألفه بدافع من هواياته الشخصية، ولم يقصد من ورائه أي أغراض شخصية كالتقرب من كبير أو عظيم.[٣]إن ما يميز الدمرداش من غيره أنه لم يتبع أسلوب المؤرخين الحوليين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين؛ فقد بدأ تاريخه بأحداث عام ١٠٩٩ هـ/ ١٦٨٨م دون ذكر مقدمات عن فضل علم التاريخ، أو تقديم موجز عن تاريخ مصر منذ بداية الخليقة.

[١]– الدمرداش: ص٢٥٧ ؛ وأشعار ص ٢٤ ،٨٢ .

[٢]– الدمرداش: ص ٦٦،٨٨، ١٤٩، ٢٥٧ .

[٣]–الدمرداش: ص ١٥١ .

هناك العديد من المؤرخين الذين ينتمون إلى مدرسة الأجناد نذكر منهم بإيجاز:

١-ابن زنبل الرمّال (ت ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢م).

أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد، نور الدين، المحلي الشافعي بن زنبل الرمّال من موظفي ديوان الجيش العثماني إلى سنة ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢ م"[١]، رافق جيش السلطان العثماني سليم الأول في أثناء حروبه ضد المماليك في مصر والشام، وقد حضر جنازة آخر المماليك (طومان باي)، وكان يتعاطى التنجيم وضرب الرمال،[٢]وقد اكتنف الغموض حياة هذا المؤرخ؛ فلم تذكر المراجع الشيء الكثير عنه، توفي سنة (٩٦٠هـ/١٥٥٢ م)، له كتاب يحمل عدة عناوين (تاريخ السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري[٣] وما جرى بينه وبين السلطان سليم شاه بن عثمان من الحروب والواقعات إلى أن مات السلطان قانصوه)، كما يسمى: (آخرة المماليك)، وأيضاً (تاريخ السلطان سليم العثماني من فتح مصر مع السلطان قانصوه الغوري).[٤]

الكتاب سجل حافل بحوادث الحرب التي قامت بين المماليك والعثمانيين منذ وقعة مرج دابق بالشام ٩٢٢ هـ / ١٥١٦م حتى هزيمة المماليك والقضاء على سلطتهم وعودة السلطان سليم الأول مظفراً إلى استانبول.

---

[١]- طربين: ص ٤٣.

[٢]- الرمال (أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد ت ٩٦٠ هـ /١٥٥٢ م): تاريخ السلطان خان السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر، مخطوط بمكتبة الاسد، د.ت ، ص ٥؛ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،ج٣، ص ٣٣٩ .

[٣]-قانصوه الغوري (ت ٨٥٠ – ٩٢٢هـ/ ١٤٤٦ -١٥١٦م) أبو النصر سيف الدين الملقب بالملك الأشرف سلطان مصر جركسي الأصل، التقى مع السلطان سليم العثماني في مرج دابق قرب حلب،انهزم عسكر قانصوه فأغمي عليه وهو على فرسه، فمات قهراً. الزركلي: ج٥، ١٨٧ .

[٤]-شاكر:ج٣،ص٢٥٩ -٢٦٠.

ابتدأ ابن زنبل كتابه بذكر منهجه في التأليف فيقول : ((... وهذه رسالة مشتملة على غزوة السلطان الأعظم والخاقان المعظم مالك رقاب الأمم، صاحب السيف والقلم، خليفة الله في العالم مولى ملوك العرب والعجم، فارس ميدان الشجاعة، حارس بنيان الشهامة، قاتل الفراعنة والجبابرة، كاسر الأكاسرة والقياصرة، مكمل الدولة العثمانية، ممهد القواعد السلطانية السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر وأعمالها))[١]

ينتقل بعدها بشكل مباشر إلى ذكر سبب الصراع بين السلطان سليم والغوري، والذي يعود إلى رفض السلطان الغوري تسليم قوقورد أخ السلطان سليم الذي هرب إلى مصر، واستجار بالغوري فأرسل السلطان سليم يطلبه من الغوري، فأبى أن يمكنه منه، فاشتدت العداوة بينه وبين الغوري حتى وقع ما وقع،[٢]ويتناول بعدها وقائع الفتح العثماني لمصر ،وبعرضه للنقاش الذي تم بين السلطان سليم وطومان باي يمكن من خلاله تفهم الدوافع الحقيقية للفتح.[٣]

كما دون ابن زنبل بعض الأحداث المهمة التي جرت في عصر السلطان سليمان القانوني كثورة الكاشفين جانم وإينال، وكذلك ثورة جان بردي الغزالي، لينهي كتابه بذكر وجوه السلطان سليمان جزيرة رودوس [٤].

تبرز أهمية مؤلفه لكونه شاهد عيان على الأحداث التي يسجلها، ودليل ذلك قوله: (قال الناقل وهو أحمد بن زنبل الرمال، وقال الراوي، وقال المؤلف الذي وصل إلى علمي)[٥]، بالإضافة إلى

---

[١]- الرمّال : ص٢.

[٢]- الرمّال : ص ٨ .

[٣]- الرمّال : ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

[٤]- الرمّال : ص ١١٣ ، ١٢٠ .

[٥]- الرمّال : ص ٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، وهناك أمثلة كثيرة في النص ٥٦ ، ٦٦ ، ٩١ ، ١٠٠ ،١١٠ ،

موضوعية في تسجيل الأحداث، فهو رغم إعجابه بالسلطان سليم وصفه بالسلطان الأعظم، والخاقان المعظم، ممهد القواعد السلطانية، وغير ذلك من الألقاب ،[1] لم يمتنع عن وصفه بأنه كان سفاكاً للدماء. [2]

اتبع أسلوب العصر الذي تغلب عليه العامية، كما أنه استخدم الكثير من الأمثال الشعبية، والتي ما تزال متداولة إلى وقتنا الحاضر، كقوله ((من لم يمت بالسيف مات بغيره))، وقوله أيضاً: (وتندم حيث لا ينفع الندم)، و(من طلب جله مات كلهُ)،[3] وغيرها الكثير

بالنسبة للمنهج المتبع في عرضه شخصيات كتابه فقد كان يذكر اسم السلطان، وتاريخ استلامه للسلطة،ومدة حكمه، وأهم الأحداث التي جرت في عهده،ليتطرق بعدها لذكر صفاته الجسمية والخلقية.[4]ومن مؤلفاته أيضاً : (تحفة الملوك والرغائب لما في البر والبحر من العجائب والغرائب)، في الجغرافية، وكتاب (المقالات في حل المشكلات)، في علم الخط والرمل والتنجيم، (والقانون في الدنيا)، وسمي: (قانون النحافة).[5]

٢-مصطفى بن إبراهيم عزبان (١١٠٠ – ١١٥٠ هـ / ١٦٨٨ – ١٧٣٧ م).

هو الحاج مصطفى بن الحاج إبراهيم تابع المرحوم حسن آغا عزبان دمرداش أحد مؤرخي غير أن المعلومات المتوافرة عنه قليلة؛ وسبب ذلك أن معاصريه – كالجبرتي – لم يترجموا

---

[1]- الرمّال : ص ٥

[2]- الرمّال : ص ١٠٤

[3]- الرمّال : ص ١٤ ، ٤٠ ، ٤٩ .

[4]- الرّمال : ص ٢٤ ، ٢٥ ، ١١٣

[5]- زيادة(محمد مصطفى): المؤرخون في القرن الخامس عشر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة،١٩٤٩م، ص ٧٦؛ الزركلي: ج١، ص١٨٠.

لـه،والمعلوم عنـه أنـه مـن أوجـاق الغـرب عـاش فـي عـام ١١٥٠ هـ / ١٦٨٨م، صـاحب كتـاب " تاريخ وقائع مصر والقاهرة من سنة ١٢٠٠ – ١١٥٠ هـ "[١]

والكتـاب سـردي حـولي، جـامع لأخبـار مصـر العثمانيـة فـي الفتـرة مـا بـين ١١٠٠ – ١١٥٠ هـ/ ١٦٨٨ – ١٧٣٧ م، خصصه الحاج مصطفى لذكر نواب الدولة العسكرية في مصر، والأحداث الهامـة التـي وقعـت فـي أثنـاء ولايـتهم وخاصـةً الصـراعات بـين الفـرق العثمانيـة،[٢]لهـذا لـم يهـتم بـالنواحي الاقتصـادية والاجتماعيـة، وإن كـان قـد أشـار إلـى أسـعار العملـة [٣] وإلـى الغـلاء الـذي حدث سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م. [٤]

لـم يـوزع أحـداث كتابـه فـي أبـواب وفصـول وإنمـا وزعهـا علـى السـنوات خاصـة أحـداث سـنة عـن الأخرى بالابتداء بأخبـار السـنة الجديـدة، مبتدئاً بأحداث سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م ذكـر خلالهـا ولاة مصـر، محـدداً مـدة حكمهـم، وأهـم الأحـداث التـي وقعـت أثنـاء ولايـتهم، ويسـتمر فـي تسلسـل السنوات، متبعاً نفس الأسفار، وصولاً إلـى سـنة ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م [٥] وقـد صـرح عـن سـبب تـأليف الكتـاب بقولـه " أمـا بعـد فقـد سـأل العبـد الفقيـر المقرّ بالـذنب والتقصـير راجـي لطـف ربـه الـرحيم الحـاج مصـطفى بـن الحـاج إبراهيم تـابع المرحـوم حسـن آغـا غربـان دمرداشـي عـن وقـائع مصـر القاهرة كنانة الله تعالى في أرضـه من عزلان السلطان محمد خان، والسلطان سليمان خـان، والسلطان أحمد خان، والسلطان مصطفى خان، والسلطان محمود خان، نصره الله تعالى من سنة مئـة بعـد الألـف إلـى تـاريخ آخـر المجمـوع والباشـاوات علـى الترتيـب مـا قـد حصـل فـي مـدنهم مـن

[١]- العزباوي : ص ١٢٢

[٢]- عزبان (مصطفى بن إبراهيم) : تاريخ وقائع مصر وألف تعهد من سنة ١١٠٠ – ١١٥٠ هـ/١٦٨٨–١٧٣٧م، مخطوط بجامعة الملك سعود ، د.ت ، ص ٢ وما يليها

[٣]- عزبان: ص ١٥ ،٢٤، ٢٥ ، ٢٩، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٤ .

[٤]- عزبان: ص ٢١، ٢٢.

[٥]- عزبان : ص ٣– ٤٣٢ .

الوقائع بين عسكر مصر والسناجق والأغاوات واختيارية السبعة أوجاق والجوربجية وواجب رعايات وأنفار محافظين مصر المحروسة بعد قتل السناجق الفقارية قبل دخول سنة مئة بعد الألف من غير ميل، أو خط نفسي إلى طرف من الطرفين لا إلى حنظل ولا إلى جندل على موجب ما شاهدته، ومن ثقة سمعته والمعجم على سالب عنه من أربابه "[١]

مال في مؤلفه إلى اتباع لغة العصر العامية وأسلوب الإيجاز والاختصار موضحاً ذلك بقوله "…. وإني لم أذكر اسم كامل السناجق،والأغاوات، واختيارية السبعة أوجاق الأمن وقعت له واقعة حال خوفاً من التطويل "

تكمن أهمية الكتاب كونه شاهد عيان للأحداث ومشاركاً فيها يتضح ذلك بقوله " على موجب ماشاهدته، بلغني أنه أتى، وما خرجت من البيت المذكور، ويرسلوا لنا نأتي[٢]

أما الأحداث التي لم يشاهدها فقد اعتمد في تسجيلها على من شاهدها، ويتضح هذا من قوله: " والمعجم على منه سألت عنه أربابه "[٣]

موضوعيته: تتجلى بقوله: " من غير ميل أو حظ نفس إلى طرف من الطرفين لا إلى حنظل ولا مندل. "[٤]

هذا ملخص موجز عن منهج الحاج مصطفى إبراهيم الحاج في التدوين التاريخي، والذي لم يختلف كثيراً من حيث الأهمية والمنهج عمن سبقه من مؤرخي الأجناد.

---

[١]- عزبان: ص ٢-٣.

[٢]- عزبان : ص ٣ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ٤٣١ .

[٣]- عزبان : ص ٣.

[٤]- عزبان : ص ٣ .

ثانياً:نموذج عن مدرسة المؤرخين التقليديين (تأريخ عام):

١-محمد بن أبي السرور البكري الصديقي (١٠٠٥ - ١٠٦٠ هـ /١٥٩٦ - ١٦٥٠م).

أ- حياته:

ظهر في مصر في القرن الحادي عشر الهجري /السابع عشر الميلادي مؤرخ كبير، عاصر الأحداث، وكتب عنها مؤلفات قيمة، وهو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي السرور البكري الصديقي الشهير (ابن أبي السرور البكري)،[١] وهو أول من استأنف الكتابة بعد ابن إياس وابن زنبل الرمّال، وشخصية هذا المؤرخ تثير التساؤل لوجود شخصيتن يحملان الاسم الأول نفسه وهو الأب(ت ١٠٢٨هـ/١٦١٩م)،بينما الثاني هو الابن الذي اختلفت المراجع في تحديد مولده ووفاته؛ فقد أشار كلٌ من(بروكلمان)، و(الزركلي) في كتابه الأعلام إلى أن ولادته في سنة ١٠٠٥ هـ /١٥٩٦م،[٢]بينما أكد آخرون أن ميلاده عامَ ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩م، معتمدين في تأكيدهم هذا أن أبي السرور أفصح عن ذلك في مؤلفه (المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية) عندما قال: " إن والده توفي سنة ١٠٠٧ هـ /١٥٩٨م، وأضاف: " وكان عمري إذ ذاك تسعَ سنوات، " فيكون مولده تبعاً لذلك عام ٩٩٨ هـ /١٥٨٩م،[٣]. هذا فيما يتعلق بتاريخ ميلاده،أما وفاته فالبعض يثبتها عام ١٠٦٠ هـ /١٦٥٠م، ومنهم من يؤخرها إلى سنة ١٠٨٧ هـ

---

[١]- هناك خلاف في صيغة الأسماء والألقاب التي أعطيت له فهو تارةً (محمد بن أبي السرور البكري الصديقي) وأخرى (شمس الدين محمد بن أبي السرور البكري) وثالثة (شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي السرور محمد البكري الصديقي) ورابعة باسم (ابن أبي السرور البكري) وخامسة (أبي السرور) وسادسة (باسم السروري) وسابعة باسم (المؤرخ البكري). البكري الصديقي (محمد ابن أبي السرور): المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تحقيق: الصباغ(ليلى)،دار النشائر، ط١، د.م، ١٩٩٥م، التقديم ص٣٦.

[٢]- بروكلمان (كارل): دائرة المعارف الإسلامية (البكري)، ترجمة: الشنتاوي(أحمد) وآخرون، طهران، د. ت،ج٤،ص٥١؛ الزركلي: ج٧، ص٦٤.

[٣]- أحمد: ص١٣١؛ الصباغ: ص ٢٦٩ -٢٧٠.

/ ١٦٧٦م،[١]لكن من المرجح أنَّ أبا السرور قد توفي في تأريخ لاحق لعام ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م، وربما عام ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م؛ فقد ذكر الرحالة (فانسليب)[٢]أنه: نقل قائمة باشوات مصر إلى عام ١٠٨١ هـ /١٦٧٠م من كتاب لابن أبي السرور[٣].

نشأ ابن أبي السرور في بيئة ثرية مادياً وفكرياً؛ فهو ينتسب إلى البيت البكري الصديقي المشهور بمصر (بيت السادة البكرية) الذي يرجع نسبهُ إلى أبي بكر الصديق (رض)، ذلك البيت الذي وصفه الحسن البوريني(ت١٠٢٤هـ/١٦١٥م)[٤] بقوله: "...وهذا البيت البكري، بارك الله فيهم من قوادمهم إلى خوافيهم، وذلك لمصادفة دعوة القطب الغوث لجدهم (الشيخ أبي الحسن) بأنّ الله جلّ وعلا يبارك في ذريتهم، ويجعلهم أهل فصاحة ولسان، وقد استجاب الله دعوته للمذكورين، وسرتْ في ذريته سراية جعلت منهم كل لسان فصيحاً، وهم بيت كبير، وفضلهم شهير"[٥].وقد تحدث عن هذا في أثناء ترجمته لجده،[٦]وبيئته الخاصة تلك جعلته أكثر إلماماً ووعياً لمجريات الأحداث في عصره.

---

[١]- أنيس: ص٢١.

[٢]- فانسليب: راهب زار مصر عام (١٦٦٤-١٦٦٥م)،وكرر الزيارة مرة أخرى سنة(١٦٧٢-١٦٧٣م)، له كتاب بعنوان(تقرير الحالة الحاضرة عام ١٦٧١م)،وصدرت له ترجمة عربية عن (المشروع القومي للترجمة).http://www.masress.com/shorouk/٣٠٢٤٢٢

[٣]- أحمد: ص١٣١.

[٤]- الحسن بن محمد البوريني: مؤرخ شامي وفقيه،وشاعر وأديب ،عاش في دمشق وتوفي فيها (٩٦٣-١٠٢٤هـ/١٥٥٦-١٦١٥م) له مؤلفات في التفسير والأدب والتاريخ . المحبي(محمد أمين فضل الله بن محب ت١١١١هـ/١٦٩٩م): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة، ١٨٦٧م، ج٢، ص٥١-٦٢.

[٥]- البوريني(الحسن بن محمد ت١٠٢٤هـ/١٥١٦م): تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق: المنجد(صلاح الدين)، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٩م، ج١، ص٢٥٨.

[٦]- الصديقي: المنح الرحمانية، ص٢١٩ ، ٢٢٠ وما بعده.

أما بالنسبة إلى تعليمه فقد كان لوالده دور كبير في حضّه على العلم؛ فحفظ القرآن وتفسيره وتعلم الكتابة، ورواية الحديث، كما ذكر أنه سمع صحيح البخارى من الشيخ (محمد الرملي)[١] وهو في السادسة من عمره،[٢]ورغم حديثه عن أسرته وعن تراثه وصلته برجال الحكم لم يترجم لنفسه ترجمة شاملة؛ فلذ تعذرت علينا معرفة المناصب التي استلمها، وربما اقتصر على الاشتغال بالتدريس في الجامع الأزهر، وعندما تقدم به السن اعتزل التدريس، اشتغل بالإفادة في منزله،وآلت إليه رئاسة البيت البكري، وحجّ إلى بيت الله الحرام في١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م، وقد كانت كلمتهُ مسموعةً عند العامة والخاصة، وشفاعتهُ مقبولةً عند الكبراء والوزراء.[٣]

ب . مؤلفاته:

لقد تزايدت في السنوات الأخيرة الدراسات حول هذا المؤرخ، ومؤلفاته الكثيرة، والتي أرّخ فيها للعصر العثماني؛ فصلته القوية بأولياء الحكم العثماني وبالولاة منهم سمحت له أن يكتب في تاريخ الحكم العثماني لمصر، وفي سير الولاة والقضاء منذ سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م حتى عصره،فترك لنا بذلك تراثاً تاريخياً هاماً، ومن المؤسف أن هذا التراث لم ير طريقاً للنشر حتى الوقت الحاضر؛ فمعظمه ما يزال محفوظاً رغم أهميته البالغة في كشف النقاب عن تاريخ مصر في القرن السابع عشر، وكما ذكرنا سابقاً أن شخصية هذا المؤرخ -مولده ووفاته- أثارت جدلاً؛بين المؤرخين؛ فمؤلفاته كانت مسار جدل؛ فبعض المؤرخين نسبوها للبكري الأب

---

[١]-محمد الرملي(٤١٩-١٠٠٤هـ/١٥١٣-١٥٩٦م) محمد بن أحمد بن حمزة شمس الدين بن شهاب الدين الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشهير (بالشافعي الصغير)، ولد في القاهر في قرية الرملة(من قرى المنوفية بمصر) أهم مؤلفاته:(شرح منظومة ابن العماد في العدد) و(غاية المرام) و(نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج) و(شرح شروط الإمامة لوالده). المحبي: ج٣، ص٣٤٢.

[٢]- الصديقي:المنح الرحمانية، التقديم ص٧٢.

[٣]-أحمد: ص١٣٠.

(ت١٠٢٨هـ/١٦١٩م)، وبعضهم الآخر نسبها إلى البكري الابن(ت١٠٦٠هـ/١٦٥٠م أو١٠٨٧هـ/١٦٧٦م)، فعلى سبيل المثال: نسب كلٌ من (حاجي خليفة)، و(إسماعيل البغدادي) و(شاكر مصطفى) كتاب (عيون الأخبار)، و(المنح الرحمانية)، و(اللطائف الربانية في ذيل المنح الرحمانية)، و(فيض المنان في دولة آل عثمان)،ومؤلف(تفريج الكربة بدفع الطلبة) و(تذكرة الظرفاء بذكر الملوك والخلفاء)[١]، وأضاف إليها أيضاً(إسماعيل البغدادي) مؤلف(الروضة الزهية في ولاة مصر والقاهرة المعزية)،[٢] نسبوها إلى البكري الأب المتوفى١٠٢٨هـ/١٦١٩م، بينما نجد أن(فهارس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب المصرية) و(دائرة المعارف الإسلامية) تنسب كلاً من(المنح الرحمانية)، و(ذيله اللطائف الربانية)، و(الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة)، ليعود(شاكر مصطفى) لينسب كلاً من(عيون الأخبار)،و(تذكرة الظرفاء)،و(التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية) إلى البكري الابن المتوفى(١٠٦٠هـ/١٦٥٠م)،وقد أفاضت الدكتورة(ليلى الصباغ) في أثناء تقديمه الكتاب المنح الرحمانية في الحديث عن ذلك[٣].

١-عيون الأخبار ونزهة الأبصار.[٤]

يشير(محمد أنيس) إلى أن النسخة الوحيدة من هذا الكتاب موجودة في دار الكتب، وتنتهي بعام ١٠٢٩ هـ /١٦٢٠م)، وقيل أيضاً إن البكري ذكر في مقدمة كتابه المنح الرحمانية أنه كتبه بعد

---

(١)-حاجي خليفة: كشف الظنون،ج١، ص٣٨٨، ٤٢٦، ٧٣١، ٧٤٥؛ ج٢، ص١١٨٤، ١٥٥٣، ١٨٥٩؛ البغدادي(إسماعيل بن محمد ت ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م): إيضاح المكنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: الكلسي(رفعت بيلكها)، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت، ج٢، ص٢١٦؛ شاكر: ج٣، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٢)- البغدادي (إسماعيل):هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مطبعة وكالة المعارف، أستانبول، ١٩٥٥م، ج٢ ص٢٧١.

(٣)- الصديقي: المنح الرحمانية، التقديم ص١٣-٣٨؛ بروكلمان:ج٤، ص٥١،٥٢.

(٤)- لم أتمكن من الحصول إلى هذا الكتاب لدراسة منهجية ابن أبي السرور واعتمد في كتابة المعلومات عنه عما كتبه المؤرخون الآخرون عنه؛ أنيس: ص٢٣.

تأليفه (عيون الأخبار) الذي انتهى به إلى زمن السلطان مراد١٠٤٢هـ/١٦٣٢م،[١]وعلى أية حال الكتاب تاريخ مختصر لمصر، والدول التي تعاقبت على حكمها إلى آخر عصر المماليك الجراكسة،وهو مجلد ضخم يقع في أكثر من أربعمئة صفحةٍ كبيرةٍ،[٢] وقد رتبه مؤلفه على تسعةَ عشرَ مقصداً أو فصلاً وبدأه بشرح فائدة علم التاريخ، وكيف يمكن به معرفة أحوال المتقدمين وما للناس من القول في مدة الزمان، واختلافهم في أعمار بني آدم،وفي ذكر من كان قبل آدم من المخلوقات، وذكر آدم، ومن جاء بعده من الإنسان، ومن الأنبياء، وملوك العرب، والفرس والروم، ثم مولد الرسول (ص) وسيرته، والخلفاء، وبني أمية، والعباسيين، والبويهيين، والسلاجقة والفاطميين، والأيوبيين، والأتراك، إلى أن وصل إلى عهد الجراكسة، والتي أفرد لها الباب التاسع عشر، وأرخ فيه لهم، مرتّباً أخبار كل دولة بحسب السنين، وينهي الكتاب بخروج السلطان الغوري إلى الشام لمقابلة السلطان سليم الأول. فهو إذاً كتاب في التاريخ الإسلامي العام مع التركيز على تاريخ مصر إلى نهاية عهد دولة المماليك.[٣]

وقد اتبع المؤلف أسلوب الإيجاز[٤] في أثناء سرد تاريخ هذه الدول(المصرية و المملوكية والتركية والجركسية)[٥].

---

[١]- أنيس: ص٢٣؛ البكري: ص١-٢؛ عمر: ص٥١.

[٢]- شاكر:ج٣، ص٢٠٠.

[٣]- زيدان: تاريخ آدب اللغة العربية، ج٣، ص٣٤٦؛ أحمد: ص١٣٦؛ عنان: ص١٧٠؛أحمد: ص٤١؛ أنيس: ص٢٢.

[٤]- الإيجاز:جمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة وعليه ورد أكثر آيات القرآن الكريم. القلقشندي:ج٢، ص٣٥٩.

[٥]- عنان: مؤرخو مصر الأسلامية، ص١٧١.

٢ . المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية:

وهو الكتاب الثاني لابن أبي السرور، تناول فيه تأريخ الدولة العثمانية منذ قيامها على يد السلطان عثمان خان، توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب بدار الكتب بالقاهرة رقم ١٩٢٢ تاريخ، ويقع في ١٩٣ صفحة[١].

أ–مواصفات الكتاب:

الكتاب بحث مختصرلخلفاء الدولة العثمانية في مصر، وأهم أعمالهم، والأحداث التي جرت في عهدهم.

ب–الخطة العامة للكتاب:

يبتدئ الكتاب بمقدمة، يتحدث فيها عن السبب الذي دفعه إلى تأليفه فيقول: (إنه بعد نجاحه في كتاب عيون الأخبار أعجب به بعض الفضلاء، وسألوه " أن يفرد منه ذكر الدولة العثمانية الجليلة الخاقانية في مؤلف لطيف مع زيادات بذكر ما حوته من مزيد السير،"وقد حقق السروري هذه الرغبة لهم؛ (لأن ملوك آل عثمان هم " عين الملوك شرقاً وغرباً، عجماً وعرباً، مع ما أظهروه من العدل والإنصاف، وإطاعة الشرع، والنظر للرعية بعين الإسعاف، إذ كان جدي يقول: مادام الملك باقياً في آل عثمان الشرع معمول به على توالى الزمان، فأسأل الله بقاء دولتهم مع مزيد رفعتهم، إذ إنها الرحمة الكاملة، والنعمة الشاملة)[٢]يتناول بعدها سلاطينالدولة العثمانية مبتدئاً بعثمان خان،[٣]ليتطرق إلى من جاء بعده من السلاطين بالتعاقب وصولاً إلى الباب التاسع الذي أفرده للسلطان سليم الأول، وأهم الحوادث التي صاحبت الحكم العثماني، ثمَّ ينتقل لذكر سلطنة السلطان سليمان، ومَنْ ولي

---

[١]– أحمد: ص١٣٦.

[٢]– الصديقي: المنح الرحمانية، المقدمة، ص١–٢.

[٣]– عثمان خان، ولد عثمان بن أرطغول سنة ٦٥٦ هـ /١٢٥٨م اعتلى العرش في مرحلة الصراع المحموم، والمصير المجهول وقد تولى قيادة القبيلة بعد وفاة والده اشتهر بالذكاء والفطنة توفي سنة٧٢٣هـ/ ١٣٢٤م، عن عمر يناهز ست وستين. عامر: ص٢٣٤.

على مصر من (البكلربكية)[١] وصولاً إلى السلطان مصطفى بن محمد (١٠٢٦ هـ/١٦١٧م)،[٢]كل ذلك من خلال تقسيم الكتاب إلى خمسةَ عشرَ باباً متبعاً الأسلوب الحولي بذكر تاريخ استلام كل والٍ، ووفاته، وأهم الأحداث التي جرت في عهده عارضاً في خضم تلك الأحداث ترجمة لأفراد أسرته وجده ووالده متحدثاً عن نسبهم، ومناصبهم، وأعمالهم، كما تضمن ترجمة لبعض المشهورين من رجال عصره الذين قدمواإلى مصر[٣]وقد رصد ابن أبي السرور الكوارث الطبيعية التي نزلت بأرض مصر بوصفه الوباءَ الذي اجتاح مصر سنة ١٠٢٨هـ /١٦١٩م،[٤] ليختم كتابه هذا بعبارة: " تمتّ المنح الرحمانية في الدولة العثمانية على التمام والكمال، ويتلوه الذيل المُسمَى باللطائف الربانية على المنح الرحمانية كتبه، لنفسه ولمن شاء الله من بعده. "[٥]

نفهم من ذلك أن للكتاب ذيلاً عنوانه " اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، " وهي عبارة عن ٩٢ لوحة مزدوجة من القطع الصغيرة، تشغل نحو عشر لوحات أخرى تحمل رقم ١٩٢٦ تاريخ[٦]. يبدأ كتابه هذا بذكر السبب الذي دفعه إلى التأليف بقوله: (وبعد، فإني حين ألفت كتابي المسمى بالمنح الرحمانية في الدولة العثمانية، وابتدأت فيه بذكر مولانا السلطان عثمان خان وختمت بذكر مولانا السلطان مصطفى وذكرت فيه بكلربكيتهم بمصر خطر لي أن أجمع تاريخاً أوردت فيه ذكر قضاتهم بمصر مع زيادات ظهرت بعد تأليف المنح،وسميته (فيض المنان بذكر دولة آل عثمان) أحببت أن أذيّل عليهما بهذا الذيل؛ لتميل إليه النفوس أعظم ميل، وابتدأت في

[١]- البكلربكية : من التركية ببلربي أي أمير الأمراء يطلق على الباشاوات وقادة الجيوش وكبار رجال الإدارة وقد كان من ألقاب الباشا في مصر في القرن السابع عشر.أحمد: هامش ص١٣٣.

[٢]-السلطان مصطفى:هو السلطان مصطفى ابن محمد بن السلطان مراد الملك الصالح الزاهد المتقشف تولى العرش ١٠٢٦هـ/١٦١٧م، بقي ثلاثة أشهر وثمانية أيام فلم تظهر كفايته للحكم لشدة بذله الأموال فخلع عن العرش، بويع مرة ثانية في عام ١٠٣١هـ/١٦٢١م ليبقى على عرش السلطنة سنة واحدة وأربعة أشهر ولم يعش بعد ذلك كثيراً.المحبي: ج٤، ص ٣٦٣ . ٣٦٥.

[٣]-الصديقي: ص٢١٠ حتى ٢٣٣؛ ص ٢٦٨ ،٢٦٩.

[٤]- الصديقي: المنح الرحمانية، ص ٣٥٧ . ٣٦٠.

[٥]- الصديقي: المنح الرحمانية، ص ٣٣٦.

[٦]- عنان: مؤرخو مصر الأسلامية، ص ١٧٣.

هذا الذيل بذكر حضرة مولانا وسيدنا سيد الملوك السالك في رعيته أحسن سلوك، من نشر العدل في الآفاق، وطنت حصاة فخاره بالاستحقاق مولانا الملك المؤيد عثمان خان خلد الله تعالى دولته علــى مــر الزمــان آمــين "[1]. يبــدأبجلوس الســلطان (عثمــان بــن الســلطان أحمــد)[2]علــى العرش،ومنجاء بعده، متطرقاً إلى أهم الأحداث التي وقعت في عهدهم، وما قيل فيهم من شعر حتى يصل إلى سلطنة السلطان الوزير (حسين باشا)[3].

ويختم الكتاب بفصل يذكر فيه من ولّىَ مصر من قضاة العسكر ذاكراً مدة كل منهم، ويسميهم جميعاً بالموالي، ويستمر في ذكرهم حتى المولى (رضوان أفندي)[4] الشهير بالمحتشم، وهو القاضي السادس والستون من قضاة الدولة العثمانية بمصر، وكانت ولايته للقضاة في سنة ١٠٣١ هـ /١٦٢١م.[5]

٣-النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية:

المؤلَّف الثالث لابن أبي السرور، وهو تاريخ موجز لمصر منذ أقدم العصور حتى عام ١٠٤٢هـ /١٦٣٢م. قبل الحديث عن محتوى هذا الكتاب لابد من ذكر ما قاله (كارل بروكلمان) عن

---

[1]- الصديقي: المنح الرحمانية، ص ٣٤٠.

[2]- عثمان بن أحمد : هو ابن السلطان محمد بن السلطان مراد بن سليم الثاني ابن سليمان بن الساطان سليم الأعظم أحد ملوك آل عثمان بل احسن هؤلاء الملوك خلقاً وخلقاً وأجملهم شيماً وطباعاً وأدب فيه شجاعة وفروسية كان ينظم الشعر التركي ولي حكم مصر ١٠٢٧هـ/١٦١٧م، قصد الشام بنية الحج عام ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م، مدة خلافته أربع سنوات وشهر واحد قتل وله من العمر سبع عشرة سنة.المحبي: ج٣، ص١٠٥ . ١٠٨.

[3]- الوزير حسين باشا: تولى عرش مصر ١٠٢٩هـ/١٦١٩م وعزل في عام ١٠٣١هـ/١٦٢٢م،كانت مدة استيلائه على مصر سنة واحدة وأربعة أشهر واثنين وعشرين يوم كان متواضعاً غاية التواضع، قليل الحجاب إلا أن أخلاقه كانت في غاية الصعوبة،أصيب بمرض في العظم في أحدى رجليه ثم عوفي منه أهم الحوادث في زمانه زيادة النيل وغلاء الأسعار.البكري الصديقي(محمد بن أبي السرور):التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية، تحقيق:عبد الرحيم (عبد الرحمن عبد الرحيم)، المطبعة دار الكتب القومية القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٤٠.

[4]- رضوان أفندي: عين قاضي الديار المصرية في عام ١ جمادى الثانية ١٠٣١هـ / ١٣ ابريل ١٦٢٢م،وعزل في١٨ شوال ١٠٣١هـ /٢٦ اعسطس ١٦٢٢مكانت مدته أربعة أشهر وسبعة عشر يوماً توفي بالإسكندرية. الصديقي: التحفة البهية،ص١٧٣.

[5]- عنان: ص١٧٤ . ١٧٥.

الكتاب بأنه نسخة أخرى من كتاب مخطوط آخر للمؤلِّف، عنوانه (الروضة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية)،لكن الدراسات المقارنة بين هذين المخطوطين أكدت أن كلاً من المخطوطين يمثل عملاً منفصلاً عن الآخر فقد قيل: إنه كتاب (النزهة الزهية) ينتهي بأحداث يوم السبت ١٠ ربيع الأول سنة ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م،[١] بينما أحداث الروضة الزهية تنتهي في ذي الحجة ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٢م).[٢] وهذا الكتاب الذي نقوم بدراسته حقّقه وعلّق عليه(عبد الرازق عبد الرازق عيسى) معتمداً المخطوطة الموجودة في دار الكتب المصرية رقم /٢٢٦٦/ تاريخ، بعد أن وضع للكتاب مقدمة تحدث فيها عن ملامح الحياة السياسية، والإدارية، والقضائية في مصر في العصر العثماني[٣].

والكتاب عبارة عن تاريخ موجز للدولة المصرية يتناول فيه تاريخ خلفاء مصر، وملوكها، ونوابها منذ أقدم العصور حتى عام ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٢م[٤]متبعاً أسلوب الاستطراد، و يبدو ذلك واضحاً في المقدمة التي أفردها للحديث عن فتح عمرو بن العاص مصرَ، لينتقل لذكر أخلاق أهل مصر،وملوكهم قبل الطوفان، وفي الجاهلية إلى زمن الإسلام وخلفائه، معتمداً في كلامه هذا ما رواه (المسعودي)، ليتحدث بعدها عن العباسيين، والأيوبيين، ومن تبعهم وصولاً إلى استلام السلطان (قانصوه الغوري)، وموته على يد السلطان (سليم الأول)، وبداية الحكم العثماني لمصر،[٥]يتطرق بعدها إلى ذكر الدولة العثمانية، مبتدئاً بدخول السلطان سليم مصر، ومن استلم استلم بعده من الولاة والحكام (البكلربكية) وقضاة العسكر شارحاً ما وقع في أيامهم من أحداث

---

[١]- يشير محمد أنيس في كتابه مدرسة التاريخ المصري أن هذا المخطوط موجود في دار الكتب المصرية يستمر حتى عام ١٠٤٢ هـ /١٦٣٢م ثم ينهي بفصل عن "خصوصيات مصر وبجمالها ومتنزهاتها وما قيل فيها نظماً شعرياً. أنيس: ص ٢٢ . ٢٣.

[٢]- الصديقي: النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية، تحقيق: عبد الرازق (عبد الرازق عيسى)، العربي للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٦٠.

[٣]- يوجد نسخة من هذا المخطوط في غوطا وفي جامعة أكسفورد البودليان. شاكر: ج٣، ص٢٠١.

[٤]- الصديقي: النزهة الزهية، ص ١١ . ٥٦.

[٥]- الصديقي: النزهة الزهية، ص ٧٤ . ١٢٣، أحمد: ص١٣٨؛ عنان: مؤرخو مصر الأسلامية، ص١٧١.

حتى سنة ١٠٤٢ هـ/ ١٦٣٢ م،[١]كل ذلك بشيء من التبسّيط و الإيجاز متبعاً نسقاً واحداً وطريقة واحدةً من خلال ذكر تاريخ تولية كل باشا ووفاته، والحوادث التي جرت في عهده . [٢]

ومِنْ ثَم يَّختم الكتاب بفصل عن خصوصيات مصر، وعجائبها، ومتنزهاتها، وحفلاتها، وما ورد بشأنها في القرآن والحديث، وما نُظم فيها من الشعر متطرقاً إلى الحديث عن الأشهر القبطية، والمزروعات المصرية، وغير ذلك من أمور مهمة لا يُستغنى عنها [٣].

صرح ابن أبي السرور في كتابه بالأسباب التي دفعته لتأليفه بقوله: " هذا، وقد بينا وقايعهم وتواريخ مددهم في تاريخنا الكبير؛ لأن قصدنا بهذا الكتاب من ولى تخت مصر."[٤]

٤ . الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة:[٥]

وهو المؤلَّف الرابع لابن أبي السرور، وهو مخطوط بدار الكتب بالقاهرة رقم ٢٢٦١ تاريخ كتبه المؤرخ عام ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٤ م، وذكره باسم (المؤلف الصغير)،[٦]وهو موجز عن كتبه السابقة؛ فيقول في مقدمته :" فهذا الكتاب حوى من المحاسن بهجها ، ومن اللطايف أنضرها اقتطفت فيه أزاهير تواريخي التي ألفتها، وجعلته خاصاً بحكام الديار المصرية في الدولة الشريفة العثمانية، مع ما يضاف إلى ذلك من فضايلها وسميته (الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة)."[٧]

---

[١]- الصديقي: النزهة الزهية، ص ١٢٤ ، ٢٣٨ .

[٢]- الصديقي: النزهة الزهية، ص ١٢٤- ٢٣٨ ، ويوجد أمثلة كثيرة في النص.

[٣]-الصديقي: النزهة الزهية، ص ٢٤ -٣٢٩ .

[٤]- الصديقي: النزهة الزهية، ص ١٢٤ .

[٥]-حققه وعلق عليه، عبد الرازق عبد الرازق عيسى ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ ، اتبع الأسلوب نفسه في تحقيقه الكتاب النزهة الزاهية بوضع مقدمة عن الملامح السياسية والإدارية والقضائية .

[٦]-أحمد: ص ١٣٩ .

[٧]-الصديقي: الروضة المأنوسة، ص ٢٤ .

الكتاب يتألف من ثلاثة أبواب: تناول في أول باب فضائل مصر في الكتاب الكريم، وفي سنّة النبي العظيم، وتحدث عن سبب تسمية مصر بمصر، وما قيل من أسباب تسميتها من قبل العلماء والكتاب، وما روى النبي (ص) عن مصر، وذكر دعاء الأنبياء لمصر وأهلها، واختيارها سكناً للصحابة والملوك. [١]

والباب الثاني خصصه لذكر مَن ولّي حكم مصر من البكلربكية من عهد سليم خان ٩٢٢ هـ /١٥١٧م إلى سنة ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٤ م، وأعمال كل باشا، والأحداث التي وقعت في عهده[٢].

عالج في الباب الثالث قضاة العسكر حتى سنة ١٠٥٥ هـ / ١٦٤٥ م، وقد اعتمد في كتابة هذا الجزء على أخبار العزل أو جلوس الوزير أو الحاكم على تخت مصر [٣].

اتبع الأسلوب ذاته الذي اتبعه في كتاب (النزهة الزهية)،والجديد في هذا الكتاب هو ما يتعلق بذكر الحكام والقضاة العثمانيين؛ أي ما يحتويه الباب الثالث، أما البابان الأول والثاني فليس فيهما أي جديد، بل اعتمد على ما كتبه (الكندي)، و(ابن زولاق)[٤] .

٥ . الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة :

المؤلَّف الخامس لابن أبي السرور، وهو كتاب عام عن مصر، مكون من ٢٠ باباً، ولا توجد أية نسخة من هذا الكتاب بمصر، وإنما توجد نسخة منه في المتحف البريطاني بلندن رقم ١٩٥٢ تاريخ وله صورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤١٦ تاريخ، يقع في ١٣٢

---

[١]- الصديقي:الروضة المأنوسة،ص ٤٣ – ٦٤.

[٢]- الصديقي:الروضة المأنوسة،ص ٦٥ ، ١٥٩ .

[٣]- الصديقي:الروضة المأنوسة،ص ١٦٠ – ٢٠٢ .

[٤]-الكندي (٢٨٣- ٣٦٠ هـ / ٨٩٧ – ٩٦١ م) أبو عمر الكندي محمد بن يوسف بن يعقوب ابن حفص بن يوسف بن نصير ولد في في فسطاط مصر أهم آثاره (تسمية ولاة مصر). عنان: مؤرخو مصر الأسلامية، ص ٢١ ، ٢٣ .

–ابن زولاق : (٣٠٦- ٣٢٧ هـ /٩١٨–٩٣٨ م) أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن زولاق اللبني المصري، ولد بفساط مصر كان جده الحسن من مشاهير العلماء نشأ في عهد الدولة الإخشيدية واتصل بجوهر الصقلي فاتح مصر وبالخليفة المعز لدين الله أهم آثاره (خطط مصر) . عنان: مؤرخو مصر الأسلامية، ص٣٤- ٣٦ .

صفحة،[1]وهو كتاب عن تاريخ مصر العام منذ أقدم العصور، يتناول ملوك مصر قبل الطوفان وقبل الإسلام حتى عصر الإسلام ثُمَّ خلفاءُها، ونوابها، وملوكها، وسلاطينها، كما تطرق لذكر تاريخ ولاة مصر في عهد ولاية السلطان سليم الأول إلى سنة ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م [2].

٦ . كشف الكربة برفع الطلبة[3]:

المؤلَّف السادس لابن أبي السرور، وهو مخطوطة بمكتبة رفاعة رافع الطهطاوي بسوهاج رقم ٢٨٠ تاريخ، ويقع في ٨٤ صفحة،[4]وهو مختصر عن تاريخ مصر، ذكر أنه ألّفه بمناسبة فتنة الجند التي حدثت بسبب مغالاتهم في فرض ضريبة الطلبة، ثم انتهت بانتصار (محمد باشا)[5]عليهم (١٠٠٦ – ١٠١٠هـ/ ١٥٩٧ – ١٦٠١ م)، ويتضمن الكتاب تصويراً وافياً لمظالم الريف وأهله، وقد عرف معنى الطلبة بقوله: " وهو مطلب يفرضه الجند على ناحية ما دون وجه حق." وقد ذكره البكري باسم(تفريح الكربة لرفع الطلبة). [6]

٧-التحفة البهية في تملّك آل عثمان الديار المصرية:

توجد نسخة من هذا المخطوط في فيينا رقم cod.٢٨٤,af ٢٨٣[7]،وتوجد نسخة أخرى بمكتبة جامعة تل أبيب رقم m.f.r.٤٨١،والمخطوط يضم ٨٦ ورقة مكتوبة على الجهتين ومسطرة، كل صفحة تضم مابين ١٠-١١ كلمة مكتوبة بخط جميل، ويقرأ بسهولة.[8]

---

(١)-أحمد: ص ١٤٠ .

(٢)-بروكلمان: ج٤ ، ص ٥١ .

(٣)-حققه الدكتور عبد الرحيم: (عبد الرحمن عبد الرحيم)، ونشره في المجلة التاريخية العدد ٢٣ عام ١٩٧٦م.

(٤)-أحمد: ص ١٤٢ .

(٥)-محمد باشا: تولى عرش مصر عام١٠٠٤هـ/١٥٩٦م وعزل في عام ١٠٠٦هـ/١٥٩٨م كانت مدة ولايته على مصر سنتين وشهرين وعشرين يوم، كان شديد السؤال عن الفقراء وأهل العيال،أنعم على أهل مصر، وأغدق عليهم الخيرات، جدد الجامع الأزهر حدث في عهده فتنة قام بها العساكر في أول رجب ١٠٠٦هـ/٧ فبراير ١٥٩٨م.الصديقي: التحفة البهية، ص١١٨-١٢٠.

(٦)-مصطفى: ج٣، ص٢٠٠؛أحمد: ص ١٤٣ .

(٧)- مصطفى: ج٣، ص٢٠٠ .

(٨)- الصديقي: التحفة البهية، التقديم ص٢٦.

يفهم من عنوان الكتاب أنه اقتصر على أحداث ضم آل عثمان للديار المصرية، لكن المؤلف دفع لزخم الأحداث التي شهدتها مصر في (القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس عشر والسابع عشر الميلاديين)إلى تقديم صورة واضحة ودقيقة عن تاريخ مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

بدأ المؤلف كتابه بذكر المنهج الذي اتبعه في تأليفه بقوله:"وبعد : فهذه أوراق ظريفةٌ، جُمِعتْ فيها لطائف منيفة، في ذكر الدولة العثمانية وتملكها لهذه الأقطار المصرية".[١]

ينتقل بعدها لذكر العناوين الرئيسة التي تضمنها الكتاب بقوله:" ورتبته على ثلاثة أفرع:

الفرع الأول : في ذكر فتح مولانا السلطان سليم خان بن المرحوم بايزيد خان لمصر .

الفرع الثاني: في ذكر ولاتها من البكلربكية، من سنة ثلاث وعشرين وتسعمئة إلى سنة ثمان وثلاثين وألف[٢].

الفرع الثالث: في ذكر جميع قضاتها من الفتح المذكور إلى هذا التاريخ.

وسميته (التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية)[٣]

ومِنْ ثم ينتقل لسرد أحداث الصراع بين السلطان سليم الأول العثماني والسلطان الغوري المملوكي شارحاً أسبابه ومتطرقاً إلى أحداث الصراع بين باشوات مصر من جهة،وأوجاقات الحامية العثمانية من جهة ثانية، ومانتج عنه من زيادة في نفوذ الجند، ثُمَّ القيام بثورتهم موضحاً أثرَ ذلك في الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية .[٤]

---

[١]- الصديقي: التحفة البهية، ص٣١.

[٢]- ٩٢٣-١٠٣٨هـ/١٥١٧-١٦٢٨م.

[٣]- الصديقي: التحفة البهية، ص٣١.

[٤]- الصديقي: التحفة البهية، ص٣٢-١٠٣.

درس في الفصل الثاني ولاة مصر من البكلربكية ذاكراً تاريخ استلام وعزل كل والٍ،وأهم الأحداث التي جرت في عهد هم؛كارتفاعأونقص منسوب النيل،وما نجم عنه من حدوث غلاء، وانتشار الأمراض والأوبئة واصفاً جشع الباشوات، واعتداءهم على الرعية، وقيامهم بالمصادرات،وغير ذلك .[1]

خصص الفصل الثالث لقضاة الدولة العثمانية متبعاً أسلوب الفصل الثاني نفسه بذكر تاريخ استلام وعزل كل قاضٍ. [2]

ينهي كتابه هذا بقوله:"هذا آخر ماوجُد من هذا الكتاب، والله الموفق للصّواب"[3].

وتوجد مجموعة أخرى من المصنفات نسبت إلى البكري منها: (قطف الأزهار) الذي لخّص فيه خطط المقريزي و(دور المعالي الجليلة) في التصوف و (الفيض المنّان بذكر دولة آل عثمان)[4].بعد التطرق بعبارات مقتضبة إلى أهم ماتضمنته مؤلفات ابن أبي السرور ماهي الأسباب التي أعطت كتبه تلك الأهمية:

١ . صّورَ الحياة داخل المجتمع المصري منذ بداية الفتح العثماني لمصر حتى الربع الأخير من القرن السابع عشر، ذلك القرن الذي يمثل مرحلة وسطى بين القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي الذي يمثل مرحلة الفتح والقوة، والقرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي عصر الانحلال والتدهور [5].

---

[1]- الصديقي: التحفة البهية، ص١٠٤-١٦٢.

[2]- الصديقي:التحفة البهية، ص١٦٣-١٧٤.

[3]- الصديقي:التحفة البهية، ص١٧٤.

[4]- زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣، ص ٣٤٦؛ والزركلي : ج٧ ، ص ٦٤.

[5]-أحمد: ص١٣٠ ، ١٣١ .

٢. تبرز أهمية مؤلفاته الكبرى لكونه شاهد عيان معاصراً لمعظم الأحداث التي سجلها، كما أن علاقته القوية برجال الحكم والإدارة مكنته من الاطلاع على أدق التفاصيل، ودليل ذلك قوله:(سمعت الوزير، أو أخبرتني الجماعة، شاهدت ذلك)،و(وبلغني من شخص)، و(رأيت من كتاب)[١].

٤. موضوعيته وأمانته في استقصاء الحوادث: فعندما يتحدث عن الأحداث التي لم يعاصرها أولم يشاهدها كان يردُ عبارة (الله تعالى أعلم، وفي زمنه) ، أو قوله: (ولم أقف لهما على تواريخ تولية ولا عزل اعتمد عليه)، وقوله: (وأخبرني بعض جماعة)، وعند عدم ثقته بالأمر يقول:(ولا التزام الصحة)[٢]

٥- تزخر مؤلفاته بالعديد من المصطلحات الإدارية والعسكرية والاجتماعية والمالية الخاصة بمصر نذكر منها(الدفتردار، جامكية، البكباشي).[٣]

٦ -أفاد بمعلومات عن الحياة الاجتماعية، والاقتصادية من خلال رصده العادات المتبعة في الاحتفالات، وأنواع المزروعات، كما أنه حدد الأراضي الصالحة للزراعة، وكُل نوع من تلك المزروعات والأوبئة المنتشرة، وما صحبها من غلاء، وفقر، وهجر الفلاحين أراضيهم.[٤]

---

[١] -الصديقي: النزهة الزهية، ص ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٦؛ المنح الرحمانية: ص ١٨٠ ، ٢٧٦ ، ٣٢٢ ؛ الروضة المحروسة: ص ٥٤، ٧٦،١٤٤؛ التحفة البهية: ص١١٠، ١٢١، ١٤٠، ١٤١.

[٢]- الصديقي: النزهة الزهية، ص ٢٦ ، ٢٣ ، ١٤١ ، ١٥١، ١٥٣؛ المنح الرحمانية :ص١٨٠، ٢١٠ ، ٢٤٩ ، ٣٥٦ ، ٣٧٧ ؛ التحفة البهية: ص١٦٣،١١٠، ١٦٤، ١٦٥.

[٣]-الدفتردار: هو المشرف على الشؤون المالية وكان الدفتردار في مصر يعين في بداية العصر العثماني من الشخصيات العثمانية ولما زاد نفوذ الأمراء المماليك أصبحت هذه الوظيفة من نصيبهم. أحمد: الإدارة في مصرفي العصر العثمانية، ص ٢٩٨ – ٣٠١
-جامكية : وهي تعني الرتب الذي يحصل عليه أفراد الأوجاقات العسكرية وهي من الفارسية ، جامة ، بمعنى اللباس ومعناها اللغوي هو مصروفات دولاب الملابس، وهي في الاصطلاح الجراية الشهرية فهي من ناحية أجر ومن ناحية منحة. سليمان (أحمد سعيد): تأصيل ما ورد في الجبرتي من دخيل، دار المعارف، د. م، ١٩٧٨ ، ص ٥٩.
البكباش : رتبة عسكرية عثمانية استعملت في الجيوش واستبدلت بكلمة المقدم. سليمان: ص ٤٥

[٤]-الصديقي: النزهة الزهية، ص ٢٥١-٢٥٤ ، ٣٢١ – ٣٢٧ ؛ المنح الرحمانية: ص ١٦٦ ، ٣٥٦ ، ٢٧٦؛ الروضة المحروسة، ص ٨٨ ، ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٤٣ ؛ التحفةالبهية : ص٠٤، ١٠٩، ١١٤، ١٢١، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١.

٧ . عرض صورة واضحة للحالة العقلية العامة التي سيطرت عليها الخرافات والشائعات، والتي كانت منتشرة بصورة كبيرة بين الناس في ذلك الزمن[١].

بعد التعرّف على أهمية الكتاب هناك سؤال يطرح نفسه: ما هو المنهج الذي اتبعه أهو حولي؟ أم تراجم؟ أم ماذا ؟

١– اتبع ابن أبي السرور منهج من سبقه من المؤرخين؛ فكتبه تبدأ بالحديث دائماً عن بدايةالخليقة، لكنه أوجد لنفسه منهجاً خاصاً في تدوين تواريخه؛ فهو يؤرخ لمصر العثمانية عن طريق تناوله الباشوات المصريين، وذلك من خلال سرد الحوادث وفق عصر كل والٍ بذكر تاريخ توليته، وعزله وأهم الأحداث في عهده.

٢– أعرب عن رغبته في الاختصار، وعدم الإطالة، يتجلى ذلك بقوله: (هذا ملخص أمرهم إجمالاً)،[٢] وقوله:" قصدنا في هذا الكتاب أخذ زبدة الكلام والله سبحانه وتعالى أعلم"[٣]

٣–اتبع أسلوباً سردياً سلس العبارة، وألفاظاً سهلةً وواضحةً، ونجده في بعض الأحيان يلجأ إلى استخدام أسلوب الاستطراد.[٤]

فيما يخص موارده التي اعتمد عليها فهي متنوعة تراوحت بين:

١–كتب سابقة لمؤرخين آخرين سبقوه زمنياً نقل عنهم (كالمقريزي، والسيوطي،ابن إياس وغيرهم).

٢–المشاهدة والملاحظة التين قام بهما بنفسه لكونه شاهد عيان على معظم الأحداث التي كتب عنها.

هذا منهج ابن أبي السرور الخاص الذي قلّد فيه من سبقه من المؤرخين، ولكنّه استطاع أن يكون له منهجاً خاصاً ابتعد فيه قدر الإمكان عن الأسلوب الحوليوالذي ظهر واضحاً من خلال

---

[١]– الصديقي: النزهة الزهية، ص٢٨٠ .

[٢]– الصديقي: المنح الرحمانية، ص ٣٠٧ ، ٣٧٧ .

[٣]– الصديقي: ص٦٤ .

[٤]– البكري: النزهة الزهية، ص٧٤،٧٥.

مؤلفاتهالتي تتعلق معظمها بالحكم العثماني لمصر حتى الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وهي مصادر لها أهميتها وقيمتها،ولابد من العودة إليها عند الحديث عن مصر العثمانية، ولكن للأسف ما تزال معظم مؤلفاته مخطوطة وغير منشورة لمّا تر النور بعد.

هناك العديد من المؤرخين الذين ينتمون إلى مدرسة المؤرخين التقليديين سنتطرق إليهم بإيجاز نذكر منهم:

١ـ ابن إياس : (ت ٩٣٠ هـ /١٥٢٤ م):

هو زين الدين أبو البركات، محمد بن أحمد بن إياس الناصري الجركسي الحنبلي من تلاميذ السيوطي، ولد في القاهرة سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م، من أسرة مملوكية حيث إن جده كان من مماليك السلطان (الظاهر برقوق)[١]، وتدرج من المناصب حتى تولى وظيفة الدوادار.[٢]

أما أبوه (شهاب الدين أحمد) فكان على قول ابن إياس من مشاهير أولاد الناس، وكان من المحبين لأمراء الدولة وأربابها،[٣]كان ابن إياس ذا علاقة قوية مع سلطان المماليك (قاتيباي)[٤] والسلطان (قانصوه الغوري)،ويبدو أن قربه من القصر المملوكي سمح له المجال للكتابة والتأليف

---

[١]-الظاهر برقوق (٧٣٨- ٨٠١هـ/ ١٣٣٨-١٣٩٨م) أول من ملك مصر من الشراكسة جلبة أحد تجار الرقيق واسمه عثمان باعه فيها ثم أعتق وذهب إلى الشام انتزع السلطة من آخر حكام بني قلاوون الصالح أمير حاج " سنة ٧٨٤هـ/١٤٦٩م لقب بالملك الظاهر. الزركلي: ج٢، ص٤٨.

[٢]-الدوادار : هو لقب إداري اجتماعي مملوكي، ويعنيأنه الشخص الذي يمسك الدواة للسلطان وإبلاغه بالرسائل الصادرة عنه وتقديم الشكاوي إليه. القلقشندي: ج٥، ص ٤٦٢.

[٣]-زيادة: ص٤٧.

[٤]-قايتباي : (٨١٥-١٩٠١ هـ / ١٤١٢ - ١٤٩٦م) أبو النصر سيف الدين سلطان الديار المصرية من ملوك الجراكسة بويع سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م فتلقب بالملك الأشرف وكانت مدة حكمه حاملة بالعظائم والحروب وسيرته من أطول السير توفي بالقاهرة تعرضت البلاد في أيامه لأحدث خطيرة منها محاولة العثمانيين احتلال حلب. الزركلي: ج٥، ص ١٨٨ .

فـي التـأريخ المملـوكي، وقـد وصـفه المستشرق مرجليـوث بأنـه مـؤرخ الـبلاط المملـوكي،[١]وتعـود شـهرته إلـى كتـاب (بـدائع الزهـور فـي وقـائع الـدهور)،وقـد عـرف أيضـاً باسـم (تـاريخ مصـرلابن إياس)،[٢] والكتاب يحوي أخبار مصر منذ أقدم العصور إلى أوائل الحكم العثماني،بدأ بتأليف كتابه هذا حوالي سنة٨٩٩هـ/١٤٩٣م، فجاء في أحد عشر جزءاً، وكان قد عزم على أن يضيف إليه ليصبح اثني عشر جزءاً لولا موته سنة ٩٣٠ هـ/١٥٢٤م.[٣] يتضمن الكتاب أحوال مصر الداخلية خلال الطور الأخير للدولة المملوكية دون أن يركز اهتمامه على ناحية خاصة منها؛ فقد كتب عن ولاية الحكام والخلفاء ووفاتهم، وعن الثورات الداخلية وطغيان المماليك، وعن نظم الحرب والإدارة، كما كتب عن الحياة العامة والحالة الاجتماعية، والأعياد، والمواسم، والحفلات الشـعبية، ومواكـب الحكـام، واسـتقبال السـفراء، ومايتصـل بـذلك مـن خلـع وهـدايا ورسـائل، ومـا تعرضت له البلاد من أوبئة، وأمراض، وحوادث الكسوف، والخسوف، وارتفاع مناسيب النيل في زمن الفيضان، وتأثير ذلك على الأوضاع الاقتصادية، وما أُنشئ من عمائر ومساجد ومدافن، وما اتصل بأخبار العلماء والشعراء والأعيان والوفيات، كتبه على طريقة الحوليات الشائعة بين مؤرخي ذلك العصر، كما أنه اتبع أسلوب الاختصار والدقة في استقصائه الحوادثَ والحقائقَ؛ فقد ذكر في مقدمة كتابه أنه طالع سبعة وثلاثين تاريخاً حتى استقام له ما أراد،[٤]وتعود أهمية كتابه إلى أنه لم يتبع أسلوب من سبقه من كتاب التاريخ في عرضه الحوادث والوقائع والوفيات

---

[١]-سليم (محمد رزق): عصر سلاطين المماليك ونتاجهم العلمي والأدبي، القاهرة، ١٩٤٧ م، ج٢ ، ص ١٧١.

[٢]-زيادة: ص ٥٢.

[٣]- زيدان: آداب اللغة العربية، ج٣، ص٣٣٨.

[٤]- ابـن إيـاس (محمد بـن أحمـد ت ٩٣٠هـ - ١٥٢٤ م) بـدائع الزهـور فـي وقـائع الـدهور، تحقيـق: مصـطفى(محمد)، دار المعـارف د.م،١٩٥١م، ص ٢٣-٢٤ ؛ طربين، ص٣٧.

بل كان يقف عند كل حادثة يشرح، ويتعقب، ويفلسف مع شيء من القسوة في الحكم، والجرأة في التقدير [١].

ومن مؤلفاته أيضاً (عقد الجمان في وقايع الزمان)، وهو كتاب مختصر عن تاريخ مصر (نشق الأزهار في عجائب الأقطار) ويسمى أيضاً (فريدة العجائب وبغية الطالب) في الفلك والهيئة والكون و(كتاب مرج الزهور في وقائع الدهور) في قصص السلاطين والأنبياء.

٢- الإسحاقي (ت ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠م):

هو محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن الإسحاقي المنوفي الشافعي، وسماه المحبي (عبد الباقي)، كان قاضياً، عالماً، مؤرخاً، كثير النظم، صحيح الفكر، وله تاريخ لطيف و رسائل كثيرة، تتلمذ ببلده على يد شيوخ كثيرين، وكان يتردد إلى مصر وأخذ فيها عن أكابرعلمائها،[٢]هو من أبرز مؤرخي مدرسة العلماء، ومن مؤلفاته (لطائف أخبار الأُولَ فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول)، وقد رتبه على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، وطُبع في القاهرة، أرخ فيه لِمَنْ ولّيَ مصر من حكام (منذ الفتح العربي) إلى أوائل القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي متبعاً في تأليفه الأسلوب الحولي بذكر تعيين وعزل كل باشا وأهم الأحداث التي جرت في عهده، ومن أهم مميزات كتابه أنه يهتم بذكر أسعار بعض الحاجيات مما يعطينا فكرة عن الحالة الاقتصادية في ذلك الوقت،[٣]وفيما يخص نظرته للتاريخ فهو لديه (فن وليس علماً، فن ينبغي الإحاطة به) وليس فقط لما فيه من عناصر التشويق، والإمتاع

---

[١]- زيادة: ص٥٣-٥٥.

[٢]- المحبي : ج٢، ص ٢٨٩؛ سركيس (يوسف اليان): معجم المطبوعات العربية والمعربة، مكتبة الثقافية الدينية، بورسعيد، د.ت ج١، ص ٤٣١ . ٤٣٢.

[٣]- طربين: ص ٣٩-٤٠.

والفكاهة، ويقول: (فإنه لا يخفى على كل ذوق سليم، وفهم رائق مستقيم أن فن التاريخ من فاكهة المفاكهة بالغاية القصوى، ونهاية الشأن في الطلاوة والجدوى لأنه توقيع وقائع الزمان، وتدوين الحوادث الدائرة بها الدوران... كان رؤية أهلها محب ... إلى أخر ما قال)[١]، توفي سنة ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠ م في بلدة منوف،[٢] ومن مؤلفاته التاريخية أيضاً (الروض الباسم من أخبار من مضى من العوالم) وهو تأريخ للرسول، والخلفاء الراشدين، والأمويين، والعباسيين والفاطميين، والسلاطين الأيوبيين، وتأريخ مصر إلى سنة ١٠٤٢ هـ/١٦٣٢م.[٣]

وأما المدرسة الثالثة التي فهي مدرسة التراجم، وأبرز نموذج فيها هو عبد الرحمن الجبرتي سيرد دراسة عنه في الفصل الرابع لكونهاتشكل مرحلة انتقالية بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

بعد التطرق إلى بعض نماذج مؤرخي مصر العثمانية بالإمكان تلخيص الخصائص العامة لحركة التأليف التاريخي بما يأتي:

١-لقد اعتمد مؤرخو مصر العثمانية في تواليفهم الاستطراد، يفتتح كل منهم كتابه بالبسملة والحمد لله، والصلوات الطيبات، ثم ينتقلون إلى شيء من التاريخ المختصر لمصر منذ بداية الخليقة ثم إلى الأحداث الأقل اختصاراً، هكذا إلى أن يصير الكتاب سجلاً للأحداث اليومية، وقد يتخلل هذا السجل شيءٌ من أسعار المحاصيل، والحاجيات، أوالمحن والمجاعات وغيرها.

٢- اتبعوا الأسلوب الحولي من خلال التأريخ للولاة بذكر تاريخ استلام، وعزل كل والٍ، والتطرق إلى أهم الأحداث التي جرت في عهدهم.

٣- اتصفت مؤلفاتهم بالعامية، وكثرة استخدام الأمثال الشعبية المتداولة، كما تزخر كتبهم بالعديد من المصطلحات الفارسية، والتركية.

---

[١]- الإسحاقي المنوفي (محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد ت ١٠٦٠ هـ /١٦٥٠ م): كتاب أخبار الأول بمن تصرف في مصر من أرباب الدول، مخطوطة بجامعة الملك سعود، ص ١،٢؛ طربين: ص ٣٩. ٤٠ .

[٢]- المحبي: ج٢، ص٢٨٩.

[٣]- زيدان : آداب اللغة العربية، ج٣ ، ص ٣٤١؛ الزركلي: ج٦ ، ص٢٤٧.

أما مصادرهم التي اعتمدوها في تأليفهم فهي:

١-أتبعوا أسلوب الاجترار، والترديد، والنقل عن أسلافهم السابقين من المؤرخين القريبين منهم زمنياً.

٢-اعتمدوا على أنفسهم بوصفهم شهود عيان على الحدث.

وخير من يصف منهج التدوين التاريخي أحدُ علماء الأزهر بقوله: "ولقد فترت همة المتأخرين من العلماء عن التأليف،فعمدوا إلى مصنفات السلف الصالح رضوان الله عليهم وشرحوها، ثُمَّ عمدوا إلى الشرح فشرحوها، وعمدوا إلى الحواشي فشرحوها،وسموا ذلك تقريراً فتحصل عندهم ما هو أصل المصنف، وشرح الشرح، وشرح شرح الشرح، وكانت النتيجة أن تطرّق الإيهام إلى المعاني الأصلية، واضطربت المباحث، واختلت التراكيب، وتعقدت التيارات، واختفى المراد للمصنف".[١]

هذا دليل سقم الأسلوب الذي كتب فيه بعض مؤرخي العصر العثماني، ولاسيما من ينتسب (للأجناد والعامة) من المؤرخين، فقد احتوت كتاباتهم تعابيرَ وجملاً ركيكةً لا تمت إلى العربية الفصحى بأية صلة[٢].

---

[١]- عبد الكريم: ج١، ص٥٤٩.

[٢]- طربين: ص١٤.

الفصل الرابع

نماذج عن رواد الحركة التأريخية في عصر اليقظة حتى الاحتلال الإنكليزي(١٢١٣-١٣٠٠هـ/١٧٩٨-١٨٨٢م)

أولاً. نماذج عن مدرسة السير والتراجم:

١- عبد الله الشرقاوي(١١٥٠-١٢٢٧هـ/١٧٣٧-١٨١٢م).

٢- عبد الرحمن الجبرتي (١١٦٧ هـ -١٢٤٠هـ /١٧٥٣ ـ ١٨٢٥م).

ثانياً: نماذج عن مؤرخي عصر اليقظة:

١-رفاعة رافع الطهطاوي : (١٢١٦-١٢٩٠هـ / ١٨٠١-١٨٧٣م).

٢-علي مبارك: (١٢٣٩-١٣١١هـ/١٨٢٣-١٨٩٣م).

أولاً:نماذج عن مدرسة التراجم:

لقد شهدت مصر في أواخر القرنِ الثامنَ عشرَ مجموعةً من العوامل، والأحداث التي شكلت قوى التغيير في المنطقة، تلك العوامل التي كانت سبباً رئيساًللنضج والانتعاش اللذين أصابا كثيراً من العلوم، وكان التاريخ أحد هذه العلوم، أول تلك الأحداث هو الحملة الفرنسية على مصر، والتي شكلت حافزانبه المصريين إلى نمط جديد من الحضارة يختلف عن النمط السائد في المجتمعات الشرقية، وينبغي الأخذ به، وهذا ماتم على يد محمد علي الذي مثل ظهوره الحدث الآخر للتطور الفكري الذي شهدته مصر.

١-عبد الله الشرقاوي (١١٥٠ - ١٢٢٧ هـ / ١٧٣٧ - ١٨١٢ م):

أ-حياته:

هو الشيخ عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشافعي الأزهري، شيخ الجامع الأزهر، الشهير بالشرقاوي، ولد ببلدة تسمى الطويلة [١] بشرقية بلبيس بالقرب من القرين عام ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧م [٢] قدم إلى مصر، وتفقه في الأزهر، وتتلمذ على يد عدد كبير من الأساتذة والشيوخ وارتقى حتى صار أستاذاً في الأزهر، ولما جاء الفرنسيون إلى مصر كان له مقام رفيع؛ فانتخبوه لرئاسة الديوان الذي شكلوه بمصر لإدارة شؤون البلاد .[٣]

---

[١]- الطويلة : قرية قديمة كانت تسمى (منزلة نعمة) كانت تابعة لمركز ههيا وفي سنة ١٩٣٣م الحقت بمركز فاقوس لقربها منه الجبرتي : عجائب الآثار، ج٤، هامش ص ٢٥٦، حاشية رقم٢.

[٢]- الجبرتي :عجائب الآثار، ج٤ ، ص ٢٥٦

[٣]- زيدان : آداب اللغة العربية، ج٤ ، ص ٦١٨

ب-أهم مؤلفاته:

له العديد من المؤلفات في الفقه الشافعي واللغة من شروح، وحواشي، ومختصرات، لكن أهم كتبه ذات الصلة بالتاريخ هي:

١- تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين:

أ- مواصفات الكتاب :

كتاب شامل لتاريخ مصر، وفضائلها، وما ورد بشأنها في الآيات والأخبار، ومن تولاها في عهد الخلفاء الراشدين، والأمويين، والعباسيين، وفاطميين، ومماليك، وعثمانيين .

ب-الخطة العامة للكتاب:

كتاب سردي، عام، حولي في معظم فصوله، يقع في جزء واحد يقع في ٥٦ صفحة، طبع بالقاهرة سنة ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩م، يتألف من مقدمة وثلاثة أبواب [١]

ابتدأ الشرقاوي كتابه بمقدمة أوضح فيه الأسباب التي دفعته إلى وضع كتاب هذا بقوله: " أما بعد فيقول كثير المساوي عبد الله بن حجازي الشهير بالشرقاوي إنه لما حل الركاب الصدر الأعظم والوزير الأفخم، والدستور الأكرم حضرة مولانا الوزير يوسف باشا بلغه الله تعالى من المبرادات ما شاء بمدينة بلبيس في شهر رمضان المعظم سنة أربع عشرة ومئتين بعد حصول الصلح بينه وبين طائفة الفرنساوية في قلعة العريش، وذهبت مع بعض علماء مصر للإقامة طلب مني بعض الأخوان من أتباع ذلك الصدر الأعظم أن أجمع كتاباً متضمناً لواقعةَ الحالة المذكور فأجبته إلى ذلك مستعيناً عون القادر المالك، وذكرت فيه ما يتعلق بمصرَ وحكامها من

(١)- الشيال : ص ٢٧ ، ٢٨ .

أول الزمان إلى وقتنا هذا وسميته " تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين " ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب "[١]

وقد عالج المؤلف في المقدمة فضائلَ مصرَ، وماورد فيها من آياتٍ وأخبارٍ، ومن كان فيها من الأنبياء، والصديقين، وغير ذلك، [٢] وفي الباب الأول أرّخ لمصر في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين، والعباسيين، والدولتين الطولونية، والأخشيدية.[٣]

بينما خصص الباب الثاني للدولة الفاطمية، والأيوبية، والمملوكية [٤] .

ودرس في الباب الثالث دولة آل عثمان، ونوابهم في مصر. [٥]

الكتاب موجز غاية الإيجاز ينقل عمن سبقه من المؤرخين وخصوصاً كتاب السيوطي (حسن المحاضرة)[٦] اتبع الشرقاوي الأسلوب الحولي في عرض تراجمه، وذلك بذكر تاريخ استلام كل والٍ، ومدة حكمه، ووفاته، وأهم الأحداث التي جرت في عهدهم.

تكمن أهمية كتابه:

١- في المعلومات التي قدمها عن الحملة الفرنسية، وأهم أحداثها وأعمالها،[٧]بالإضافة إلى البيان الذي أثبت فيه أسماء نواب أو باشوات مصر في العهد العثماني منذ الفتح في أيام سليم حتى مجيء الجملة الفرنسية [٨].

---

[١]- الشرقاوي (عبد الله): تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين، تحقيق القاري (رحاب عبد الحميد)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م ، ص ١٩ .

[٢]- الشرقاوي : ص ٢٠ – ٣٥ .

[٣]- الشرقاوي : ص ٣٧ – ٧٩ .

[٤]- الشرقاوي : ص ٨١ – ١١١

[٥]- لشرقاوي : ص ١١٢ – ١٢٦ .

[٦]- الشرقاوي : ص ٢٠ ، ٢٨ ،٤٠. .

[٧]- الشرقاوي : ص ١٢٢ وما يليها

[٨]- الشرقاوي : ص ١١٥ – ١٢١؛ الشيال ، ص ٢٨ .

٢. كونه شاهد عيان على الأحداث، ومشاركاً فيها، ففي أثناء الحديث عن الحملة الفرنسية يذكر " وقد حبسونا في القلعة مع أخواننا من العلماء خوفاً من قيام أهل البلد عليهم كما وقع منهم سابقاً، فمكثنا في القلعة مئة يوم من تسعة ذي القعدة إلى أواخر صفر سنة عشر ومئتين وألف"[١]

٢- كتاب التحفة البهية في طبقات الشافعية:

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً لمّا يطبع بعد بدار الكتب المصرية رقم ٥٧٨ تاريخ، [٢] جمع فيه الشرقاوي بعض تراجم الشافعية في القرن التاسع للهجرة فما بعده إلى سنة١٢٢١هـ/١٨٠٦م والمؤلف لم يأتِ بشيء جديد، بل كان كما في الكتاب السابق يعتمد على من سبقه من المؤرخين الذين ألفوا في تراجم الشافعية أمثال(الطبقات للشعراني)[٣] ، وعلى معاصرين له (كعبد الرحمن الجبرتي) [٤]

هذا ملخص عن طريقة الشرقاوي في التدوين التاريخي من خلال كتابه تحفة الناظرين، ورغم الإيجاز الذي بدا واضحاً في هذا الكتاب لا غنى للباحثين والدارسين في التاريخ المصري.

٢-عبد الرحمن الجبرتي (١١٦٧ - ١٢٤٠هـ/١٧٥٣-١٨٢٥ م).

يعتبر الجبرتي أولَ مَنْ عمل على إحياء حركة التأليف في مصر بعد أن توقفت في القرون االثلاثة السابقة (السادس والسابع والثامن عشر)،فكان أول من تابع االحركة التاريخية بعد ابن

---

[١]- الشرقاوي : ص ١٢٥.

[٢]- الشيال ،:هامش ص ٢٨ حاشية رقم ١ ؛ زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية، ج٤، ص ٦١٨ .

[٣]- الشعراني: أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري المعروف بالشعراني أو الشعراوي، كان إماماً في العلوم الشرعية، أخذ عن مشايخ عصره كالسيوطي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ولد ببلدة ساقية أبي شعرة من أعمال المنوفية دخل القاهرة سنة٩١١هـ/ ١٥٠٥م، وله من العمر أثنا عشرة سنة، وتوفي بها، أهم مؤلفاته(الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية) و(الطبقات) وغيرها. سركيس:ج٢، ص١١٣٣،١١٣١.

[٤]- الشيال ، ص ٣١.

إياس وابن زنبل الرّمال، فقد شهد قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر كما أنه عاصر السنوات ألأولى من حكم محمد علي .

أ- حياته:

ولد أبو العزم[١]عبد الرحمن بن الحسن بن إبراهيم بن حسن بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الجبرتي الزيلعي العقيلي المصري الحنفي من إحدى السراري في قرية من قرى القاهرة تعرف بـ (جبرت)[٢] الموطن الأصلي لأجداده،[٣]ففي القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي خرج عبد الرحمن الجد السابع لمؤرخنا لأداء فريضة الحج، فجاور مكة، وتلقى العلم من علمائها ومن كان بها من شيوخ، ثم عاد إلى مصر، واتصل بعلمائها حتى تمّ اختياره شيخاً لرواق الجبرتي، وبقيت هذه المشيخة في سلالته ردحاً طويلاً من الزمن .[٤]

لقد انحدر الجبرتي من سلالة اشتهر أكثر أفرادها بالعلم،كما أنه نشأ في بيئة علمية ألقى أضواءً ساطعة عليها في أثناء ترجمته لوالده (حسن الجبرتي)، فقد كان لوالده دور كبير في حضّه على العلم،(فمنزل والده كان ملتقى لتلاميذه ومريديه، فأي شيخ صادف المنزل كان يرى لزاماً عليه مذاكرته في شيء من المعرفة"[٥] وفي مقدمتهم (مرتضى الزبيدي).

---

[١]- أبو العزم : هو اللقب الذي كناه به (الشيخ أبو الإمداد إسماعيل سبط بني الوفا عندما صحب عبد الرحمن أباه في ليلة المولد النبوي الشريف سنة ١١٧٧ هـ /١٧٦٣م، إلى منزل السادة الوفائية. شيبوب (خليل):عبد الرحمن الجبرتي، دار المعارف للطباعة والنشر، د.م، ١٩٤٨ ، ص ٢٧.

[٢]- وهي الزيلع في الحبشة. كحالة:ج٢، ص ٨٦.

[٣]- كحالة: ج٢ ، ص ٨٧ – ٨٨. الزركلي: ج١، ص ٣٠٤ .

[٤]- الشيال: التاريخ والمؤرخون، ص ١١ .

[٥]- شيبوب: ص ٢٢.

بدايةً تلقى تعليمه الأولي في بعض الكتاتيب التي كانت منتشرة في الأزهر، ثم انتقل إلى مدرسة السنانية بالصنادقية، وتلقى المذهب الحنفي على يد صديق أبيه (عبد الرحمن العريش)،[١]كما أنه حفظ القرآن ولم يتجاوز الحادية عشرة من عمره،[٢]ثم تخرج من الأزهر بعد أن تلقى علوم الفقه والحديث، لكن الجبرتي لم يقنع بالعلم التقليدي الذي كان شائعاً، فأضاف إلى ذلك معرفة بطائفة من العلوم كالطب والفلك والحساب أو ما يسمونه " العلوم الوضعية أو التطبيقية "[٣]، كما أنّ والده قد خلّف له ثروة كبيرة أغنته عن السعي وراء الرزق لهذا تفرغ للعلم والدراسة[٤]، تزوج الجبرتي للمرة الأولى وهو في الرابعة عشرة سنة ١١٨٢ هـ/١٧٦٨م، ولم يذكرشيئاً عن هذه الزوجة[٥]وفي أواخر عام ١١٩٥هـ/١٧٨٠م، تزوج مرة ثانية بابنة صديقه (علي عبد الله درويش الرومي)[٦] وهذه الزوجة هي التي أنجبت له ولده (خليل)[٧].

أما بالنسبة إلى أسفاره فلم يذكر عن نفسه أنه حج إلى البيت الحرام، لكن حجه ثابت بدليل أنه لما ترجم للشيخ (حسن العجمي المالكي) صاحب (الفنون) ذكر أنه ولد سنة ١٠٤٩ هـ/١٦٣٩م،كما وجدته (بخط والده بمكة)،[٨]كما أنه سافر إلى الحجاز بصحبة الأمير (رضوان

---

[١]–عبد الرحمن العريش(١١٩٣هـ–١٧٧٩م):هو عبد الرحمن بن عمر العريش الحنفي الأزهري ولد بقلعة العريش في عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، ترك عياله وانزوى في الزوايا والمساجد، وقد تسلّم العديد من المناصب، نذكر منها منصب الإفتاء كما أنه تسلم مشيخة الأزهر، من أثاره رسالة ألفها في (سر الكِنى باسم السيد أبى الأنوار بن وفا). الجبرتي: ج٢، ص ٧٤ . ٧٧؛ مبارك: ج٤، ص٣٢.

[٢]– أحمد: ص ١٩٥.

[٣]– عبد الكريم (أحمد عزت): عبد الرحمن الجبرتي (دراسات وبحوث)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٢١.

[٤]– قيل كان له ثلاثة منازل، الأولى على شاطئ النيل، والثاني، ببولاق، والثالث شمال الجامع الأزهر، وله في كل واحد من هذه المنازل زوجة وخدم ومماليك وعبيد، وكان ينتقل بين منازله مع تلاميذه فيعقد لهم حلقات التدريس شبلي (أحمد) موسوعة التأريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، القاهرة، ١٩٨٦م، ج٥، ص ٣٥٧ .

[٥]– السبب الذي دفع والد الجبرتي إلى تزويجه مبكراً كان نتيجة خوفه الشديد من انقراض ذريته بعد موته فقد رزق حسن الجبرتي أربعين ونيفاً ذكوراً وإناثاً ولم يبق إلا عبد الرحمن وعلياً. شيبوب: ص ١٤–٣١ .

[٦]– علي عبد الله درويش الرومي كان رجلاً مثقف العقل غزير الإطلاع يجيد الخط العربي إجادة فائقة وقد أفاد الجبرتي كثيراً من معلوماته عن رجالات العصر الذي ترجم لهم وتوفي عن تسعين سنة ونيف " لم تهن له قوه ولم يسقط له سن ويكسر اللوزة بأسنانه . شيبوب: ص ٤٦.

[٧]– لمعرفة المزيد عن ولد الجبرتي خليل ومقتله شيبوب: ص ١١٠ وما بعدها.

[٨]– الجبرتي: ج١، ص١٣١. شيبوب: ص٣٧

كَتْخُدا إبراهيم) لأنه في أثناء ترجمته لهذا الأمير قال: " لقد بلوته سفراً وحضراً يافعاً وكهلاً فلم أر ما يشتهيه في دينه ."[١]

عُيِّن الجبرتي عضواً في الديوان الذي أنشأته الحملة الفرنسية في مصر بعد احتلالها، كما أنه كان مؤقتاً للصلاة،ولرؤية هلال شهر رمضان وشوال في بلاط(محمد علي).[٢]

في سنة ١٢٣٧هـ /١٨٢٢م، أصيب الجبرتي بمحنة كبيرة بمقتل ابنه الخليل الذي كان يعمل في قصر محمد علي، وكان الجبرتي في تلك الفترة يقوم بتسجيل أحداث الثورة اليونانية فترك الكتابة والتأليف، وانقطع عن القراءة وأكثر من الحزن والبكاء حتى ذهب بصره ومات في عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٥م،[٣] ودفن بتربة الصحراء إلى جانب أسلافه.[٤]

ب-مؤلفاته :

لقد طالت شهرة الجبرتي الآفاق، وأجمع مؤرخو الشرق والغرب على أن مؤلفاته تعتبر من أوثق وأوفى المصادر لتاريخ القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر؛ فالجبرتي مؤرخٌ أدى مهمة كتابة التاريخ في مرحلة استثنائية من زمن الحضارة التي ترعرع فيها، ويحق لمصر أن تفخر بالجبرتي، وأن يفخر به بقية القراء العرب[٥].

---

[١]- شيبوب: ص٣٧.

[٢]- الشرقاوي (محمود): مصر في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٧م، ج٣، ص ٣٠٤.

[٣]- هناك خلاف بين المؤرخين في تحديد وفاة الجبرتي وذكر بعضهم أن وفاته كانت عام ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م، على أثر قتل ولده خليل فبكاه كثيراً حتى ذهب بصره ولم يطل به العمر فمات مخنوقاً بتحريض من محمد علي. البغدادي: ج١، ص ٥٥٦؛ الزركلي: ج٣، ص ٣٠٤.

إلا أن محمد أنيس تمكن من الوصول إلى تحقيق تقريب لتاريخ الوفاة بين ٢٣ نوفمبر ١٨٢٤ و ١٤ مايو ١٨٢٥ وذلك بعد البحث في وثائق المحكمة الشرعية حول أملاك وأوقاف الجبرتي. زكريا(قاسم):عبد الرحمن الجبرتي سيرة وتقيم:ضمن كتاب عبد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث، ص٤٨.

[٤]- أحمد: ص ١٩٧ .

[٥]- Arnold toynb: Abdu ArhmanAljabrti,insideabook of Al-jabrti(studies and researehes) ,cairo,the Egyptian common institution for books, w.t ,١٩٧٦,p٢٠

١–مدة الفرنسيس بمصر:

وهو أول كتاب أقدم الجبرتي على تأليفه، ودليل ذلك أنه ذكر في مقدمة كتابه(مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس) قوله: "ولقد كنت قد سطرت ماوقع و ماحصل من الوقايع، ابتداءً من تملك الفرنسيس الأرض إلى أن دخلها مولانا الوزير(يقصد به يوسف باشا)"[١].

وقد تناول هذا الكتاب أحداث الشهور السبعة الأولى للحملة من ١٠ محرم١٢١٣هـ/٢٥ يونيو ١٧٩٨م حتى شهر رجب ١٢١٣هـ/١٧٩٨م بشيء من الإسهاب والتفصيل،[٢]وقد اعتمدهُ الجبرتي في إخراج الجزء الثالث من كتابه (عجائب الآثار) بعدما أضاف إليه تاريخ مصر من سنة ١٢١٦هـ/١٨٠٢م حتى سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م.

٢–كتاب مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس:

وهو على شكل مذكرات يومية للأحداث إبان الحكم الفرنسي بمصر، ويذكر الجبرتي أن صديقه (العطار)[٣] قد شارك في تأليفه، وقد أطلق (محمد أنيس) على هذا الكتاب عنوان: (التاريخ الرسمي للاحتلال الفرنسي)،[٤]وقد تمّ إهداء هذا الكتاب إلى السلطان (سليم الثالث) في استانبول حيث ترجم إلى التركية، وظهرت النسخة العربية الأصلية من(مظهر التقديس) بما فيه من غرائب بعنوان (يوميات الجبرتي) في مجلدين في دار المعارف وبدون تاريخ [٥].

---

[١]–الجبرتي(عبد الرحمن): مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، تحقيق:عبد الرازق(عبد الرازق عيسى)، هلال(أحمد)، العربي للنشر ط١، القاهرة، ١٩٨٨،ج١، ص٦٤–٦٥.

[٢]–السروجي(محمد محمود): عجائب الآثار ومظهر التقديس(دراسة مقارنة)، ضمن كتاب الجبرتي(دراسات وبحوث)، ص٢١٥.

[٣]–حسن العطار : (١١٩٠ – ١٢٥٠هـ / ١٧٧٦. ١٨٣٥ م) حسن بن محمد بن محمود العطار من علماء مصر أصله من المغرب ومولده ووفاته في القاهرة تولى مشيخة الأزهر والتدريس فيه إلى أن توفي. سركيس: ج٢، ص ١٣٣٣ . ١٣٣٦

[٤]– أنيس: ص ٣٩ .

[٥]– جونيور: ص ٦٨؛ لمعرفة المزيد عن طبعات وترجمات هذا الكتاب.عبد المطلب (محمدرشاد) ، مؤلفات الجبرتي مخطوطة ومطبوعة ، ضمن كتاب عبد الرحمن الجبرتي (دراسات وبحوث)، ص ١٨٠وما يليها .

صنف الجبرتي كتابه هذا بجزأين:ابتدأ الجزء الأول بديباجة في فضل الدولة العثمانية ومآثرها بقوله"حمداً لمن جعل كلمة الذين كفروا هي السفلى، وكلمة الله هي العليا، وجعل الدولة العثمانية والمملكة الخاقانية بهجة الدين والدنيا، وصلاة وسلاماً على من نصر بالرعب، وأشاد هذا الدين القويم بشبا السمهرية، والصبا وعلى آله وأصحابه الداحضين لشوكة كل قامع متمرد، الفايزين ببذل نفيس نفوسهم بكل نصر بديع متجدد".(١)

ليبدأ بعد ذلك بمقدمة يلم فيها إلماماً سريعاً وموجزاً عن تاريخ مصر منذ الفتح العربي مروراً بعصر الطولونيين، والإخشيديين، والفاطميين، والأيوبيين، والمماليك، ثم الحكم العثماني لمصر . ذاكراً في مقدمته تلك منهجه في تأليف هذا الكتاب بقوله:" لقد كنت سطرت ماوقع، وما حصل من الوقايع ابتداءً من تملك الفرنسيس أرض مصر إلى أن دخلها مولانا الوزير في أوراق غير منظومة في سلك الاجتماع والاتفاق، وكثيراً ماكان يخطر ببالي -وإن لم يكن ذلك من شأن أمثالي- أن أجمع افتراقها، وأكسبها بالترصيف اتساقها،ليكون ذلك تاريخاً مطلعاً اللبيب على عجائب الأخبار وغرائب الآثار تذكرة بعدنا لكل جيل...إلى آخر ماقال."(٢)

ينتقل بعدها لذكر أحداث عام١٢١٣هـ/١٧٩٨م، أما الجزء الثاني من هذا الكتاب فقد بدأه بعام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م لينتهي بعام ١٢١٦هـ/١٨٠٢م، وهذا الكتاب كان نواة للجزء الثالث لكتاب الجبرتي الآخر (عجائب الآثار) بعد أن أدخل عليه بعض التعديلات أهمها:

١-هناك تباين في موقف الجبرتي من العثمانيين والفرنسيين؛ فنراه في كتابه (مظهر التقديس) يمدح الدولة العثمانية،ويثني عليها بقوله(الدولة العليا،المملكةالخاقانية، ويصف سلطانها بالخاقان

---

(١)-الجبرتي: مظهر التقديس، ج١،ص٤٧-٤٨؛ولمعرفة معنى كلاً من الخاقانية، السمهرية، الصبا، الشبا، انظر هامش نفس الصفحة.

(٢)- الجبرتي:ج١، ص٦٤-٦٦.

الأعظم، وزيرها الصدر الأعظم،ورجالها رجال الخير وغيرها من الصفات والألقاب)، بينما في (عجائب الآثار) يهاجمهم ويصفهم بأقبح الصفات فهم(الترك، وسلطانهم الضعيف المتخاذل، ووزيرهم الجبان الذي يفر من دون قتال، ورجاله وجنوده مجموعة من اللصوص).أما بالنسبة للفرنسيين فقد ذكرهم بألفاظ(الكفرة، والملاعين، والتعيس بونابرت، والدولةالفرنساوية، وغيرها من الألفاظ)، لكنه في(عجائب الآثار) يغير ألفاظ السباب الموجهة إليهم وإلى أشخاصهم، وغيّر كلمة الفرنجة إلى الفرنسيس، وأضاف يوميات عن أعمالهم وإنجازاتهم.

٢-بدأ سنة١٢١٣هـ/١٧٩٨م بقوله:"إنه في يوم الأحد العاشر من شهر حرم الحرام افتتاح عام ثلاثة عشر ومئتين وألف، وردتْ في مصر مكاتبات على السعاة من ثغر الإسكندرية مضمونها إنه في يوم الخميس ثامن من الشهر المذكور حضر إلى الثغر عشرة مراكب من مراكب الإنكليز...الخ"[١]، في (عجائب الآثار)بدأ تلك السنة بقوله:" وهي أول سني الملاحم العظيمة، والحوادث الجسيمة، والوقائع النازلة، والنوازل الهائلة، وتضاعف الشرور، وترادفالأمور، وتوالي المحن...الخ".[٢]

٣-يظهر الجبرتي في كتابه (مظهر التقديس) الكثير من المواقف البطولية للعثمانيين والمماليك ضد الفرنسيين فمثلاً يقول:"فلما وقعت الحرب مات معظمهم، ولم ينتقل عن مكانه، ولم يثبت من هذه الطوائف كلها إلا هذه الفرقة؛ بحيث لم ينجح منها إلاالقليل، ولم تتزلزل عن مكانها، ولم تسلم في أنفسها، وهكذا الرجال رضي الله عنهم."[٣]، حذف في(عجائب الآثار) هذه الفقرة، مصوراً تصويراً دقيقاً موقف العامة فيقول: "فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقي القتال ضج

---

[١]- الجبرتي: مظهر التقديس، ج١،ص٨٨-٩٠.

[٢]-الجبرتي: عجائب الآثار،ج٣،ص١.

[٣]-الجبرتي: مظهر التقديس، ج١، ص١٢٤.

العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفعوا الأصوات بقولهم: يارب، ويالطيف، ويارجال الله"(١).

٤-في(مظهر التقديس)اكتفى الجبرتي بذكر دخول بونابرت إلى القاهرة دون التطرق إلى ذكر مافعله الجنود الفرنسيون في أثناء دخولهم القاهرة، وكيفية معاملتهم للناس. (٢)

٥-قام الجبرتي بحذف بعض الأشعار التي وجدت في كتابه(مظهر التقديس) من كتابه (عجائب الآثار) مثال ذلك: القصيدة التي نظمها السيد (علي الصيرفي الرشيدي) تتألف من٧٨ بيتاً،(٣)يذكر الجبرتي جزءاً من القصيد في (عجائب الآثار)، ويختم القصيدة بقوله: "إلى أخر ماقال وهي طويلة."(٤)

٦-لم يدّون الجبرتي نص محاكمة (سليمان الحلبي) قاتل (كليبر)، في حين يورد النص كاملاً في كتابه (عجائب الآثار) ويبرر ذلك بقوله: "وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم في اللغة ، ثم رأيت كثيراً من الناس يتوقون إلى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة".(٥)

وهناك العديد من اليوميات والأشعار التي وجدت في مظهر وحذفت من عجائب الآثار لا مجال لعرضها . (٦)

---

(١)-الجبرتي: عجائب الآثار، ج٣، ص١١.

(٢)- الجبرتي: مظهر التقديس، ج١،ص١٣٢-١٣٣؛ الجبرتي: عجائب الآثار،ج٣، ص١٥-١٦.

(٣)-الجبرتي: مظهر التقديس، ج٢، ص٣٠١-٣٠٦.

(٤)-الجبرتي: عجائب الآثار،ج٣،ص١١٧-١١٨.

(٥)-الجبرتي: عجائب الآثار،ج٣،ص١٩١ وما بعدها؛ مظهر التقديس،ج٢، ص٤٢٠.

(٦)-لمعرفة المزيد أنيس: ص٤٢-٤٥؛ وتقديم كتاب مظهر التقديس: ص٤٢-٤٦.

٣-عجائب الآثار في التراجم والأخبار :

جمع في مؤلَّفه هذا حوادث (آخر القرن الثاني عشر الهجري وما يليه من أوائل القرن الثالث عشر/أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين)، وقد أشار المستشرق الألماني (فون كريمر)[١]إلى أن هذا الكتاب عمل تاريخي، يصف تاريخ زمانه بصدق وجدارة التأويل "، وقد وصفته (دائرة المعارف الإسلامية)[٢] بأن هذا التاريخ صّور تفصيلي حياة الشرقيين، واستفاد منه (لين)، وهو يعلق على الطبعة التي أخرجها من كتابه (ألف ليلة وليلة).[٣]

٤- دستور تقويم الكواكب السبعة والجواهر والأهلة والتواريخ الثلاثة وموسمها وتوافيقها سنة ١٢٠٩هـ/١٧٩٢م :حساب الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، وتوجد مخطوطة منه بدار الكتب المصرية بالقاهرة.[٤]

له كتب أخرى في الفقه الحنفي، وتعليق على كتاب (الموازين) الذي ألفه والده، وكتاب في (المراسلات) وغيرها.

أما مؤلفه الأهم الذي نال شهرة واسعة في مجال التأريخ فهو (عجائب الآثار في التراجم والأخبار):

---

[١]- فون كريمر: (ت١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) نزل سورية ومصر وتعلم العربية ببلاده نشر نحو عشرين كتاب عربياً وله مؤلفات في الألمانية عن العرب والمسلمين أهمها (تاريخ التمدن الشرقي) في مجلدين وغيرها من المؤلفات. زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٤، ص٥١٧.

[٢]- دائرة المعارف الإسلامية : شعر المستشرقون في مؤتمراتهم الدولية بالحاجة إلى دائرة معارف لأعلام العرب والإسلام تجمع شتات دراساتهم باللغات الألمانية والفرنسية والإنكليزية فدعو إليها ١٨٩٥ وكلفوا هو تسما من جامعة أوترخت بإنشائها ومطبعة ليدن بإصدارها وصدرت أولى طبعات في أربعة مجلدات. العقيقي (نجيب): المستشرقون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م، ج٣، ص١١٠٦ ، ١١٠٧.

[٣]-جونيور: ص ٦٥ .

[٤]- عبد المطلب: ص ١٨١ . ١٨٢.

أ-مواصفات الكتاب :

الكتاب جامع لتاريخ مصر وحوادثها، وتراجم للأعيان والمشهورين من العلماء والأمراء وغيرهم منذ (أواخر القرن الثاني عشر الهجري إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي) ذاكراً فيه الأسباب التي دفعته إلى التدوين، والمتاعب التي واجهها في الجمع، ومتطرقاً لأهم الأحداث السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

ب . الخطة العامة للكتاب :

صنف الجبرتي كتابه هذا في أربعة أجزاء موجودة كلها ومحققة في دار الكتب المصرية، كما يوجد منه إحدى عشرة مخطوطة بعضها كامل، وبعضها الآخر يمثل أجزاء ناقصة، وهناك العديد منها في (القاهرة والعراق وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وهولندا)،[١]كما أن هناك العديدَ من الطبعات والترجمات لهذا الكتاب،[٢] وقد بقي هذا الكتاب محظوراً طبعه وتداوله إلى أن رفع هذا الخطر في عهد (الخديوي توفيق باشا) [٣]، فطبع الجزآن الرابع والخامس في أيامه ثم طبع الجزآن الأول والثاني في أيام (عباس الثاني[٤]).[٥]

قسم الجبرتي كتابه هذا إلى أربعة أجزاء: الجزء الأول ابتدأه بمقدّمة، وجعل لها مدخلاً صغيراً أو تمهيداً يقع في إحدى عشرة صفحة لخّصَ خلالها الجبرتي المنهج الذي اتبعه في تراجمه وتواريخه بقوله: " إني كنت سوّدتُ أوراقاً في حوادث أخر القرن الثاني عشر وما يليه، وأوائل

---

[١]-الجبرتي: عجائب الآثار، ص١.

[٢]- لمعرفة المزيد عن طبعات وترجمات هذا الكتاب. عبد المطلب: ص ١٧٥ وما يليها .

[٣]- محمد توفيق باشا(١٢٦٩-١٣٠٩هـ/١٨٥٢-١٨٩٢م) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي أحد الخديويين بمصر، ولد وتعلم بالقاهرة، وأحسن العربية والتركية والفرنسية والإنكليزية، تقلد نظارتي الداخلية والأشغال تول عرش مصر عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م بعد عزل والده إسماعيل نشبت في زمانه الثورة العرابية، توفي في القاهرة. الزركلي: ج٦، ص٦٥.

[٤]- عباس الثاني: (١٢٩١-١٣٦٤هـ/١٨٧٤-١٩٤٤م) ابن الخديوي توفيق باشا خديوي مصر (١٣١٠-١٣٣٣هـ/١٨٩٢-١٩١٤م) حاول أن يقاوم الاحتلال البريطاني الذي خضعت له بلاده خلعه الإنكليز عند نشوب الحرب العالمية الأولى، بعد أن فرضوا حمايتهم على مصر .البعلبكي: ص٢٨٠.

[٥]- طربين: ص ٧٣.

القرن الثالث عشر الذي نحن فيه بعض الوقائع إجمالية وأخرى محققةً تفصيلية، وغالبها محن أدركناها وأمور شاهدناها... واستطردتُ ضمن ذلك سوابق سمعتها، ومن أفواه الشيخة(الشيوخ) تلقيتها.. فأحببت جمع شملها، وتقيد شواردها، في أوراق متسقة النظام، مرتبة على السنين والأعوام ليسهل الطالب البنية المراجعة .. وسميته " عجائب الآثار في التراجم والأخبار......"[1]، معرفاً في التمهيد تعريفاً دقيقاً التاريخ ذاكراً أهم الكتب المصنفة فيه، وأهم المصادر التي اعتمدها وخاصّةً الفترةَ التي لم يعاصرها بقوله:" إنها كراريس سوّدها بعض العامة من الأجناد "[2]، لتبدأ بعد ذلك المقدمة التي يتحدث فيها عن أصناف الخلائق ليلمّ بعد ذلك إلماماً سريعاً بتاريخ مصر منذ أقدم العصور، وليدخل مفصلاً في العصر العثماني، وأهم الأحداث السياسية التي حدثت في تلك الفترة ليقوم بعدها بذكر تراجمه مبتدئاً بالعلماء والأمراء تحت عنوان" في ذكر حوادث مصر وتراجم أعيانها ووفياتها ابتداءً من سنة ١١٤٣ – ١١٦١هـ/ ١٧٣٠ – ١٧٤٨م، لينهي هذا الجزء بالترجمة إلى الأمير (محمد بك أبو الذهب)[3]

تدور أحداث الجزء الثاني سنة ١١٩٠ هـ /١٧٧٦ م، فيتخدث فيها عن فترة المخاض التي سبقت مجيء الحملة الفرنسية على مصر وتطرق خلالها إلى الأحداث السياسية، والاقتصادية والإدارية، والاجتماعية، وفي هذا الجزء أيضاً يبدو واضحاً مدى الضعف الذي أصاب الإدارة العثمانية في مصر، كما أنه تطرق إلى ذكر تراجم لأهم العلماء والأعيان، ولينهي هذا الجزء بـ عام ١٢١٢ هـ/ ١٧٩٨ م.[4]

---

[1]- الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص ١.

[2]- الجبرتي:عجائب الآثار، ج١، ص ١١.

[3]-الجبرتي: عجائب الآثار ج٣، ص١ – ٦٥٥.

[4]- الجبرتي: عجائب الآثار،ج٢، ص ١ – ٤١١.

عالج في الجزء الثالث أحداث الحملة الفرنسية واصفاً تلك الحملة بقوله: "وهي أول سني الملاحم العظيمة، والحوادث الجسيمة، والوقائع النازلة، والنوازل الهائلة، وتضاعف الشرور، وترادف الأمور، وتوالي المحن، واختلال الزمان، وانعكاس المطبوع، وانقلاب الموضوع، وتتابع الأصول... [١] واصفاً الاضطراب السياسي الذي شهدته البلاد عقب خروج الحملة الفرنسية ذاكراً أهم تراجم العلماء والأمراء لينهي هذا الجزء بعام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥ م.[٢]

أما الجزء الرابع والأخير الذي بدأه بعام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م فقد اشتمل على أحداث الستَّ عَشْرَةَ سنةً الأولى من حكم محمد علي باشا واصفاً الصراعات التي دارت بينه وبين المماليك، كما أنه سجل بدقة وعناية أحداث حملة فريزر على مصر ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م منذ اللحظة الأولى لدخولها حتى خروجها ذاكراً الأوضاع الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، وأثرها في المجتمع المصري، بالإضافة إلى ذكر تراجم المشاهير، وأعيانها بشكل مختصر لينهي الجزء بعام ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١.[٣]

بلغ عدد التراجم التي احتواها الكتاب (٥١١) ترجمةً.

بعد التطرق إلى أهم موضوعات الكتاب بشكل مختصر، نتساءل ما الأسباب التي دفعت (الجبرتي) إلى تأليف كتابه ؟.هل هي الرغبة منه في إيجاد كتاب يشمل تراجم العلماء وأعيانهم من أهل مصر ؟. أوهي رغبته في تأليف كتاب شامل عن تاريخ مصر واصفاً فيه الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية فيها ؟.

---

[١]- الجبرتي: عجائب الآثار، ج٣، ص١ .

[٢]- الجبرتي: عجائب الآثار، ج٣، ص ١ – ٥٦٨.

[٣]- الجبرتي: عجائب الآثار، ج٤، ص ١ – ٤٩٧ .

لكل سبب مسبب فلا بد أن يكون هناك أسباب دفعته إلىتأليف هذا الكتاب، صرح الجبرتي بذلك في أماكن مختلفة منها الاستطرادات التي تحدث بها عن نفسه، وأيضاً في أثناء ترجمته لمؤرخ الشام (محمد خليل المرادي)،تأليف هذا الكتاب مرّ بمراحلَ متعددةٍ بدايتها كانت في عام ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨م، حين طلب منه أستاذه (مرتضى الزبيدي) أن يساعده في الترجمة لأعلام (القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر ميلادي)، فبدأ يدون تراجم مشايخ الأزهر، وشيوخ الأروقة، وأرباب الحلقات، والأمراء والأوجاقات، وحين اتسع العمل أمام الجبرتي طلب مساعدة صديقة (إسماعيل الخشاب)، الذي كان من عدول المحكمة الشرعية فطلب منه الجبرتي أن يدونّ أسماء الناس وأعمارهم، بالإضافة إلى اتصاله بأقاربه المعمرين ممن يحتفظون بذاكرتهم بالأحداث والشخصيات الهامة،[١]لكن سنةَ ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠م توفي (الزبيدي) فتراخت همة (الجبرتي)، وكاد ينصرف عن مواصلة العمل إلى أن وصل إلى (الجبرتي) في أواخر سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م، كتاب هدية يستدعي تحصيل ما جمعه السيد من أوراق، وضم ما جمعه الفقير (يقصد به الجبرتي)، وما تيسر ضمه أيضاً وإرساله ويقول فيه: " وهذا الأمر ما حررنا بخصوصه لأحد من العلماء ولا من التجار، واعتمدنا الجناب بذلك اعتماداً على المحبة الموروثة، ولعلمنا أن جناحكم أولى بذلك من كل أحد ، ... إلى آخر ما قال. " [٢]

ففطن الجبرتي إلى أن السبب الذي حدا بأستاذه (مرتضى الزبيدي) إلى الترجمة لأعلام المئة الماضية لم يكن وليد قريحته بل نزولاً عند رغبة قاضي دمشق أما السبب في اختيار (الجبرتي) من قبل (الزبيدي) لمساعدته فلأن (مرتضى الزبيدي) يمني، ولم تتأصل مصريته بُعد، ولم يستبطن ذخائر الحياة المصرية، وعاداتها، ونزعاتها، أما (الجبرتي) فرغم أنه حبشي الأصل هو

---

[١]- عبد الكريم: الجبرتي (دراسات وبحوث)، ص٣٣.

[٢]- الجبرتي: عجائب الآثار،ج٢ ، ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ؛ طربين: ص ٧٠ .

الحفيد السادس (لعبد الرحمن) الذي نزح إلى مصر منذ مئتي سنة ونيف، واستوطن بها؛ فالجبرتي مصري أصيل مطلع على تسلسل الأسر وعلى علم بما فيها من أواصرَودوافع ومصالحَ ومنازعَ).[١] لكن المرادي لم يلبثْ أن توفي في عام ١٢٠٦ هـ/ ١٧٩١م، مما أثر تأثيراً كبيراً في(الجبرتي)، وفترتْ همته وكاد ينصرف عن كتابة التاريخ، حتى ظهر في حياة مصر حدث مهم شكل الباعث النفسي الذي هزّ(الجبرتي)، وملأه نشاطاً للتدوين والكتابة، لتبدأ المرحلة الثانية بظهور الفرنسيين عام ١٢١٢ هـ /١٧٩٧ م،التي شكلت دافعاً للجبرتي لإعادة تسجيل الأحداث والأخبار لكن في عام ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥م شهدت مصر حدثاً آخر شكل بداية المرحلة الثالثة من مراحل أسباب تأليف هذا الكتاب، وهو ظهور (محمد علي باشا) وتوليه الحكم ليعاود الجبرتي مرة أخرى لكتابة تاريخ مصر، وتسجيل أحداثه حتى عام ١٢٣٦ هـ / ١٨٢١م.[٢]

والسؤال المهم ماالذي أعطى الجبرتي وكتابه هذه الأهمية إلى حد دفع البعض إلى وصف كتابه بأنه: (أعظم تواريخ مصر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر)، ودفع البعض الآخر إلى وصف الجبرتي بأنه: (عملاق بين الأقزام)[٣]و(بأنه أعظم المؤرخين).[٤]أهو ضخامة الكتاب ؟. أم كونه كتاباً تراثياً غنياً بالمعلومات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، عن مصر؟. أم اختصاصه بذكر تراجم الأعيان واالمشايخ لمصر في تلك ؟أم توجد أسباب أخرى؟.

أسباب كثيرة تؤكد أهمية هذا الكتاب مهمّاً منها :

---

(١)- شيبوب: ص ٥٦ – ٥٧ .

(٢)- أحمد: ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤.

(٣)-جونيور: ص ٦٠.

(٤)- أنيس: ص ٢٧.

١ –هو أهم مصدر مختص بتاريخ مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر، والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر،وهو سجل حافل بألوان الحياة المختلفة التي كان يعيشها المجتمع المصري في تلك الحقبة.

٢ –دقة الجبرتي وأمانته في استقصاء الحوادث، وتحققه من ذكرها؛ فهو لا يكتب حادثة حتى يتحقق من صحتها من مُخبِر ثقة، أو شاهد رؤية، أو شاهد سماع، وإذا كانت الحادثة عامة فيذهب بنفسه ليعاينها فهو يقول: " ولم أخترعْ شيئاً من تلقاء نفسي، والله مطّلع على أمري وحدسي. "[١]ومن الأمثلة على أمانته نقده موقفَ زعماء المماليك من الحملة الفرنسية رغم صداقة والده للكثيرين منهم، وتنديده بجهلهم وغرورهم.[٢]

٣– موضوعية الجبرتي وقربه من الواقع؛ فهو لم يجعلْ من تاريخه كتاباً لعلية القوم، فقد اهتم بكل صغيرةٍ وكبيرةٍ ودونها بدقة مدهشة، وقد برز ذلك جلياً بقوله:" لم أقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير، أو طاعة وزير، أو أمير، ولم أداهن فيه دولة بنفاق، أومدح أو ذم مباين للأخلاق، لميل نفساني، أو عرض جسماني،وأنا استغفر الله في وصفي طريقاً لم أسلكه، وتجارتي برأس مال لم أملكه "[٣].

٤ – أمد كتابه بمعلومات عن خطط مصر ومنشآتها العامة؛ فقد أرّخ لتعمير القصور، والمساجد، والشوارع، والقناطر، والترع التي أعطتنا صورة واضحة عن مدى الازدهار العمراني والرقي الحضاري، وخصوصاً بعد عرضه الإجراءات التي قام بها الفرنسيون في مجال العمران.[٤]

---

[١]–الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص ٦١ .

[٢]– الجبرتي: عجائب الآثار،ج٣، ص ٢ .

[٣]– الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص ١٢

[٤]– الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ٣٣٩ ؛ ج٣، ص ٥٤ – ٥٥ –٥٦ –٥٧.

٥ –لخّص الجبرتي السماتِ العقليةَ المصريةَ التي يسيطر عليها أصحاب الكرامات والأولياء[(١)]،كما يتضح انتماءه الجبرتي إلى الماضي من خلال تفسيره الأحداثَ في إطار الغيبيات؛ فمثلاً يفسر دخول الفرنسيين بقول: " بداية اختلاف الأحوال، وفساد التدبير، وحصول التدمير، وعموم الخراب، وتواتر الأسباب "[(٢)].

٦ –قدم فكرة شاملة عن الحياة الثقافية والتعليمية، ومدى التطور العلمي الذي شهدته مصر خلال الحملة الفرنسية، واصفاً دقة التجارب العلمية التي قامت بها الحملة، والأجهزة العلمية التي جاءت بها،[(٣)]ليس ذلك فحسب، بل عرض مظاهر التدريس، و مناهج علماء الأزهر مؤكداً المكانة العليا التي احتلها الأزهر في الحياة العامة.[(٤)]

٧ . تأتي أهميته الكبرى من كونه عاصر معظم الأحداث التي كتبها، وشاهد أكثرها، ولا سيما الحملة الفرنسية، كما أن اتصال الجبرتي بسلطات الاحتلال (بصفته عضواً بالديوان) هيأ له فرصة طيبة للوقوف على الأحداث، والاطلاع على الكثير من الوثائق، والبيانات، والإحصاءات الرسمية،والانتفاع بذلك في تدعيم مجهوده التاريخي، كذلك الأمر فيما يخص كتاباته عن أوائل حكم (محمد علي) ودليل ذلك ما قاله الجبرتي: " إني أدركت بقايا تلك الأيام، ومع ذلك إن مولدي كان في سنة سبع وستين ومئة وألف، ولما صرت في سن التميّز رأيت الأشياء على ما ذكر إلا قليلاً، وكنت أسمع الناس يقولون الشيء الفلاني ... إلى آخر ما قال.[(٥)]

[(١)]– الجبرتي: عجائب الآثار،ج١، ص ١٣٠،٢٥٢،٢٥٣؛ ج٢، ص٢٦،١٥٤،٣٧٣.

[(٢)]– الجبرتي: عجائب الآثار، ج٣، ص ١.

[(٣)]– الجبرتي: عجائب الآثار،ج٣، ص ٥٣-٥٩-٦٠.

[(٤)]– الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص ٣١٦؛ ج٢، ص١٢.

[(٥)]– الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٣٣٩ .

٨ .كتابه وثيقة تاريخية مهمة للحديث عن تاريخ مصر الاجتماعي؛ فهو يقدم صورة تفصيلية عن المجتمع المصري، وطوائفه، وعلمائه، وأخبار رجال الحكم والإدارة، فقد صور أصدق تصوير المظالم التي عاناها الشعب المصري من الحاكم المستبد، وما أظهره الشعب من ضروب المقاومة في كل مكان لهذا الحكم،[١]كما رصد لنا الاتجاهات التي كانت تموج في أوساط رجال الدين، وعلماء الأزهر، والأدوار العديدة التي لعبها مشايخ الأزهر.[٢]

٩ . لقد حفل كتاب الجبرتي بالكثير من الأخبار المتعلقة بالقحط، وهجر الفلاحين قراهم، وهبوط منسوب النيل، وما يترتب عليه من ارتفاع في الأسعار، وانتشار الأوبئة والطاعون،[٣]كما تضمن كتابه تدوين أسعار العملات، والمكاييل، والموازين في تلك الحقبة.[٤]

١٠ – احتواء كتابه مجموعة كبيرة من الوثائق، والبيانات، والمكاتبات الرسمية التي تتعلق بالسنوات الأخيرة من العصر المملوكي، والحملة الفرنسية على مصر والشام، والسنوات الأولى من حكم (محمد علي)، وأمثلة ذلك كثيرة نذكر منها المنشور الذي أصدره نابليون عند دخوله إلى مصر،[٥] وأيضاً نصاً كاملاً لمحاكمة سليمان الحلبي،[٦]والبيانَ الذي أرسله بونابرت تحدث فيه عن أسباب فشل الحملة الفرنسية[٧].

---

[١]– الجبرتي: عجائب الآثار، ج٢، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠؛ ج٤، ص٩–١٠–١٤–١٥–٢٤٥–٢٤٨–٤٣٨.

[٢]–الجبرتي: عجائب الآثار،ج٢، ص ١٧٣. ١٧٤ . ١٨٧ .

[٣]– الجبرتي: عجائب الآثار،ج١، ص ٤٨ ، ٥٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ؛ ج٢، ص ١٢، ٢٩٢ ، ٢٩٣.

[٤]– الجبرتي: عجائب الآثار،ج١، ص ٥٣ . ٥٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٤.

[٥]–الجبرتي: عجائب الآثار، ج٣، ص ٤–٦.

[٦]– الجبرتي: عجائب الآثار،ج٣، ص ١٩٢ . ٢١٨.

[٧]–الجبرتي: عجائب الآثار ج٣، ص ١١٥ . ١١٦.

١١ –الشعر هو أهم نشاط ثقافي اهتم به الجبرتي، وأسهب كثيراً في ذكره الشعر والشعراء، رغم أنه لم يكن يشعر بتضلعه فيه؛ فنلاحظه تارة يقول: " قال ، روى ، قيل ، صدق ما قال) [١]

١٢–ومعرفته بالفلك جعلته يذكر لنا الكثير من الأحداث الفلكية، وحاول تفسير هذه الأحداث في ضوئها، وأمثلة ذلك كثيرة في الكتاب نذكر منها قوله: "استهل شهر المحرم بيوم الخميس حسابا ويوم السبت هلالاً، ووافق ذلك انتقال الشمس لبرج الحمل، فاتحدت السنة القمرية والشمسية، وهو يوم النوروز السلطاني ، وأول سنة الفرس ، وهو التاريخ الحلاليالیزدجرى ... وكان طالع التحويل الواقع في يوم الجمعة في هذه السنة ألف ومائة وستة وسبعون.. وهو دليل على ثبات دولة القائم وتعب الرعية، والحكم لله العلي الكبير) . [٢]

وبما أن الكتاب حظي بهذا القدر من الأهمية، سنتطرق لدراسة أسلوب ومنهج الجبرتي في التدوين.

١– اتبع الجبرتي أسلوباً حولياً؛ فهو يؤرخ للسنين سنة بعد أخرى بحسْبِ الشهور والأيام، ويختم السنة بترجمة لمن مات فيها، وقد يرجئ ذلك إلى حين إذا لم يكن متأكداً من تاريخ الوفاة بقوله: " على سبيل الإجمال، بحسْبِ الإمكان فإني لم أعثر على شيء من تراجم المتقدمين من أهل هذا القرن، ولم أجدْ شيئاً مدوّناً في ذلك إلا ما حصلته في وفياتهم فقط، وما وعيته في ذهني".[٣]

٢ – اتبع منهجاً علمياً دقيقاً في تسجيله الأحداث في بطاقات، أو طيارات كما يسميهاتقوم على الأحجام والتفصيل، والإجمال في ذكر الأحداث، ورصدها.

---

[١]– الجبرتي: عجائب الآثار، ج٤، ٢٣٠ ، ٢٥٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ .

[٢]– الجبرتي: عجائب الآثار،ج٤، ص١ ؛ ج١، ص٤٨ ، ٦٦ ، ٤٠٩ ؛ج٣ ، ص ٢٧ وغيرها .

[٣]– الجبرتي: عجائب الآثار،ج١،ص ١٢١.

٣ـ استخدام أسلوب (السجع)[١] جرياً على طريقة العصور الوسطى في سرد الفتن، والثورات، والصراعات،[٢]كما أنه قدم لنا صفحاتٍ طيبةً من النثر ،ويظهر ذلك جلياً في وصفه التجارب العلمية التي قامت بها الحملة الفرنسية.[٣]

٤ – مال في مؤلفه إلى استخدام أسلوب العصر الذي تغلب عليه العامية، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها (نط عن الحائط)، (الكشك)، (فتش عليه)،(ثارت كرشه)، وغيرها، كما استخدم الكثير من الأمثلة الشعبية التي ما تزال تستخدم إلى وقتنا الحاضر مثال (والذي لم يرض بالتوت يرضى بحطبه)،[٤]بالإضافة إلى ذكر النعوت العامة التي أطلقها المصريون مثال: "مجنون، الحقير ، اللعين، الأوباش، الفقير ".[٥]

٥ – اتبع أسلوب البديع والمحسنات اللفظية في بداية كتابه عند حديثه عن تاريخ مصر ، ثم تعود لغته إلى حالتها الطبيعية نابذة للبديع، والمحسنات اللفظية في الأجزاء الباقية.[٦]

٦– استخدام العديد من الكلمات التركية، والفارسية، وهي كثيرة في جميع أجزاء الكتاب نذكر منها: الشنك، الإلداشات، خزندار ، الضلمة وغيرها.[٧]

أما أسلوبه في تناول فتميّز بأنّه :

---

[١]–السجع: مشتق من الساجع وهو المستقيم لاستقامته في الكلام واستواء أوزانه وقيل سمي بذلك من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على واحد.القلقشندي:ج٢، ص١٠٣.

[٢]– الجبرتي: عجائب الآثار ، ج١، ص ٣٨ – ٣٩ ؛ ج٣، ٢١ . ١٧٢.

[٣]– الجبرتي: عجائب الآثار ، ج ٣، ص ٥٣ – ٦٠.

[٤]– الجبرتي: عجائب الآثار ،ج٣، ص ٤٩ ؛ ج١، ص ١٨٩ .

[٥]– الجبرتي: عجائب الآثار ، ج٤، ص ١٦ ، ٥٢ ، ٥٦.

[٦]– الجبرتي: عجائب الآثار ،ج١، ص١ وما يليها .

[٧]– الألداشات : الألضاشات ، لفظ تركي أصله يولد (يتألف من يول ويعني الطريق وداش هي أداة المشاركة واليوالداش هو الرفيق في الطريق كما تطلق على الرفاق في الحزب الواحد. دهمان: ص ١٩

ـ الخزندار : مسؤلالخزينة ومهمته إعداد تقرير عن أحوال الخزينة الخاصة بالسلطان وإعلامه عن النقص، إضافة إلى مهمة الخزينة العامة في الدولة، يساعده عدد ومن الموظفين المختصين بأمور المحاسبة. عامر: ص ٩٣.

١- لم يقصر تراجمه على الأمراء والأعيان، بل ترجم للكثير من الباعة، وأهل السوق، والتجار والمجاذيب، كما ترجم لمن يعرفهم ومن لم يعرفهم بغض النظر عن قيمتهم، ومكانتهم الاجتماعية، مثال: ما ورد في سنة ١٢٢٥ هـ-١٨١٠م قوله:" ومات الفقيه الفريد الشيخ علي الحصاوي الشافعي ولا أعلم ترجمة له".[١]

٢ - ترجم لامرأة واحدة هي الست (نفيسة المرادية[٢]).[٣]

٣ - تباينت المساحة التي عرض عليها تراجمه، وذلك يعود إلى أهمية الشخص الذي يترجم له؛فقد بدأ أولاً بالمشايخ "لأنهم في نظره أمناء الله في العالم وخلاصة بني آدم مخلصون في مقام العبودية مجتهدون في اتباع أحكام الشريعة .. إلخ"[٤]، كما أنه اهتم بتراجم أمراء المماليك لصلته بالعديد منهم، أما في حال كون الشخصية التي يترجم لها ليست ذات أهمية فإن ترجمته لها لا تتجاوز بضعة أسطر.

٤ - لقد اختلفت أحكامه عن الشخصيات التي يترجم لها سلباً أو إيجاباً؛ فهو لم يقف منها موقفاً سلبياً بل عمل على إبداء رأيه، وعرض أفكاره،وأبرز ما يمثل ذلك نقده للعلماء والأمراء رغم صلته معهم بقوله: "أنهم افتتنوا بالدنيا، وهجروا مذاكر المسائل، ومدارسة العلم إلا بمقدار حفظ الناموس وترك العمل بالكلية ".[٥]

---

[١]-الجبرتي:عجائب الآثار، ج٤، ص ٤٠٢

[٢]-نفيسة المرادية : وهي شركسية الأصل من بلاح الكرج تسرى بها علي بيك الكبير وبنى لها داراً مطلاً على بركة الأريكة ولمامات علي بك تزوجت مراد بك وبالرغم من هروبه إلى الصعيد عند دخول الحملة الفرنسية إلى مصر إلا أنها طلت بالقاهرة وبعد موته تدهور بها الحال وأن أسوء معاملة تلقتها كانت قبل وفاتها في ١٢٣١ هـ/١٨١٦م كانت على يد محمد علي الذي صادر أملاكها والتزاماتها.الجبرتي: تحقيق: جمال الدين (عبد العزيز)، هامش ص٨٨ حاشية رقم١.

[٣]-الجبرتي: عجائب الآثار، ج٣، ص ١٩.

[٤]- الجبرتي: عجائب الآثار،ج١، ص ١٤.

[٥]- الجبرتي: عجائب الآثار،ج٤، ص ١١٣-١١٤.

أيضاً موقف إعجابه بمحمد علي رغم كراهيته له، لكنه أشاد بالأعمال التي قام بها كحفر ترعة الإسكندرية، وتعمير قصر العيني، وغيرها.[١]

فيما يخص مواردهالتي اعتمد عليها في كتاباته والتي ميزت أسلوبه فقد تباينت بين :

١ – روايات شفهية: سجل الجبرتي ما سمعه من كبار السن، وما وجده في صكوك ودفاتر الكتبة، وما كتب على أحجار وتراب القبور، وما حدثه به أبوه وأصدقاؤه.[٢]

٢ – مؤلفات من سبقه: اعتمد الجبرتي مَنْ سبقه من مؤلفات حولية وغيرها، والتي انتشرت وتناقلتها الأجيال، ويلاحظ أنه عندما كان يستخدم هذه المؤلفات في كتبه، ويقتبس منها كان يلجأ في بعض الأحيان إلى ذكر اسم الكاتب ومؤلفاته مثال :(مرج الزهور لابن إياس)،[٣] وأحياناً اكتفى بذكر اسم المؤلف دون ذكر اسم الكتاب مثال: (أحمد جلبي عبد الغني) و(الإسحاقي)،[٤] اعتماده مؤلفات من سبقه كان مورداً مهماً ومساعداً لإتمام مؤلفه للفترة التي لم يعاصرها .

٣– الملاحظة والمشاهدة اللتين كان يقوم بهما بنفسه في الأحداث التي عاصرها، وخصوصاً الحملة الفرنسية، والفترة الأولى من حكم محمد علي.

من خلال ما تقدم تمّ التعرف على منهج الجبرتي في تدوين التاريخ، والذي تميز به عن غيره؛ "فظهور الجبرتي كان إيذاناً بانتهاء الفتور بين مدرسة العلماء ومدرسة الأجناد، فلم يتردد الجبرتي

---

[١]–الجبرتي: عجائب الآثار، ج٤، ص ٢٥٣–٤٣٠–٤٣١.

[٢]– الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص ١، ١١.

[٣]– الجبرتي: عجائب الآثار،ج١، ص ٣٦ وما يليها.

[٤]– الجبرتي: عجائب الآثارج١، ص ١١ ، ٣٧ وما يليها.

في اعتماد مؤلفات رجال الأجناد التاريخية في كتابه هذا رغم علمه بأنها ركيكة التركيب، مختلفة التهذيب والترتيب .. ، وقد أخذ من مدرسة العلماء منهجها المنضبط والملتزم بدقة التواريخ، وأخذ من مدرسة الأجناد حيويتها، وتسجيلها بألوان الحياة الخلابة في عصره."[١]

نماذج لمؤرخي عصر اليقظة:

١ . رفاعة رافع الطهطاوي (ت١٢١٦ . ١٢٩٠ هـ / ١٨٠١-١٨٧٣م)

أ-حياته:

هو الشريف الحسيب أبو العزم [٢] رفاعة بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع، يتصل نسبه بالرسول (ص) عن طريق محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء،[٣] ولد ولد في طهطا عام ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ [٤] في مدينة جربا في صعيد مصر، وعند ولادته كانت عائلته في عسر، فتحول والده إلى (منشأة النيدة)،[٥] القريبة من جرجا ولجأ إلى أسرة يقال لها بيت أبي قطنة، فأقام هناك فترة، ثم نزح إلى (قنا)[٦]وبعدها إلى (فرشوط) [٧]، ليعود أخيراً إلى (طهطا)[٨]التي نشأ فيها .

---

[١]- رؤوف(عماد عبد السلام): كتابة العرب لتأريخهم في العصر العثماني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م، ص٣١.

[٢]-أبو العزم : وهي كنيته التي كناه بها أبو الأنوار السادات لما رأى فيه من صفة العزم والثبات. مجدي: ص ١٧ -١٨.

[٣]-مجدي: ص ١٧- ١٨.

[٤]-هناك عبارة كتبت على باب دار جد رفاعة الطهطاوي هي دليل على أن الطهطاوي ولد في تلك السنة والعبارة هي علي /١١٠ باب/٥ له/٣٥ العد/١٦٥ استما/٩١ ومن هنا يكون مولده سنة ١٢١٦ هـ/١٨٠١م. مجدي: ص ٦٦.

[٥]منشأة النيدة: تقع على الشاطئ الغربي للنيل قرب مدينة أخميم. مبارك: ج١٥، ص٧٩ .

[٦]-قنا: مدينة بصعيد مصر على الضفة الشرقية للنيل،في شمالها يغير النيل اتجاهه فيجري من الشرق إلى الغرب وينتهي عندها وادي قنا تشتهر بصناعة الفخار وزراعة الحبوب.نصار: مج٥، ص٢٥٨٨.

[٧]- فَرْشُوط: قرية كبيرة على شاطئ غربي النيل في الصعيد. مبارك: ج١٤، ص٨٦.

[٨]-طهطا: مدينة بمحافظة سوهاج بمصر، محطة للسكك الحديدية وفيها ولد رفاعة الطهطاوي. نصار: مج٥، ص٢١٧١.

أما بالنسبة إلى تعليمه فقد حفظ القرآن، وقرأ الكثير من المتون المتداولة عن أخواله الذين ينتهي نسبهم إلى الخزرج،[١] ثم التحق بالأزهر، وانتظم في سلك الطلبة، ومكث به نحو خمس سنوات ختم فيها دروسه، وتتلمذ على أيدي عدد كبير من العلماء، ولما أتمّ الحادية والعشرين أصبح أهلاً للتدريس، فدرّس في الأزهر، وقد كان مدرساً ممتازاً، فأقبل عليه الطلاب،وأفادوا من حلقات دروسه التي كانت دائماً حافلة بالمستمعين من التلاميذ، والمشايخ، وقد وصف مؤرخ حياته (صالح مجدي) ذلك بقوله: " كان رحمه الله حسنَ الإلقاء بحيث ينتفع بتدريسه كل من أخذ عنه وقد اشتغل في الجامع الأزهر بتدريس كتب شتى في الحديث، والمنطق، والبيان، والبديع،] والعروض، وغير ذلك، وكان درسه غاصاً بالجم الغفير من الطلبة ... " [٢]، لكنه عام ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م أصيب بضيق في العيش جعله يتحول عن خدمة الطلبة إلى خدمة الجيش،وقام في أحد الألايات[٣] بوظيفة واعظ وإمام .[٤]

وكان منْ حسن حظه أنه تتلمذ على يد الشيخ (حسن العطار)، وكان أقرب التلاميذ إليه،وعندما طلب محمد علي اختيار إمام للبعثة العلمية التي ينوي إرسالها إلى فرنسا رشحه(حسن العطار) لتلك الوظيفة،[٥] وقد تاقت نفس الطهطاوي إلى تلقي العلوم الحديثة، فعكف على تعلم الفرنسية بنفسه، طالع كتب التاريخ، والجغرافيا، وغيرها من الكتب،وبدأ بالترجمة وهو في باريس،[٦]وقد نال الشهادات الناطقة ببراعة، ولازم أكابر علماء الفرنسيين ومنهم (دي ساسي).[٧]

---

[١]–زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن الثاني عشر، مطبعة الهلال، ط٢، مصر، ١٩١١م، ج٢، ص ١٩، ٢٠.

[٢]– مجدي: ص ٢٦ ، ٣٠

[٣]–الألايات : عين الشيخ رفاعة في سنة ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤م واعظاً في الآى حسن بل المناشر، ثم انتقل إلى الاى أحمد بك المنكلى إلى أن أصبح أخيراً واعظاً للبعثة التعليمية إلى فرنسا. الشيال (جمال الدين): رفاعة زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، دار إحياء الكتب العربية، د.م، د.ت، ص٧.

[٤]– مجدي: ص ٢٦، ٣٠.

[٥]–الشيال: زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، ص ٧.

[٦]– زيدان: ج٤ ، ص٦٣١ .

[٧]–دي ساسي : هو انطوان إيزاك سلفستر دي ساسي (١١٢٧ –١٢٥٣ هـ / ١٧٥٨ –١٨٣٨ م) مستشرق فرنسي مولده ووفاته بباريس كان واسع الاطلاع على اللغات الشرقية له مؤلفات عديدة. الزركلي: ج٢ ، ص ٢٦.

تسلم الطهطاوي منصب الترجمة في مدرسة الطب عند عودته من باريس، وهذه أول مرة يتولى فيها مصري هذاالمنصب؛ فقد كانت هيئة المترجمين من السوريين، ليتدرج بعد ذلك في المناصب ليستلم منصب مترجم بمدرسة (الطوبجية بطرة)، لينتقل بعدها إلى منصب نظارة (مدرسة الألسن)،[١] كما أوكل إليه الإشراف على تحرير (جريدة الوقائع المصرية)[٢] وعُهِدَت إليه أيضاًمسؤوليات أخرى في تفتيش مكاتب الأقاليم، ونظارة الكتبخانة الإفرنجية، ومخزن عموم المدارس وغيرها .[٣]

لم يخش رفاعة طوال حياته على الوظيفة سوى في عهد (عباس) الذي تولى عرش مصر سنة١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م، والذي نشأ بينه وبين رفاعة نوع من الكراهية، وسوء التفاهم أغلق على أثر ذلك (مدرسة الألسن)، وأبعده إلى السودان ليشرف على مدرسة ابتدائية أنشئت هناك، وليبقى في السودان ثلاث سنوات إلى أن تولى(سعيد باشا) عرش مصر (١٢٧١هـ/١٨٥٤م)، فيعود رفاعة مرة ثانية إلى مصر، وتولى أثناء عودته منصب ناظر المدرسة الحربية بالقلعة، حتى مجيء عهد (إسماعيل باشا) الذي أعاد إحياء قلم الترجمة، وعينّ(الطهطاوي) مديراً له، كما أنه أعاد فتح (مدرسة الألسن) وأصبح رفاعة هو العضو الوحيد والدائم في (قوميسون المدرسة)، كما تسلّم خلال عهد إسماعيل منصب محرر لجريدة (روضة المدارس)،[٤] لكنه توفي سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، ودفن في مدافن عائلته بقرافة باب الوزير في منطقة بستان العلماء قرب الجامع الأزهر.[٥]

---

[١]- لمعرفة المزيد عن هذه المدارس الشيال (جمال الدين) : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ص٣٨ ومايليها.

[٢]- مبارك: ج ١٣ ، ص ٥٤ وما يليها.

[٣]-النجار: ص ١٠٥، ١٠٦.

[٤]-جونيور: ص ١٠٤، ١٠٥.

[٥]-عمارة (محمد): الأعمال الكاملة رفاعة رافع الطهطاوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د . ت، ج١، ص ٨٨ النجار: ص ١٧٧ .

ب–أهم مؤلفاته :

لقد كانت جهوده في النصف الأول من القرن التاسع عشر موجهة إلى الترجمة من أجل تزويد المكتبة بمجموعة من الكتب؛ لذلك فاقت جهوده في الترجمة جهوده في التأليف، وقد ترجم في مدة إقامته في باريس عدة كتب ورسائل،ولما أنشئت مدرسة الألسن زادت جهوده في ترجمة الكتب التاريخية يساعده في ذلك مجموعة من تلاميذ من خريجي (مدرسة الألسن)؛ لذا سنتطرق إلى ذكر بعض الكتب المترجمة قبل الحديث عن مؤلفاته .

١ . قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر :

هو رسالة صغيرة تقع في ١١٢ صفحة من القطع المتوسط وهو من تأليف الخواجا (دنبغ) يتألف الكتاب من سابقة، وفيها قاموس صغير يمتد من صفحة ٢ –١٠٥، وخطبة وعدة مقالات،وفي كل مقالة عدة فصول، وخاتمة ذاكراً في خطبة الكتاب سبب ترجمته بقوله:"... وقد اشتُهِر بين العام والخاص أن طائفة الإفرنج قد امتازت الآن بين الطوائف بالتجارات، والمخالطة لسائر البلاد، بل قد اتخذت معرفة البلاد، وأحوالها سبباً، وأنتجت بذلك نخباً فاتسعت معارفها في الجغرافيا والميقات .. على سائر الأوقات، فلا سبيل حينئذ من معرفة أحوال البلاد، والخلائق إلا بنقلها عمن حققها ...ولما كان للفقير معرفة بهذه اللغة .. طلب مني الخواجا جومار .. أن أترجم إلى العربية كتاباً يسمى بما معناه ديوان قلائد المفاخر .. " [١]

---

[١]– دبنغ (الخواجا): قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر، ترجمة:الطهطاوي (رفاعة)، دار الطباعة العامرة، القاهرة ١٨٧٦م، ص ٢، ٣.

٢. بداية القدماء وهداية الحكماء:

يتحدث عن تأريخ الدول والشعوب القديمة من مصريين، وسريانيين، وبابليين، وأكراد، وفرس ويونانيين .. إلخ، وقد أضاف رفاعة إليه فصولاً ليكمل بها ما في هذه الكتب من نقص،[١] وفيه شرح للكلمات الغريبة مرتبة على حروف المعجم [٢].

٣. مواقع الأفلاك في وقايع تلماك :

ترجمه في أثناء وجوده في السودان، وأشار في مقدمة كتابه إلى ما كان يحسّ به من ألم وهو في منفاه، وكيف استعان على تحمل هذا الألم بالاشتغال بترجمة هذا الكتاب،[٣]وقد طبعه أحد تلاميذ رفاعة في بيروت بعنوان " مواقع الأملاك في وقائع تلماك وبدون تاريخ ".[٤]

٤-جغرافية ملطبرون:

ترجم صفحات منه وهو في باريس، وعند عودته إلى مصر أكمل ترجمة الجزء الأول كلّه خلال سبعة أشهر، وبعد الانتهاء من ترجمته رقّاه محمد علي إلى رتبة أميرألاي.[٥]

٥-روزنامة (يقصد تقويم)، سنة ١٢٤٤ هـ/١٨٢٧م متضمنة شذرات علمية وتدبيريه .

وهناك عدد من الكتب التي أشرف عليها، وصححها، وراجعها،والتي لا مجال إلى عرضها، والتي بلغت حوالي ألفي كتاب [٦].

---

[١]- الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ص٦١.

[٢]- سركيس: ج١، ص ١٨١ .

[٣]-النجار: ص ١٣٤.

[٤]-مجدي: هامش ص٣٨ حاشية رقم٢.

[٥]- الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ص ١٣٥-١٣٧.

[٦]-لمعرفة المزيد الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ص ١٢٨، ١٢٩.

أما بالنسبة إلى مؤلفات الطهطاوي :

التأليف كان هوايته الأصلية فقد رأى فيه منفذاً لعرض أفكاره ومعارفه، لكن الترجمة شغلت معظم سنواته الأولى عندما أوكل مهمة الترجمة إلى تلاميذه أقبل على هوايته في التأليف .وأهم مؤلفاته هي :

١ – **أرجوزة في التوحيد**:نظمها بعد مدة من انتظامه في سلك طلبة ألأزهر، وهي أول مؤلفاته.

٢ . قطر الندى ويل الصدى :

وهي بناء على طلب أحد المدرسين عندما طلب منه تأليف خاتمة (قطر الندى ويل الصدى) وهي (لابن هشام) العالم النحوي المعروف فأجابه على ذلك، والكتاب هو مقدمة في علم النحو وقد نظمه الشيخ (عبد العزيز الفرغلي الأنصاري)[١] أحد أخوال رفاعة، وقد طبع النظم على هامش المتن طبعات كثيرة بالقاهرة سنة ١٢٨٢ و ١٣٣٠ هـ /١٨٦٥– ١٩١١م، وهذا الكتاب لم يذكره أحد مما ترجم لرفاعة.[٢]

٣ . القول السديد في الاجتهاد والتعليم :

عرف فيه المجتهد، وأركان الاجتهاد، وأدلته، ومراتب الاجتهاد، ولم يصدر الطهطاوي حكماً قاطعاً في بقاء الاجتهاد.[٣]

---

[١]–عبد الغزيز الفرغلي الأنصاري(ت ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) نحوي، له شرح قطر الندى ويل الصدى.كحالة: ج٢، ص١٦٥.

[٢]– مجدي: ص ٢٥ حاشية رقم٢. وهامش ص ٢٨ حاشية رقم١..

[٣]–النجار: ص ١٦٠.

٤ . التحفة المكتبية لتعريب اللغة العربية:

وهي محاولة لتبسيط قواعد اللغة العربية طبعت في حياة المؤلف سنة ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م .[١]

٥ . تخليص الإبريز في تلخيص باريز:

كتبه الطهطاوي في باريس مصوراً فيه رحلته إليها، تقدم به إلى لجنة الامتحان في سنة١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠ م، وعند عودته إلى مصر أضاف إليه فصولاً أخرى، وللكتاب عنوان أخر هو (الديوان النفيس بإيوان باريس)، وهو العنوان الذي وصفه به (حسن العطار)أستاذ المؤلف عند تحريره للكتاب بقوله: " وهذه رحلة إلى الله تعالى لرفاعة بدوي رافع الطهطاوي إلى ديار فرنسا المسماة (بتخليص الإبريز إلى تلخيص باريز أو الديوان النفيس بإيوان باريس) .... " [٢]

والكتاب يمثل التقاء الشرق والغرب، فهو ليس فقط كتاب يصف فيه رحلته، بل أوفى في الوصف والمشاهدة، كما أنه ليس تقريراً شاملاً عن دراسة طالب مجتهد فحسب، بل عُدّ مصدراً مباشراً لحياته، ولدراسة المبعوثين المصريين إلى فرنسا، وهو صورة حية للقاء مثمر بين الشرق والغرب في العصر الحديث.

قسم الطهطاوي كتابه هذا: إلى مقدمة، وفيها عدة أبواب، ومقصد فيه عدة مقالات، وكل مقالة فيها عدة فصول وخاتمة.

ذكر فيه الأسباب التي دفعته إلى القيام بهذه الرحلة بقوله : (...أن أُنّبه على ما يقع في هذه السفرة، وعلى ما أراه، وما أصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة، وأن أقيده ليكون نافعاً في

---

[١]-عمارة: ص ٨١ .

[٢]- الطهطاوي (رفاعة رافع): تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، حققه وعلق عليه: جاو(عبد العزيز توفيق)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٥٩.

كشف القناع عن محيا هذه البقاع ... وليبقى دليلاً يهتدي به إلى السفر إليها طلاب الأسفار وقد سَمّيت هذه الرحلة (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) أو (الديوان النفيس بإيوان باريس). "

اتبع في كتابته الأسلوب السردي الذي يتميز بالسلاسة والسهولة محاولاً قدر إمكانه أن يهجر السجع مائلاً إلى كثرة استخدام الاستطرادات والاختصار من دون حشو ولا تطويل قائلاً: " حاولت في تأليفه سلوك طريق الإيجاز،وارتكاب السهولة في التعبير حتى يمكن لكل الناس الورود على حياضه، ولو صغر حجمه وقلّ جرمه، فهو مشحون بما لا يحصى من فوائد الفرائد،وبما لا يستقصى من جزائل الخرائد " [١] ، شكل الشعر حجر الأساس في كتابه مما يدل على ولعه به؛ فالقسم الأخير من الكتاب ضم مجموعة من الدواوين الشعرية له، ولغيره من الشعراء المحدثين "[٢]

لقد اختلف أسلوب المؤلف ومضمونه في الختام عما كان عليه في البداية؛ فنجد عبارات وكلمات تفصح عن نفوره من الأجانب وعاداتهم، وتقاليدهم، فيصفهم بقوله:" وهذه البلاد هي ديار كفر وعناد " [٣] ، لكن موقفه هذا سرعان ما يتبدل عند دخوله المدينة، ومعاشرة أهلها والنهل من علومها، ليصبح موقفه رجاء إلى الله تعالى " أن يوقظ بكتابه هذا من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم، إنه سميع مجيب، وقاصده لا يخيب ".[٤]

---

[١]- الطهطاوي: تخليص الإبريز، ص ٥٩

[٢]- الطهطاوي: تخليص الإبريز، ص ٢٢١ وما يليها .

[٣]- الطهطاوي: تخليص الإبريز، المقالة الأولى، الفصل الثاني، ص ٨٩.

[٤]-الطهطاوي: تخليص الإبريز، المقدمة، ص ٦٥.

٦ . كتاب أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل:

وهذا الكتاب هو الجزء الأول من موسوعة التاريخ التي عزم على تأليفها خصصه للحديث عن تاريخ مصر ابتداءً من عصور الفراعنة، والبطالمة، والرومان، والبيزنطيين، ووقف عند الفتح العربي الإسلامي، وسماه (أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل) في حين أرّخ في الجزء الثاني للرسول(ص) وسماه (نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز) .

عَمَدَ الطهطاوي إلى تقسيمه إلى خطبة، ومقدمة تحدث في خطبته عن المنهج الذي اتبعه بقوله: " إنه اكتفى بذكر جوامع الكلام من هذا التاريخ النافع، وبيان ما اشتمل عليه فيما يتعلق بالمدنية والعسكرية، والإيضاح عمنّ سلف من إبداع الفنون، والصنائع، واختراع وسائل المنافع ووسائط الصنائع ...، كما اشتمل على ذكر أكفاء الحنفاء، والخلفاء، والعلماء، والحكماء، والسلاطين والأساطين، والأمراء، والوزراء"[١]ذاكراً السبب في تسمية كتابه (بأنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل) يقول: " .. ووافق صدور الأمر بطبعه وتمثيله في أثناء العهد(المقصود به عهد إسماعيل) من عقد العهد لنجله الأكبر تاج الملك وإكليله سميته (أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل) ليكون محبوك الطرفين متحلياً بأسمى الأصل والفرع الأشرفين. " [٢]

كما صرح عن الأسباب التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب؛ فقد رأى أن كتابة تاريخ عن مصر يمكن من خلاله كتابة تاريخ الحضارة، فيؤرخ للعام من خلال تأريخ الخاص، والتحدث عن الكل من خلال الجزء، واتخذ من علاقاتها سبيلاً للتأريخ العام من خلال التأريخ لها. " لأن مصر لها

---

[١]- الطهطاوي (رفاعة رافع): أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل، بولاق، ١٢٨٥ هـ /١٨٦٨م، ص٢، ٣،٤.

[٢]- الطهطاوي: أنوار توفيق الجليل، ص ٤.

العلائــق الأكيــدة مــع ســائر العــالم فــي طولــه وعرضــه وتاريخهــا جــامع لســائر الممالــك والملوك."[1]وبعد ذلك تبدأ المقدمة(بمعروض الإتحاف ومقروض الاستعطاف لولي مصر الوثيق محمد باشا توفيق)"، لينتقل بعدها ليقسم التاريخ إلى (أثري وبشري) الأول: ما كان عن طريق الشرع كالقصص الواردة في الكتب السماوية، والثاني: ما وقف عليه الناس من الوقائع، والحوادث الحاصلة في العصور القديمة والحديثة فأرخوه، " ليقسم هذا التاريخ البشري إلى قسمين: (قديم وحديث)، وهذا الآخر ينقسم إلى :(عمومي وخصوصي)،[2] يخصص التمهيد لتاريخ مصر منذ القديم يظهر فيه اعتزازه بها؛ فهي" أم الحضارات، ولم تسبقها أمةٌفي ميدان التمدنية، ولا في حومة تقنين القوانين وتشريع الأحكام المدنية "،[3] متحدثاً بعد ذلك عن سياستهم، وعاداتهم، وتقاليدهم المتبعة، وخصوصاً فيما يتعلق بفرض العقوبات المفروضة، موضحاً أسباب تقدمهم .

تطرق في المقالة الأولى التي تحتوي عدة أبواب غلى جغرافية مصر ، وطبيعتها، وحدودها والنيل، وفروعه، وترعه، وأهميته بالنسبة إلى مصر ، وأثره في تاريخها،وشعبها،وحضاراتها.[4]،أمّا المقالة الثانية والتي تحتوي عدة أبواب فقد خصصهالملوك مصر وطبقاتهم:(عليا وسطى) لينهي هذه المقالة بالحديث عن دولة الفرس،[5] بينما أفردالمقالة الثالثة للدولة المقدونية، واليونانية والرومانية، وهي مقسمة إلى أبواب [6] تشتمل المقالة الرابعة على ذكر دولة الروم، ليختم الجزء

---

[1]- الطهطاوي:أنوار توفيق الجليل،ص ٢.

[2]-الطهطاوي:أنوار توفيق الجليل، ص ٧، ٨ .

[3]- الطهطاوي:أنوار توفيق الجليل، ص ٩ .

[4]- الطهطاوي: أنوار توفيق الجليل، ص ١٩ – ٥٠ .

[5]-الطهطاوي: أنوار توفيق الجليل، ص ٥٢ – ١٥٠

[6]- الطهطاوي: أنوار توفيق الجليل، ص ١٥٤ – ٢٨٨ .

الأول من هذا الكتاب بالفتح العربي الإسلامي لمصر متحدثاً عن العرب قبل الإسلام وعاداتهم ولغتهم، وأسواقهم...الخ.[١]

لقد انتهج الطهطاوي في كتابه هذا منهجاً علمياً دقيقاً؛ فقد قسم مقالاته إلى أبواب، والأبواب إلى فصول مفصلة العناوين، وذلك وفق أسلوب سردي مبوب عمد فيه إلى الاختصار، والإيجاز والاكتفاء بذكر المهم من الأحداث معبراً عن ذلك بقوله: " إنه اكتفى بذكر جوامع الكلام من هذا التاريخ النافع، [٢]لا يعتمد على التسجيلَ والتدوين فقط، بل نراه يلجأ إلى النقد والإخبار ،وإضافة ما يستحق أن يضاف إلى ذلك من ملاحظات اقتضاها الحال ... "[٣]

أهم المصادر التي اعتمدها في النقل والتسجيل هي: المراجع القديمة، والحديثة العربية وغير العربية ذاكراً ذلك بقوله: " واقتطفها من الكتب العديدة واستخرجها من التواريخ القديمة والجديدة عربية كانت أو غير عربية متجنباً الأقاويل غير المرضية مما يظهر بعرضه على ميزان العقل إنه من محض الخرافات مما يولع به الإخباريون، والقصّاص من اختراع الأباطيل والخزعبلات..."[٤]، وبالإضافة إلى اعتماده الأسلوب السردي نجده يعتمد الاستطراد مبيناً ذلك بقوله: " .... وجميع ما اقتضاه فن الاستطراد، وأوجبته المناسبة وحكم الأسلوب الحكيم لبيان المرام والمراد حتى صار أهلاً لأن ينطق " [٥]

---

[١]- الطهطاوي: أنوار توفيق الجليل، ص ٢٩٣ – ٤٦٧ .

[٢]- الطهطاوي: أنوار توفيق الجليل، الخطبة، ص٢ .

[٣]- الطهطاوي:أنوار توفيق الجليل،الخطبة، ص ٢ .

[٤]- الطهطاوي: أنوار توفيق الجليل، الخطبة، ص٢ .

[٥]- الطهطاوي: أنوار توفيق الجليل،الخطبة، ص٤ .

٧ . نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز:

وهو الجزء الثاني من موسوعة التاريخ التي بدأ الطهطاوي في تأليفها، وقد رأى الطهطاوي قبل أن يؤرخ لمصر الإسلامية أن يؤرخ للرسول (ص)، لكن لا بد من الإشارة إلى ما قاله البعض من إمكانية اعتبار (نهاية الإيجاز) كتاباً مستقلاً عن (أنوار توفيق الجليل) طالما أن الطهطاوي قد أعطاه اسماً مستقلاً عن الكتاب الأول،[١]وقد قال (صالح مجدي): إن هذا الكتاب هو آخر الكتب التي ألفها الطهطاوي، فقد توفي ١٢٩٠هـ /١٨٧٣م وهو يكتب هذا الجزء، وقام ابنه (علي باشا فهمي) بإكماله على منهجه وأسلوبه،[٢] لكن (جمال الدين الشيال) يعلق على ذلك بقوله: " لست أعرف شيئاً من الجزء الثاني الذي يشير إليه (صالح مجدي)، وليس هناك ما يبيّن أن ولده علي فهمي أتم تأليف هذا التاريخ".[٣]

لقد نشرت فصول هذا الكتاب في ثلاثة وأربعين عدداً من مجلة (روضة المدارس) في سنواتها:الثالثة، والرابعة، والخامسة، وكان (علي مبارك) هو البادئ بنشرها[٤].

الكتاب يتناول حياة الرسول الكريم من مولده إلى وفاته، فروى قصة حياته طفلاً، ورجلاً وكهلاً وتكلم عن البعثة، وعهد الدعوة في مكة ثم الهجرة، وعهد تكوين الدولة في المدينة الغزوات، ثم أفرد فصلاً عن زوجات النبي (ص)،وفصلاً عن معجزاته وهكذا،[٥]ويقول في نهاية هذا الكتاب:"ومن هذا الكتاب استخرجتُ الزبدة اللائقة، والخلاصات الفائقة الآنية في أبوابها، النافعة

---

[١]- الطهطاوي (رفاعة رافع): نهاية الأيجاز في سيرة ساكن الحجاز، ص ٢٠ .

[٢]- مجدي: ص٦٣،٦٤.

[٣]- مجدي: هامش ص ٦٣ حاشية رقم٦.

[٤]- مجلة روضة المدارس، السنة الرابعة، العدد العشرين (شوال ١٢٩٠ هـ)، الطبعة الثالثة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م ، ص٣٥٠ .

[٥]-الطهطاوي: نهاية الإيجاز، ص ١٩ وما يليها.

لطلاّبها، فلم يف ذلك غالب مؤلفي كتب السير، بل جميعهم، فبانضمام هذه العملات، والوظائف السياسية، والشرعية إلى ما حوته هذه السيرة من مجرياته (ص) ابتداءً وانتهاءً تفوز بفضيلة السبق، وترضى بعونه الخالقَ والخلْقَ"[1]،هذا دليل على أن هناك كتاباً آخر للمؤلف متمماً هذا الكتاب، ويحمل عنوان(الدولة الإسلامية نظامها وعملاتها)، وقد نشرته مكتبة الآداب في مجلد واحد مع هذا الكتاب الذي أفرده المؤلف للتحدث عن نظام الحكومة في عصر النبي (ص) فجمع الأقوال المختلفة المبعثرة في كتب السيرة الأخرى، ونظمها تنظيماً جيداً، وكتب فيها بحثه ليدل على أن أسس الحكومة الإسلامية بفروعها المختلفة قد وضعت في زمن الرسول (ص) فتكلم عن الوزارة، والحجابة، والكتابة، والإمارة، والحج، وكسوة الكعبة ...إلخ[2]

كل ذلك من خلال تقسيم كتابه إلى مقالات، والمقالات إلى أبواب، والأبواب إلى فصول مفصلة وواضحة العناوين .

أما منهجه في التأليف فقدعتمد فيه نهجَ مَنْ سبقه من كتاب السير باعتماده الأسلوب السردي مبتدئاً بمولد الرسول حتى وفاته منظماً إياها في ست وحدات سردية مراعياً فيها الترتيب الزمني سالكاً طريقة وتقنية الإيجاز والحذف،ويتجلى ذلك بإدخاله كلمة الإيجاز في العنوان " نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز " معتمداً الاستطرادَ في تقديمه الأخبار والرواياتِ والشخصياتِ مثال ذلك: حديثه عن واقعة زواج النبي من السيدة خديجة،وأيضاً شخصية عبد المطلب، وفاطمة الزهراء، وغيرهم.[3]

---

[1]- الطهطاوي:نهاية الإيجاز،الباب الخامس، الفصل الرابع، ص٤٩٧ .

[2]-الشيال: التاريخ والمؤرخون، ص ٨١ ؛ الطهطاوي: نهاية الإيجاز، هامش ص٤٩٧، حاشية رقم٢.

[3]- الطهطاوي: نهاية الإيجاز، الباب الخامس، الفصل الرابع، ص٤٥٥-٤٧٦.

أما عن أسلوبه في معالجة الغزوات وعرضها فقد عمل على إفراد حوادثها، وذكر سنوات حدوثها.[1]وكما قرن السرد بالشعر، فقدَ ندرَ أن يسرد واقعة دون أن يورد فيها أشعار، وأحياناً لجأ إلى استخدام الشعر باعتباره جزءاً مكملاً للواقعة التي يروي عنها، أو ينقلها عن غيره، وأحياناً قد يستخدمه لإثبات فكرة يقدمها[2].

٨ . مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية :

لاحظ رفاعة أنه لا يوجد بين أيدي التلاميذ كتب للمطالعة تزود الأولاد بالمعارف العامة؛ فوضع كتابه (مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية) ليسدّ به هذا النقص،[3]وقد طبع هذا الكتاب في حياة المؤلف سنة ١٢٨٦ هـ/١٨٦٩ م، وطبع مرة ثانية بعد وفاته سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١ م[4].

والكتاب خليط من المعلومات دون أية وحدة بنائية تربط بينها، فقد شمل موضوعات عديدة في الأخلاق، والتعليم، والشعر، والمنافع العمومية، والتمدن، وإصلاح الحكومة وغيرها، وعمد إلى تقسيم كتابه إلى مطلب، ومقدمة، وخمسة أبواب، وكل باب يحتوي عدداً من الفصول، وكل فصل يحتوي عدداً من المطالب، وخاتمة موضحاً في بداية كتابه السبب الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب بقوله :" ولما كان من الواجب على كل عضو من أعضاء الوطن أن يعين الجمعية بقدر الاستطاعة، ويبذل ما عنده من رأس مال البضاعة لمنفعة وطنه العمومية وينصح لبلاده ببث مافي وسعهم من المعلومية بذلت جهدي وجدت بما عندي وجلت في مضمار المحسنات وقلت

---

(١)- الطهطاوي: نهاية الإيجاز، الباب الثالث، الفصل الرابع، ص١٥٩-٢٠٧ .

(٢)- الطهطاوي: نهاية الإيجاز، الباب الأول، الفصل الثاني، ص٧٥،٧٤،٦٤،٦٣،٦٠، .

(٣) -الشيال: رفاعة زعيم النهضة الفكرية، ص٨٥ .

(٤)- عمارة : ج١، ص ٧٩ .

إنما الأعمال بالنيات... ،ومن المعلوم أن طرائق خدمة ذلك عديدةوكلها سديدة ومفيدة ... (وسميتها مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية ... الخ)"[١].

ليوضح بعد ذلك منهجه الذي اتبعه فيقول :" فلهذا بذلت المجهود لبيان الغرض، والمقصود بتصنيف نخبة جليلة، وترصيف تحفة جميلة من المنافع العمومية ....إلخ. [٢]

كل هذا وفق أسلوب موضوعاتي أكثر منه حولي معتمداً نهجَ مَنْ سبقه من مؤرخي العصور الوسطى في استخدامه السجعَ،[٣] وقد اعتمدت موضوعاته التحليل أكثر من الوصف معبراً عن وجهة نظره سواء أكانت سلبية أم إيجابية معتمداً الاستطرادَ وضرب الأمثلة نظماً ونثراً، بالإضافة إلى استشهاده بالوقائع التاريخية [٤].

٩ . المرشد الأمين في تربية البنات والبنين :

وهو من الكتب المدرسية التي ألفها الطهطاوي بناء على طلب قُدم إليه من ديوان المدارس ليؤلف كتاب الآداب والتربية لتعليم البنين والبنات على السوية بقوله :"... صدر لي الأمر القاضي في ديوان المدارس بعمل كتاب في الآداب والتربية، يصلح لتعليم البنين والبنات على السوية فشمرت عن ساعد الاجتهاد، وعملت هذه المجموعة التي جاءت على وفق المراد .. وسميتها المرشد الأمين في تربية البنات والبنين)".[٥]

---

[١]- الطهطاوي (رفاعة رافع): مباهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية، مطبعة شركة الرغائب، ط٢، مصر، ١٩١٢ م ص ٤، ٥ .

[٢]- الطهطاوي: مباهج الألباب، ص ٥ .

[٣]- الطهطاوي: مباهج الألباب، الباب الرابع، الفصل الأول، ص٢٠٧-٢٢١.

[٤]- الطهطاوي: مباهج الألباب، الباب الخامس، الفصل الرابع، ص٢٨٢-٢٨٤؛ والباب الرابع، الفصل الأول، ص٢٠٧-٢٢١ والفصل الثالث، ص٢٣٣-٢٤٨؛ والرابع، ص٢٤٩-٢٨١؛ والباب الثالث، الفصل الثالث، ص١٨٨-١٩٤؛ والباب الخامس، الفصل الثاني، ص٢٨٥-٢٩٤ .

[٥]-الطهطاوي: المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، المقدمة ، ص ٧.

والكتاب يتألف من مقدمة، وسبعة أبواب وخاتمة، ويعتبر هذا الكتاب أول ما كُتب في مجال التربية، كما تطرق إلى قضايا الزواج والأسرة، وقد استعان بالشواهدَ التاريخيةَ المتعددةَ لتعريف دور المرأة في الحياة العامة،[1] أما الخاتمة فيتعرض فيها لبعض الأمور المتعلقة بحفظ الصحة ثم أورد الأحاديث النبوية التي تدعو إلى الفضائل.[2] بعد عرض موجز عن كتب الطهطاوي ومنهجه سنتطرق لذكر الأسباب التي أعطت مؤلفاته هذه الأهمية، ونتناول بعدها الحديث عن منهجه المتبع في جميع كتبه.

أما بالنسبة إلى أهمية أعماله فقد تجلت في نقاط كثيرة منها :

١-تميزت آثاره الفكرية بالموسوعية، والشمول، والإحاطة؛ فهو لم يقف عند علوم الدين وفنونه بل ضم أيضاً معرفة بطائفة من العلوم العقلية والنقلية، كما أنه ابتعد في مؤلفاته عن التخصص في فرع معين من فروع العلم، ويظهر ذلك جلياً في كتابه مناهج الألباب؛ فالكتاب يحتوي مجموعةً من الموضوعات في مجالات مختلفة؛ فنجد فيها فكراً وثقافةً واقتصاداًوسياسةً وتربيةً وغيرها.

٢- يعتبر أول مترجم نشأ في الديار المصرية من أبنائها، وأول منشئ لصحيفة أخبار في الديار المصرية، وأول من وقف على التواريخ القديمة والحديثة، كما أنه أول من نبغ في تعليم أبناء وطنه اللغات الأجنبية [3]

٣ -كان الهدف الأساس والجوهري في مؤلفاته هو النهوض بالأمة العربية، وتنويرها، وانفتاحها على الغرب والاقتباس منه ما هو ضروري مع تأكيده الحفاظ على الاستقلال الوطني؛ فقد أشار في كتابه(تخليص الإبريز) إلى " أن هدفه هو كشف القناع عن محيّا هذه البقاع"[4] .

---

[1]- الطهطاوي: المرشد الأمين، الباب الخامس، الفصل الأول، ص٢٩٨.

[2]- الطهطاوي:المرشد الأمين، الخاتمة، الفصل الأول والثاني، ص٨٠٧-٨٢٦ .

[3]-مجدي: ص ٣٤ .

[4]- الطهطاوي: تخليص الأبريز، الخطبة، ص٥٩.

٤- تأكيده الدورَ الذي يلعبه الحاكم في نشر العلم والتعليم ذلك " لأن العلوم لا تنشر في عصر إلا بإعانة صاحب الدولة لأهله، وفي الأمثال الحكيمة ... (والناس على دين ملوكهم) "[١]

٥ -هو أول مؤرخ مصري عرف تاريخ مصر على حقيقته في ضوء ما وصلت إليه الكشوف الأثرية، وما كتبه المؤرخون الأوروبيون كما أنه آمن بأمجاد هذا التاريخ، وما فيه من عظمة وحضارة، وتجلى اعتزازه هذا بقوله: " مصر أم الحضارات ولم تسبقها أمةً في ميدان التمدنية، ولا في حومة تقنين، وتشريع أحكام الأحكام المدنية، ولم تجحد نعمة اقتباس علومها أمة ولا دولة، ولا أنكرت الاستضاءة بنور نبراسها مملكة عظيمة ولا دويلة. "[٢]

٦- تتجلى في مؤلفاته أيضاً النظرة الموضوعية والعقلانية والناقدة يقول: " أشهد الله سبحانه وتعالى على أن لا أحيد في جميع ما أقول عن طريق الحق، وأن أخشى ما سمح به خاطري من الحكم ..."[٣].

أما بالنسبة إلى معالجته الأحداثَفلا يقف منها موقف الجامد والناقل، بل يُخضع أحداثه للنقد والتحليل، ويتجلى ذلك في جميع مؤلفاته نذكر منها أنه رغم إعجابه بمحمد علي وجه له الانتقاد لاهتمامه الزائد بالبحث عن الذهب في السودان، وإهمال أمور الزراعة،[٤]وأيضاً رغم إعجابه بالمجتمع الفرنسي ومؤسساته ودستوره، وجد فيه العديد من السلبيات،" فهو بوصفه مسلماً رأى أن في نظام الربا شائبة تشوب الكسب [٥]".

---

[١]- الطهطاوي: تخليص الإبريز، المقدمة، الباب الأول، ص٦٥.

[٢] -الطهطاوي: أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل، الخطبة ، ص ٩ .

[٣] – الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص ٥٩.

[٤]- الطهطاوي: مباهج الآداب المصرية في مناهج الآداب العصرية، الباب الرابع، الفصل الرابع، ص٢٤٩-٢٨١ .

[٥]- الطهطاوي: تخليص الإبريز، المقالة الثالثة، الفصل الحادي عشر، ص٢٤٨ .

٧- يعتبر الطهطاوي في مؤلفاته من دعاة تحرير المرأة، فقد أكد حقَّها في العلم والعمل[١].

٨- مهد في مؤلفاته للحركة القومية، وأكد أهمية العرب والعروبة؛ فقدم تعريفاً عن القومية، وحدد عناصرها ومقوماتها، كما أنه أكد دور العنصر الوطني، والوطنية، وحق المواطنة وغيرها[٢].

٩- تحدث في كل مؤلفاته عن فضل العرب على غيرهم، والخصائص التي تمتعوا فيها؛ " فهم عنده أفضل القبائل على الإطلاق[٣] ".

كما أنهم " أكثر الأمم شجاعة ومروءة وشهامة، لسانهم أتم الألسنة بياناً وتميزاً للمعاني جميعاً وفرقاً يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل[٤]"، وقوله:" جرت العادة عند العرب الذين هم خيار الناس بأن الآباء، والأمهات يصطفون لأبنائهم الأزواج، والزوجات مع مراعاة الأصالة، والنباهة وحسن الأخلاق، وكرم الأصل"[٥].

١٠-قيامة بإجراء مقارنات بين مشاهداته في الغرب وبين ما هو متعارف عليه في الشرق فكشف عن أوجه الاختلاف والتشابه من حيث الجوهر والموضوع؛ فمثلاً مفهوم الرقص عند الفرنسيين هو نوع من أنواع الفنون، لكنه عند المصريين نوع من أنواع العهر،[٦] أما بالنسبة إلى مفهوم العلم والعلماء فهم عند الفرنسيين ليسوا رجال دين، بينما هم عند المصريين رجال دين ويتجلى ذلك بقوله: "... ولا نتوهم أن علماء الفرنسيين هم القساوسة لأن القساوسة إنما هم علماء الدين

---

[١]- الطهطاوي: المرشد الأمين في تربية البنات والبنين،الباب الرابع، الفصل الثالث، ص٢١١ .

[٢]- الطهطاوي: مباهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية، الباب الرابع، الفصل الأول، ص٢٠٧-٢٢١ .

[٣]- الطهطاوي: تخليص الإبريز، المقدمة، الباب الثالث، ص٧٧ .

[٤]-الطهطاوي: أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل، المقالة الرابعة، الباب الثاني والثالث ؛ الطهطاوي: مباهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية، الباب الثاني، الفصل الثالث، ص١٤٧-١٥٩.

[٥]- الطهطاوي: المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، الباب السادس، الفصل الثالث، ص٥٤٧.

[٦]- الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، المقالة الثالثة، الفصل السابع، ص٢٠٨.

فقط، وإذا قيل في فرنسا هذا الإنسان عالم لا يفهم منه أنه يعرف في دينه بل أنه يعرف علماً من العلوم الأخرى".[١]

١١ –حظي التاريخ في نظره بجل اهتمامه، وإليه يرجع الفصل في الاعتراف به بوصفه مادةً من مواد الدراسة؛ فالتاريخ في نظره عمرتان للناظرين، فمن تعلمه فكأنما زاد من عمره وأحسن عافيته أمره، كما أنه معاد معنوي لأنه يعيد الإعمار، وقد سلف وينشر أهلها، وقد ذهبت آثارهم وعفت.[٢]

١٢ –لم يقف من لغة الشعب العامة موقف التعالي، بل نجده يفضل ألفاظها ومصطلحاتها على ما هو أجنبي، وعندما أسعفته الفصحى في التعبير عن خطبه في أثناء تقديمه كتاب (قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر) نجده يقول : " ... ولما كانت هذه الألفاظ في الأغلب أعجمية لم تركب إلى الآن في كتب اللغة العربية ... عربناها هنا بأسهل ما يمكن التلفظ به على وجه التقريب، حتى إنه يمكن أن تصير، على مدى الأيام دخيلة في لغتنا، كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية واليونانية ... "[٣]

وبعد الاطلاع على بعض النقاط التي ظهرت فيها أهمية كتابات الطهطاوي سنتعرف المنهج الذي اتبعه في التدوين التاريخي أهو حولي، أم سردي، أم تراجم أم ماذا؟.

١– نجد اختلافاً في أسلوب الطهطاوي المتبع؛ نجده بشكله السردي المقسم إلى أبواب وفصول. وكل فصل يختص بموضوع معين يشرحه، ثم ينتقل إلى غيره،ويتجلى ذلك في كتابيه: (أنوار

---

[١]– الطهطاوي: تخليص الإبريز، المقالة الثالثة، الفصل الحادي عشر، ص٢٤٨ .

[٢]– الطهطاوي: أنور توفيق الجليل، الخطبة، ص ٧، ٨ .

[٣]– الطهطاوي: قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر، ص ٢ .

توفيق الجليل)، و(نهاية الإيجاز). في حين نجده في مؤلفاته الأخرى يتحول إلى الأسلوب التوجيهي والتعليمي، كما في كتابه (المرشد الأمين) و(مناهج الألباب)، في الوقت الذي يأخذ أحياناً شكل رحلة أو مذكرات كما في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) .

٢- يلتزم السجع في أماكن، وفي أخرى يحاول التخلص منه، في الوقت الذي نرى مؤلفاته تذخر بالكثير من الأشعار بعضها نظمها هو بنفسه (كقصيدة مدح مصر)،[١]وبعضها نسبها إلى قائلها دون تحديد اسمه، واكتفى بعبارة(قال الشاعر)، بينما نجده في أماكن أخرى يذكر الاسم .

٣-أما بالنسبة إلى عباراته فقد كانت سهلة وواضحة ومختصرة حرص فيها وقدر الإمكان الابتعاد عن الحشو معتمداً تقنية الحذف كاستبعاده في حديثة عن جعفر عبد المطلب، كل المرويات التي قدمتها السير السابقة [٢].

٤-ناقداً رواياته ومبدياً رأيه في الحوادث والشخصيات التي يتناولها، مع قيامه بإجراء مقارنات بالإضافة إلى التحليل والنقد [٣] .

فيما يخص موارده التي اعتمدها فهي متنوعة تراوحت بين :

١-كتب من سبقه من المؤرخين؛ فكان يستشهد بهم، ويقتبس عنهم بعض العبارات، فيذكر أسماءهم حيناً (كابن قتيبة ، المتنبي وغيره) ويكتفي أحياناً بالقول: (قال بعضهم ، كما قيل) مع وضع عبارة انتهى ختاماً للعبارات التي اقتبسها.[٤]

---

[١]-الطهطاوي: نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، الباب الأول، الفصل الثاني، ص٥٩ ومايليها.

[٢]- الطهطاوي: أنوار توفيق الجليل، ص ٢؛ الطهطاوي: نهاية الإيجاز، باب خامس ، الفصل الرابع؛ الباب الأول . الفصل الأول .

[٣]-الطهطاوي: مباهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية، الباب الرابع الفصل الثالث، ص٢٣٣-٢٤، والباب الثالث، الفصل الثالث، ص١٨٨-١٩٤؛الطهطاوي: تخليص الإبريز،المقالة الثالثة، الفصل الثاني، والسابع، ص١٤٧-٢٠٨؛الطهطاوي: المرشد الأمين، الباب الثالث، الفصل الثالث، ص١٤٣.

[٤]-الطهطاوي: المرشد الأمين، باب سابع، فصل ثاني، ص٦٤١؛الطهطاوي: مباهج الألباب، باب خامس، فصل رابع ؛ الطهطاوي: نهاية الإيجاز، باب خامس، فصل أول، ص٤١٤،٤٠٩،٤٠٨،٤٠٦،٤٠٥؛ وفصل رابع، ص٤٦١،٤٥٩،٤٥٨،٤٥٦.

٢-مشاهداته الخاصة للأحداث التي يسجلها، فتجواله في باريس مكنّه من رصد كثير من الظواهر الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، ليس ذلك فحسب، بل إن الكتب التي قرأها في أثناء إقامته في باريس زادت من معرفته، وقد بيّن ذلك بقوله: " وقرأت في الحقوق الطبيعية كتاباً برلمانياً، وترجمته، وفهمته فهماً جيداً. "[١]

هذا هو المنهج الخاص بالطهطاوي، والذي ظهر واضحاً من خلال مؤلفاته التي تنوعت موضوعاتها، فوجدناه يظهر بمظهر الشاعر، والمؤرخ، والأديب، والصحفي،هذه صورة موجزة عن مسيرة ذلك الفذ الذي قاد أمته، وشعبه، وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

٢. علي مبارك :(١٢٣٩- ١٣١١هـ /١٨٢٣-١٨٩٣م).

أ-حياته

ذكر هو عن نفسه أنه ولد في قرية برنبال الجديدة[٢] سنة ١٢٣٩ هـ/١٨٢٣م، كما أخبره بذلك أبوه وأخوه الأكبر الحاج محمد المتوفى في عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، ووالده هو مبارك بن مبارك بن سليمان بن إبراهيم الروجي، [٣] بدأ تعلم القراءة والكتابة على يد رجل من أهل القرية،[٤]كان والده رجلاً فقيهاً يعلم الناس بعض شؤون دينهم، ويفصل بينهم في الخصومات والقضايا، وكانت لهذا

---

[١]- الطهطاوي: تخليص الإبريز، مقالة رابعة ، فصل خامس، ص٣٠٧ .

[٢]- برنبال: إحدى قرى مركز دكرنس بمحافظة الدقهلية. مبارك(علي): حياتي،تحقيق: الجمل(عبد الرحيم يوسف)، مكتبة الآداب الجماميز، د.ت، هامش ص٣ حاشية رقم١.

[٣]-مبارك: ص٣ / يخطئ سركيس في معجم المطبوعات ص ١٣٦٧ فيسميه علي مبارك ويجعل اسم أبي سلمان ويجعل لقب جده (إبراهيم الرومي) بدلاً من الروجي ويسير على هذا الخطأ رضا كحالة في (معجم المؤلفين).

[٤]-زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج٢، ص ٣٣.

الشيخ مكانة عند الحكام جعلتهم يخصونه ببعض الرزق، أي المخصصات"[١]. لكن مظالم النظام السياسي والاجتماعي ألحقت لعنة بالأسرة ودفعتها إلى الهجرة والاغتراب لعجز الأسرة عن الوفاء بما فرض عليها من الرسوم والضرائب، فرحل إلى قرية الحمادين،[٢] وكان عمر (علي مبارك) ست سنين،[٣]وقد اعتنى والده بتربيته، فختم القرآن في سنتين. لكن كثرة انشغال الشيخ مبارك حملت صاحب الترجمة على اللهو واللعب حتى نسي ما كان قد تعلمه،[٤] في عام ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥م دخل الفتى (مدرسة القصر العيني)، لينتقل في عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩م إلى مدرسة(المهندسخانة)، عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م عزم محمد علي إلى إرسال أنجاله (أولاده) إلى فرنسا للتعليم، فانتخب علي من جملة تلك الإرسالية،فأقاموا في باريس خمس سنوات درس خلالها الهندسة العسكرية، ولما أتم دراسته اختير للتدريس بمدرسة المدفعية والهندسة الحربية، ونال عند ذلك رتبة ملازم ثان في حين منحه عباس الأول رتبة اليوزباشي الأول،وأسندت إليه وظيفة التدريس في (مدرسة طره)، أما في عهد(سعيد) حاول التخلص منه فألحقه بفرقة من الجيش كانت راحلة لمساعدة الدولة العثمانية في حربها مع روسيا، وعندما تولى إسماعيل حكم مصر ألحقه بحاشيته، فتدرج علي مبارك في عهده بالوظائف، فعمل وكيلاً لديوان المدارس، ومديراً للسكك الحديدية وديوان الأشغال.[٥]

---

[١]–طه: ص ١٢٧.

[٢]–الحمادين: من قرى مركز فاقوس ... وكانت في الأصل تابعة لناحية دوامة ثم انفصلت عنها سنة ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣ م . عمارة (محمد): الأعمال الكاملة لعلي مبارك، المؤسسة العربية للتوزيع والنشر، بيروت، د. ت ، مج١ ، ص ٢١ .

[٣] – عمارة: ص ٢١.

[٤]– زيدان: تراجم مشاهير الشرق، ج٢، ص ٣٤ .

[٥]– طه: ص ١٢٩ وما يليها؛ الشيال: التاريخ والمؤرخون، ص١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

وأنشأ أول مجلة ثقافية في مصر الحديثة اسمها (روضة المدارس)، وعهد بإدارتها إلى رفاعة بك الطهطاوي، توفي بعد إصابته بمرض في المثانة استلزم منه العلاج في القاهرة إلى أن مات في بيت الحلمية عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م.[١]

ب- أهم مؤلفاته :

لقد تنوعت الأعمال الفكرية لعلي مبارك لتندرج في حقلين فنيين من فنون التأليف:

أولهما : المؤلفات ذات الطابع الفكري التي تناولت فنون الحضارة والثقافة في التاريخ، كما في الخطط، وفي الاجتماع، والاقتصاد، والتنمية، والتخطيط، كما في نخبة الفكر في تدبير نيل مصر، وفي الفكر الموسوعي كما في رواية (علم الدين).

ثانيهما : تلك الكتب المدرسية التي نهض علي مبارك بهمة كبيرة في تأليفها أو اقتباس مادتها من المؤلفات الأوروبية، وهذه الكتب وضعها في أثناء ممارسته لوظائف التعليم.[٢]

وقد اختلف المؤرخون في حصر مؤلفات علي مبارك منهم من يقول اثنا عشر كتاباً، ويذكر آخرون أنها ثلاثة عشر، وبعضهم من يضيف إلى هذا العدد آثار فكرية لم تطبع، ومازال العثور عليها مجالاً للتنقيب والبحث.[٣]

سنتطرق إلى أهم الأعمال الفكرية التي لها صلة بالتاريخ وهي:

١ـ نخبة الفكر في تدبير مصر : طبع في مطبعة وادي النيل بالقاهرة سنة ١٢٩٨ هـ/١٨٧٢م وهو كتاب يختص بدراسة نهر النيل، وفيضانه، ونظام الري، ومشاريعه في مصر،[٤] وفي آخر

---

[١]-مبارك: ص٧٩.

[٢]- عمارة : ج١، ص٨٢.

[٣]- سركيس : ج٢، ص ١٣٦٧ ؛ عمارة : ج١ ، ص ٨٣

[٤]- الشيال : التاريخ والمؤرخون، ص ١١٠

الكتاب جدول يحتوي غاية التجاريف، والزيادة للنيل،والصرف وتحوله إلى أمتار ابتداءً من سنة ٢٠ هـ/٦٤٠ م،[١] ويشبه الكتاب في تنظيمه كتاب (مباهج الألباب) للطهطاوي.[٢]

٢ـ علم الدين : وهي قصة خيالية في أربعة أجزاء تدور الأحداث فيها بين عالم مصري في الأزهر وعالم أوروبي من الإنجليز، أوضح الهدف من تأليف الكتاب بعقد مقارنة بين مظاهر الحياة والمدينة في الشرق والغرب لتنبيه أذهان الشرقيين إلى محاسن الحضارة الأوروبية الحديثة وقد طبع بمطبعة المحروسة بالإسكندرية سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م.[٣]

٣ـ الميزان في الأقيسة والمكاييل والأوزان يبين فيه أن أصل الأوزان هو مصري، وقد اقتبسها الرومان من المصريين، طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م. [٤]

٤ . الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها، وبلادها القديمة والشهيرة والذي يعد من أهم مؤلفات مبارك في مجال التاريخ؛ ونظراً لأهمية ستتم دراسة الكتاب لتعرف منهج علي مبارك من خلاله في التدوين التاريخي

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة

أ- مواصفات الكتاب :

هو مؤلَّف نادر في فنه وحجمه يكاد يقف فريداً لا مثيل له منذ أن كتب المقريزي (٧٧٦ – ٨٤٥ هـ/١٣٦٤ – ١٢٤٢م) خططه حتى الآن، والكتاب يتناول طبوغرافية المدن والقرى المصرية من خلال ذكر تاريخ كل مدينة من أقدم العصور، وخططها، ومعانيها، ومرافقها العامة، وما فيها من مساجد، وكنائس، وأديرة، ومصانع، ومدارس، وحمامات .... إلخ، وما

---

[١]- سركيس : ج٢، ص ١٣٦٧ .

[٢]- جونيور : ص ١٥٨.

[٣]- الشيال : التاريخ والمؤرخون، ص ١١٠

[٤]- سركيس : ج٢، ص ١٣٦٧ .

أصاب هذه المنشآت من تطور خلال العصور، كما أنه يضم تراجم أعلام العلماء، والأمراء ومشاهير الرجال مع بيان ما لهم من الآثار، والأخبار، والمصنفات بحسب الاستطاعة .

ب-الخطة العامة للكتاب :

أخرج علي مبارك كتابه في عشرين جزءاً متخذاً من خطط المقريزي أساساً لكتابه، لم يذكر تاريخ تأليف هذا الكتاب، لكن من المرجح أنه بدأ تأليفه في عهد الخديوي (توفيق)، كما تشير إلى ذلك المقدمة،[١] وبالإمكان ترشيح السنوات التي اعتزل فيها الوزارة في سنة ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٢م حتى عودته إلى الوزارة في سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م زمناً لتأليف كتابه لأن العام الذي تولى فيه آخر وزارته كان هو عام طبع الجزء الأخير سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م أثناء تولية نظارة المعارف للمرة الأخيرة؛ أي بعد سنة ١٣٠٦ه/١٨٨٨م ويؤكد ذلك مصحح الكتاب (محمد الحسيني) الذي يقول من طبعة الأصل للجزء العشرين " ... ذو السعادة علي باشا مبارك ناظر ديوان المعارف العمومية بالديار المصرية" [٢]، كما أن الجزء الأول والذي خصصه للكلام عن بناء القاهرة يذكر زمن كتابته بـ سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢ م [٣]ونستطيع من خلال الجزء الثامن عشر الذي خصصه لمقياس النيل سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨ م سنة فراغ المؤلف من تأليف كتابه هذا فهو في جدول (غاية الزيادة والتحريف) لنهر النيل يتبع أرقام الزيادة والتحريف من سنة ٢٠هـ / ٦٤١م حتى سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م [٤] وإذا كان الجزء الثامن عشر يرصد حال النيل سنة ١٣٠٦ هـ /١٨٨٨م،والجزء الأخير العشرون قد طبع وأرخ في العام نفسه فإن هذه السنة -ولا

---

[١]- مبارك : ج١، ص ٤.

[٢]- مبارك : ج٢، ص ١٦٥ .

[٣]- مبارك : ج١، ص ٦.

[٤]- مبارك : ج١٨، ص ٢٦.

شك– سنة الفراغ من تأليفه هذا الكتاب، وهذا دليل أن الأجزاء العشرين أنجزت في شهور ضمن عامين[١]

يبتدئ الكتاب بمقدمة ذكر فيها المؤلف الأسباب التي دفعته لتأليفه فيقول : " أما بعد، فلما كانت القاهرة المعزية التي هي دار الحكومة الخديوية قد كثر ذكرها في كتب الخطط والتواريخ والسير، ووصف ما كان بها من المباني والبساتين، وهي الآن غيرها في تلك الأزمان لتغيرها عما كانت عليه زمن الفاطميين الذين اختطوها بتغير الدول وتقلب الأزمنة، وكانت منارة تؤثر فيها الزيادة وتارة النقصان ... ، وقد خطها العلامة المقريزي لوقته، وأطال القول فيما فيها من المباني والمزارع، وتكلم عن الحوادث والرجال، ولكن بعده كم من أمور مرت فدمرت ....، وكم من آثار خيرية صار نفعها مندثراً ومهجوراً، ... وكم من مساجد نسبوها لغير من بناها، ومعابد أسندوها لمن لم يكن رآها والحقيقة أنها قبور ملوك عظام، أومعابد سادات كرام، أومساجد أمراء فخام، مع أن معرفة ذلك حق علينا، إذ لا يليق بنا جهل بلادنا والتهاون بمعرفة آثار أسلافنا ... دعتني نفسي لتأليف كتاب واف بما لمصر من قديم حديث، متضمن ذكر معانيها الدائرة والموجودة، وما يتبع ذلك من أخبار أرباب، وذكر نبلها ومنافعه، وكيفية تصرفاته ومواضعه. "[٢]
أفرد الجزء الأول لمدينة القاهرة ذاكراً تاريخها قبل قدوم القائد جوهر الصقلي متطرقاً إلى ما حصل فيها من الأحوال والتغيرات بتقلب الأزمان، وتداول الدول منذ عهد الدولة الفاطمية والأيوبية والمملوكية، ومِنْ ثَمَ خضوعها للحكم العثماني والاحتلال الفرنسي وصولاً إلى عصر محمد

---

[١]– عمارة : ج١، ص٨٩ – ٩٠ .

[٢]– مبارك: ج١ ، ص ٣.

علي وخلفائه (إبراهيم ، سعيد ، إسماعيل ، توفيق) لينهي هذا الجزء بطبوغرافية عن جغرافية مصر، وضواحيها، وما فيها من مدارس، وجوامع، وتكايا، وحمامات،وأسبله، ومدافن ...إلخ.[١]

بينما تغطي الأجزاء من الثاني حتى السادس وصفاً لشوارع القاهرة، ودروبها، وخاناتها، وجوامعها، وما فيها من مدارس، وزوايا، ومساجد، وأسبله، وكنائس مع تنظيم كل فئة أبجدياً .

ويعالج في الجزء السابع مدينة الإسكندرية متبعاً الأسلوب ذاته الذي اتبعه في الجزء الأول، فبعد مقدمة تاريخية مختصرة يأتي وصف المدينة متضمناً بعض مرافقها الحديثة كالطرق الحديدية والتلغراف. [٢]

وتشمل الأجزاء من الثامن حتى السابع عشر البنية ذاتها بالنسبة للأقاليم المصرية، ومدنها وقراها، وتراجم، أعيانها، وأدبائها، وشعرائها، وأوليائها، مرتباً إياه ترتيباً أبجدياً، وفي هذا الجزء ينتهي الحديث عن خطط مصر، وقد ذكر ذلك بقوله"إلى هنا انتهى الكلام عن خطط مصر وقراها الشهيرة قديمة وحديثة، وما وصل إلينا من حوادثها القديمة والحديثة،وأخبار أهلها من العلماء والأعيان."[٣]

لم يضع مبارك القارئ في حيرة واسعة بالنسبة إلى الأسلوب الذي اتبعه في هذه الأجزاء، فقد صرح عن ذلك بقوله : " ... وصار يذكر في كل مكان من أماكن القاهرة خطته القديمة، واسمه وشهرته التي كانت في ذلك الوقت مستديمة، ثم يذكر ما تحولت إليه في وقتنا هذا وقبله حاله، وما آل إليه المآل ويذكر أول من أنشأ هذا المكان، ومن انتقل إليه بعده مرة بعد أخرى حتى الآن وتملكه، ومن استولى عليه بأي نوع من الاستيلاء، أو في سلك الأوقاف سلكهُ وهكذا الأمر في

---

[١]- مبارك : ج١ ، ص ٤١ – ٧٧.

[٢]- مبارك: ج٧، ص ٨٦–٩٥.

[٣]- مبارك: ج١٧، ص٦٦.

جميع أخطاط القاهرة ودروبها، وأزقتها وبيوتها الكبيرة والصغيرة، وخاناتها .... وذكر في أمر الجوامع، والمساجد، والزوايا، والكنائس، والديور ما هو أغرب وأطرب، وذكر في تواريخ أصحاب الأضرحة، ومشاهير الأولياء، والعلماء، وأرباب البيوت، والمساجد، والأوقاف،والأسبلة، وغير ذلك، وتراجمهم فأبان وأعرب، وذكر قبل ذلك فائدة تشمل جملة عدد المساجد، والجوامع والزوايا، والربط، والكنائس، والديور، والحمامات، وفي البلاد يذكر إقليم البلد، والمسافة بينها وبين ما يليها من البلاد من أية جهة، ثم إن كانت تلك البلد محل وقعةٍ من الوقائع القديمة قبل الإسلام أو الحادثة بعده ذكرها، ويصف البلد على أتم وصف، ويوضح أمرها ويذكر ما طرأ عليها من تغيير، وتبديل، وعمارة، وخراب، وغير ذلك من الأحوال على وجه الصواب، ويذكر تواريخهم وتراجم من نشأ فيها من العلماء، والأعيان، والمشاهير، والأولياء قديماً وحديثاً بألطف بيان "(١)

بينما تعكس الأجزاء الثلاثة الأخيرة من المخطط تأثير التعليم الهندسي في مبارك، واهتمامه بالزراعة المصرية وعلى الخصوص النيل .

فالجزء الثامن عشر خاص بمقياس النيل منذ عصر الفراعنة،والدول الإسلامية، وأيام الاحتلال الفرنسي، وعيد الشهيد ، ومهرجان النيل وما يتعلق بذلك(٢)

في حين تدور أحداث الجزء التاسع عشر عن الرياحات، والترع، والخلجان بالمديريات بالوطن القبلي والبحري بوادي النيل موضحاً منهجه بقوله : " أعلم أننا إنما ذكرنا في هذا الجزء ما كان موجوداً من هذه الأشياء المذكورة وقت تأليفنا هذا الكتاب، ولا يخفى أنه تجدد بعد ذلك أشياء أخرى غير ما ذكرنا، وبطلت أشياء فسبحان من لا يتغير. "(٣)

---

(١)- مبارك : ج١، ص ٣ .

(٢)- مبارك : ج١٨، ص٢-١٢٤.

(٣)- مبارك : ج١٩، ص ٢.

أما الجزء العشرون والأخير فقد خصصه للنقود، وأشكالها، وتواريخها، وقيمتها في مختلف العصور، وفيه جدول للمقارنة بين قيمتها القديمة وقيمة النقد الحديث [١]

بعد التعرف على مضمون الكتاب بشكل مبسط هناك سؤال ما الأشياء التي أعطت تاريخ الخطط التوفيقية أهميته وميزته عن غيره من المؤلفات ؟ هل ضخامته ؟ أو كونه كتاباً تراثياً غنياً بمعلومات عن طبوغرافية الأقاليم المصرية ؟ أم ماذا ؟

تأتي أهمية الكتاب فيمايلي:

١. لما كان فن التأريخ في الخطط يعني بالدرجة الأولى التأريخ للمدن ونشأتها، وما فيها من حارات، ومساجد، وأضرحه، وزوايا، وتكايا، ومن نبع فيها من العلماء، وتوالى على حكمها من الأمراء، وحرف أهلها، وصنائعهم، ونقودهم، ومقاييسهم، ومكاييلهم وموازينهم، وما قام بين حكامها من صراعات، وما شهدته تلك البلاد من فترات رخاء وازدهار، وما أصابها من محنَ وأوبئة، ومجاعات، ومن هنا يعتبر هذا الفن من فنون التأريخ المرآة التي تعكس أوضاع المجتمع الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية.[٢]

٢. أمدنا بمعلومات جوهرية عن البناء الاجتماعي للقرى والمدن المصرية في القرن التاسع عشر ؛فنجد وصفاً فريداً لقبائل مصر، وعملية استيطانها، كما أعطانا صورة واضحة عن وضع المرأة، والعادات، والتقاليد المتبعة من طقوس الزواج، ومراسيم الجنازات. [٣]

٣. نجد فيه معلومات هامة عن التطور الثقافي والأدبي؛ فيورد العديد من القصائد التي كتبها معاصرون له. [٤]

---

[١]- مبارك : ج٢٠، ص٥٣-١٣١.

[٢]- عمارة : ج١، ص ١٤٩.

[٣]- مبارك : ج٢، ص ١٦، ٣٣؛ ج٨، ص٢ وما يليها؛ ج٩، ص٢ ومايليها؛ ج١٧، ص ١٧ ؛ ج١٨، ص٣٠،٣١،٦٥،٧٦.

[٤]- مبارك :ج ١٢، ص ١٧؛ ج١٣، ص٧٦؛ ج١٤، ص٥٢،٥٦،٦٦؛ ج١٥، ص٣٤،٤٥،٥٧؛ ج١٧، ص٦٠ وما يليها.

٤. يمد مبارك القارئ بمنجم من المعلومات عن التاريخ الاقتصادي لمصر، وإن كانت هذه المادة موزعة هنا وهناك فهو يتناول الزراعة وحيازة الأراضي، وملكيتها، والتجارة في الريف، والحرف والنقل، والمواصلات. [١]

٥. يمثل الجزء الرئيس والهام في خططه القائم على التجربة الشخصية في كتابته لسيرة حياته بشكل شامل فيقول"حيث أنا قد التزمت عند الكلام عن كل بلد ذكر من نشأ فيها، أوتربى بها أومات، أودفن فيها ممن لهم ذكر، أو شهرة بأمر مهم في خير أو غيره...فنذكر هنا ترجمتنا وأطوارنا لتصير معروفة، ولعلها لا تخلو من الفائدة...إلخ" [٢]

٦. نزهته وأمانته في تسجيله للأحداث؛ فهو يقف من حقائق التاريخ موقف الناقد والرافض للمزاعم، والأهرام، والبدع، والخرافات فهو مثلاً يرى أن القول بدفن عبد الرحمن بن عوف بمصر (زعمٌ يزعمه الناس وليس كذلك)،[٣]كما أنه يرفض البدع والخرافات التي ارتبطت بالمشاهد والمزارات والتي ابتدعها أرباب العمائم من المنتسبين إلى الطرق الصوفية ويقول في ذلك " ... والظاهر أن جميع هذه البدع لم يرد بها سنة ولا شرع، ويأباها العقل والإنسانية، إنها اعتقاد فاسد في عقل كاسد، يوقع صاحبه في الضلال، ويؤديه إلى الإضلال .... إلخ).[٤]

٧. تبرز أهميته الكبرى لكونه شاهد عيان ينزل بنفسه إلى أرض الواقع فيتحقق على الطبيعة من روايات المؤرخين، كما أنه جامع للشهادات الحية من أفواه الأحياء، وذوي الاختصاص؛ فهو دائم القول (وهو كما أوجز عن نفسه، روى، وقد سألته عن ترجمته لوضعها في الكتاب ... "[٥]

---

[١]- مبارك : ج١، ص ١٠١ ؛ ج٣، ص ٨٢ ؛ ج٧، ص ٥٩ ، ٦٦، ٦٨، ٨٠ .

[٢]- مبارك : ج٩، ص ٣٧ – ٦١ .

[٣]- مبارك : ج٥، ص ٢٣ .

[٤]- مبارك : ج٤، ص ١١٩ ؛ ج٢ ، ص ٧٥ ، ١١٣.

[٥]- مبارك : ج١١، ص ١١، ١٠؛ ج١٢، ص٥٣، ٤؛ ج١٧، ص٦٢ ومايليها.

٨-رغم تخصيص مبارك كتابه لخطط مصر، وبلادها، وقراها وتراجم رجالها، ذكر مدينة مشهد،وأم عبيدة في العراق،وجبل سرنديب.[١]

وبما أن الكتاب حظي بهذا القدر من الاهتمام فلابد من دراسة أسلوب ومنهج مبارك في التدوين التاريخي .

١.لم يختلف علي مبارك في ترتيبه للمادة العلمية الموجودة في الخطط عن التقليد الذي اتبعه كتاب العصور الوسطى العربية؛ فهو يتناول كل مدينة، أو قرية مصرية وفقاً للترتيب الأبجدي باستثناء القاهرة والإسكندرية، كما أنه لم يرتب مادته وفقاً للموضوعات باستثناء المجلدات الثلاثة الأخيرة التي تتناول النيل، والقنوات، والعملات .

٢. أعرب عن رغبته في الاختصار، وعدم الإطالة ويتضح ذلك بقوله " والتزمت أن أطالع ما كتب بخصوص تلك الآثار، وألحق ما فيه الفائدة من غير إطالة ولا إكثار، "[٢] كما أنه لم يلجأ إلى التكرار، بل اكتفى بذكر الحادثة مرة واحدة دون التطرق إلى ذكرها في موضع آخر وإن كانت هناك حاجة لذكرها مكتفياً بالقول(كما أشرنا إليه، المتقدم ذكره).[٣]

أسلوبه في تناول التراجم:

١. تباينت المساحة التي عرض عليها تراجمه، ويعود ذلك إلى أهمية الشخص الذي يترجم له متبعاً في أكثرها أسلوب الإيجاز فيقول(انظر تمام ترجمته في خطط المقريزي، وقد أطال ابن خلكان في ترجمته، وقد ذكرها الجبرتي) [٤]

---

[١]- مبارك : ج١٤، ص٥٩-٦١.

[٢]- مبارك : ج١، ص ٣.

[٣]- مبارك :ج٤، ص١٦؛ ج١٧، ص٢٣.

[٤]- مبارك : ج٤، ص٤٥؛ ج٩، ص٨؛ ج١٤،ص١٨.

٢. لجأ إلى إبداء الرأي في الروايات التي يذكرها عن الشخصيات التي يترجم لها وإلى تصحيح روايات أخرى لذا فقد اتبع أسلوب النقد في معظم المواقف؛ فهو لم يذكر الحادثة كما جاءت في كتب من سبقه فقط، وإنما ذكر مواضيع الوهن فيها، فهو مثلاً في أثناء حديثه عن جامع سارية يقول " وينسب الجامع إلى سيدي سارية رضي الله عنه صاحب رسول الله (ص) كما هو الشائع على الألسنة ويذكر ذلك في بعض الكتب في طبقات الشعراني أن الشيخ محمد الكعكي مدفون بزاويته بالقرب من سيدي سارية ....، وفي خطط المقريزي عند ذكر موضع القلعة نقلاً عن كتب المزارات أن أبا الحسن الرديني دفن بخط سارية شرفي تربة الكيروان بالقلعة انتهى).

فيرد مبارك على ذلك بقوله " ولم نَر في كتب التواريخ الصحيحة أن سيدنا سارية صاحب رسول الله (ص) جاء إلى مصر فضلاً عن أنه مات فيها. "[١]

وهو عندما يقول الله أعلم بترك الحكم للقارئ بعد أن ذكر ما يعرفه عن الحادثة[٢]

تمثلت الموارد التي اعتمدها في كتابه بمايلي:

١. الوقفيات التي اطلع عليها عندما كان ناظراً للأوقاف فيقول " وقد جمعت لذلك ما لا يحصى من صحيح الأوقاف، والأملاك، وكتب التاريخ للقاهرة وغيره من النظار والملاك "[٣]

٢. رجع إلى المراجع العربية، وكذلك إلى المراجع الأوروبية، كما أنه قد قرأ الكثير من كتب العلماء الأوروبيين المستشرقين الذين كتبوا في تاريخ مصر ذكر ذلك في مقدمته بقوله بأنه قد جمع " .. من كتب العجم والعرب، وما يفضي بمتأمله إلى العجب، مراجعاً كتب العرب والإفرنج الذين ساحوا تلك الديار ورسومهم التي بينوا فيها حدود هذه الأقطار، وكذلك حجج الأوقاف

---

[١]- مبارك : ج٥، ص ١٤، وفي هذا الجزء أمثلة كثيرة مثال ص ٦، ٥١ ، ٩٤ .

[٢]- مبارك : ج٥، ص ٩؛ ج١٢، ص٤٢،٤٣؛ ج١٦، ص٣٠ وهناك أمثلة كثيرة

[٣]- مبارك : ج١، ص ٣ .

والأملاك، وما وجد مسطوراً على الأحجار والجدران، وملخصاً من ذلك ما يحتاج إليه، ولا يحسن جهله بحسب الإمكان، "[1]ويحتل كتاب وصف مصر الصدارة بين المراجع الأوروبية التي استخدمها مبارك من أجل وصفه لمصر الجديدة، وهو يسميه (كتاب الفرنساوية) و(كتاب الجمعية الفرنساوية الخاص بكتابة التاريخ.[2]

٣. المشاهدة والملاحظة اللتان قام بهما بنفسه؛ فقد أغنى مؤلفه بموارد،شاهدها بنفسه، وسمعها أو سأل عنها من أشخاص كثر قابلهم، وتعتبر هذه من الموارد الهامة لأنها دليل على مدى نشاط صاحبها، وسعيه في الحصول على المعلومات بنفسه، كما تشير إلى طبيعة تفكيره ورصده أوجهَ الحياة التي عاشتها مصر من خلال ذكره لهذه الأخبار من سياق حديثه مثال: (وقد دخلت هذا المدفن، ووجدت هناك، والذي يغلب على الظن، وقد أخبرني، ماسمعته، وقلت...الخ). [3]

٤. أحاط بآثار من سبقه من المؤرخين من كتاب الخطط، والتراجم، والطبقات، والمذاهب وغيرها؛فقد رجع إلى أمهات كتب التاريخ، أو إلى النقول التي حفظت لأعلام هذا الفن نذكر منهم (السخاوي، المناوي ، الجبرتي ، ابن أبي السرور).[4]

ذلك هو المنهج الذي اتبعه مبارك في تأليف خططه، فهو رغم اعتماده على خطط المقريزي أساساً لكتابه استخدام التقنيات، والاتجاهات الجديدة في الكتابة التاريخية، وذلك من خلال دمج منجزات المثقفين الأوروبيين في عمله، وتوضيح أثرهم في الكتابة التاريخية.

بعد التطرق إلى بعض نماذج مؤرخي عصر اليقظة بالإمكان تلخيص الخصائص العامة لحركة التأليف التاريخي بما يأتي:

---

[1]- مبارك : ج١، ص ٣.

[2]- مبارك :ج٢ ، ص ١٦ ، ٣٣ ، ٥٩، ١١٢، ١٢١ ؛ ج٣ ، ص ٣٦ ، ٤٨، ٧، ٦٤ ، ٦٥ ؛ ج٤ ، ص ٥٦ ، ٦٣ .

[3]- مبارك : ج٢، ص ١١،٢٧؛ ج٩، ص٤٣،٧٦؛ ج١٠،ص ٨٤؛ ج١١، ص٥،١٠؛ ج١٣، ص٤١،٤٨؛ ج١٥، ص٩٨.

[4]- مبارك : ج٢، ص٢٧، ٧١؛ ج٨ ، ص٧، ٢٣.

أسلوب الكتابة:

١-أسلوب الكتابة في تلك المرحلة تذبذبٌ بين الأساليب القديمة الحولية والاتجاهات التحليلية النقدية؛ فرفاعة الطهطاوي في الجزء الأول منكتابه (أنوار توفيق الجليل) التزم السجع، لكن يترك هذاالأسلوب ليكتب بأسلوب سهل مرسل في الجزء الثاني من كتابه عندما أرّخ للرسول الكريم(ص).

٢-كما أن مؤرخي القرن التاسع عشر عملوا على هجر الأسلوب الحولي (تأريخ الأحداث من خلال السنوات)، وذلك بتقسيم كتبهم التاريخية إلى موضوعات، ودول، وعصور، فيؤرخون لكل دولة في فصل مستقل عن الآخر.

٣-اتبع مؤرخو القرن التاسع عشر أسلوب النقد والتحليل والمقارنة .

٤-اعتمدوا الأساليبَ العلمية الحديثة في أبحاثهم من خلال استخدامهم العلوم المساعدة في تفسير التاريخ أو فهمه كالوثائق، والنميات،والآثار، كما اعتمدوا المكتشفاتِ الأثريةَ المتنامية فقد استعان علي مبارك بكتاب وصف مصر الذي وضعته الحملة الفرنسية في خططه.

الانتقادات التي وُجهت إلى مؤرخي مصر في القرن التاسع عشر:

أبرز الانتقادات التي وُجهت لهم فهي أن معظم مؤرخي تلك الحقبة لم يكونوا متخصصين في التاريخ، فإذا استثنيناالطهطاوي والجبرتي اللذين أعدّا نفسهما لكتابة التاريخ كان بقية المؤرخين من الهواة الذين شغفوا بالتاريخ، فكتبوا عنه حيث نجد منهم (الأدباء، والصحفيين، والفقهاء، والمحدثين، والقضاة)،[١]وما يؤخذ عليهم أيضاً عدم مراعاتهم نسباً معينة في طول فصول مؤلفاتهم أوقصرها[٢].

---

[١]- الشيال: التاريخ والمؤرخون، ص٢٣٥.

[٢]- طربين: ص٦٥.

الخاتمة :

عاشت مصر منذ القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر جملة من التطورات والأحداث، تمثلت بدخول فئات ومجموعات جديدة تحكمت في شؤونها، كانت أولى تلك المجموعات(العثمانيين) الذين دخلوا البلاد بعد أن تمكن السلطان العثماني من الانتصار على المماليك في معركة مرج دابق٩٢٢هـ/١٥١٦م، وابتداءً من هذا العام شهدت البلاد تحولاً خطيراً شمل جميع نواحي الحياة المصرية السياسية والاقتصادية والإجتماعية والفكرية يمكن تقسيم تلك التحولات إلى ثلاث مراحل لكل مرحلة سمات خاصة بها.اتسمت المرحلة الأولى والتي استمرت لثلاثة قرون بالجهل والتخلف والجمود، لتشهد البلاد في المرحلة الثانية تحولاً جديداً تمثل بدخول حملةنابليون بونابرت أرض مصر عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، حاملاً معه أفكاراً ونظماً جديدة ليبدأ التصادم الحضاري بين الغرب والشرق،أماالمرحلة الثالثةشهدت ظهور محمد علي وبداية (عصر اليقظة)، الطابع الغالب على هذه الحقبة النقل عن الغرب والترجمة من خلال إنشاء المدارس الحديثة، وانتشار الصحافة والطباعة، وإرسال البعوث العلمية إلى أوروبا وأمور أخرى كثيرة تفاعلت مع بعضها، وأسهمت في نشر العلم والتعليم .

هذا موجز مختصر عن تلك المرحلة وطبيعة تياراتها الفكرية. أمّا فيما يخص أسلوب الكتابة في التاريخ وهذا هو جوهر البحث والتطورات التي شهدتها الحركة في كلا المرحلتين فهو :

١–فيما يخص المرحلة الأولى (بداية الحكم العثماني لمصر) رغم كثرة المؤلفات التأريخية المكتوبة في تلك الحقبة لم يقدموا أي جديد عن تاريخ مصر، بل اتبعوا أسلوب النقل والترديد والأجترارعن أسلافهم السابقين، أما بالنسبة إلى المرحلة الثانية(عصر اليقظة) فلم يقتصر المؤرخون على تاريخ مصر، بل تنوعت موضوعاتهم؛ فكتبوا في تاريخ الدول، والسير، والتراجم

والخطط وغيرها معتمدين المكتشفاتِ الأثريةَ الحديثةَ لعلماء الحملة الفرنسية بالإضافة إلى اعتمادهم على العلوم المساعدة لتفسير التاريخ وفهمه.

٢- بالنسبة إلى المنهج والأسلوب اتبع مؤرخو المرحلة الأولى نسقاً واحداً في التأليف التاريخي ابتدأ كلٌّ منهم كتابه بالبسملة والحمد والصلوات، ينتقلون بعدها إلى شيء من التاريخ المختصر لمصر منذ بدء الخليقة، ليقوموا بعدهابذكر الأحداث بشكل مختصر، وهكذا حتى تتحول كتاباتهم إلى سجل لحياة المصريين اليومية يتخللها شيءٌ عن أسعار الحاجيات، والمحاصيل، والأوبئة والمحن، وغيرها من الأمور معتمدين اللغة العامية والأسلوب الحولي في عرض تلك الأحداث ويلاحظ كثرة استخدامهم الكلمات التركية والفارسية، في حين نجد تذبذباً في أسلوب الكتابة لدى مؤرخي عصر اليقظة بين الأساليب الحولية والأساليب التحليلية والنقدية محاولين قدر المستطاع الابتعاد عن (الأسلوب الحولي)، وذلك من خلال تقسيم كتبهم التاريخية إلى دول وعصور.

٣-أما المصادر التي اعتمدوا عليها فهي المشاهدة والملاحظة اللتان قاموا بهما بأنفسهم؛ فمعظم الكتّاب الذين أرخوا لمصر في بداية الحكم العثماني كانوا شهود عيان على أحداث العصر،وأسلوبه، واتجاهاته الحضارية والسياسية، بالإضافة إلى اعتمادهم كتبَ مَنْ سبقوهم مِنَ المؤرخين، وقد اعتمد مؤرخو عصر اليقظة المصادر ذاتها ولكن ما يميزهم أنّهم رغم اعتمادهم على كتاباتِ من سبقوهم زمنياًكانوا يخضعونها للنقد، والتحقيق، والمقارنة.

٤- نجد في كتابات مؤرخي الحقبتين (العثمانية وعصر اليقظة) رصداً شاملاً لأوجه الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وخصوصاً الحقبة الأولى، وذلك من خلال وصف الصراعات بين البيوتات المملوكية على الحكم ومعاناة الشعب المصري من الحاكم المستبد بالإضافة إلى تتبعهم دور الشعب المصري في مقاومة ذلك الحكم (ثورة القاهرة الأولى والثانية) كما ذكرت تلك الكتابات الأدوار العديدة التي لعبها مشايخ الأزهر -تولية محمد علي- وغيرها .

٥-حفلت كتابات مؤرخي الحقبتين بمعلومات عن الأوضاع الاقتصادية، وذلك من خلال رصد حالة الفقر العام الناجمة عن ارتفاع الأسعار، وانخفاض منسوب النيل وانتشار الأمراض والأوبئة، وغيرها من الأمور التي كانت لها آثارها الإيجابية في تحسين الأوضاع الاقتصادية والزراعية، والمعيشية.

٦-فيما يخص الأوضاع الاجتماعية معظم المؤرخين قدموا صورة واضحة للحالة العقلية العامة التي يسيطر عليها أصحاب الكرامات والأولياء.

في النهاية إن للحركة التأريخية أهمية بالغة ليست لكونها علماً من العلوم نمت، وكبرت مع المسيرة الإنسانية فقط بل لكونها تمثل مرآة تعكس أحداث الدول، والحضارات ليستطيع المرء من خلالها تعرف أوضاع الأمم السالفة، وإدراك مدى التطور الذي عاشوه أو مقدار الضعف.وللاستفادة وأخذ العظة والعبرة .

تم تقديم صورة للحركة التأريخية لمصر العثمانية وعصر اليقظة من خلال دراسة بعض كتب مؤرخي هذه الحقبة، لكن الغموض مازال يحيط بمصر العثمانية لوجود بعض المخطوطات التي لمّا تُنشر أو تُحقق بعد ،وبعضها الآخر سُرِّب إلى الخارج، وهناك العديد من المحاولات التي يقوم بها بعض المؤرخين لتحقيق تلك المخطوطات ونشرها، لذا فإن الطريق مايزال مفتوحاً وطويلاً للكشف عن معلومات جديدة تعطي صورة أشمل عن الواقع التأريخي لتلك الحقبة.

جريدة المصادر والمراجع :

أولاً: المصادر

أ-الآيات القرآنية

١. سورة الأنفال آية رقم ٥٠.
٢. سورة النحل أية رقم ٦٩.
٣. سورة مريم أية رقم ١٢.

ب-الوثائق :

١. أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول، مهمة دفتري، فرفان رقم ١٦، ٥٦ .
٢. دفتر ٧٨٤ ديوان خديوي تركي .
٣. كامل (كبجي)، دفتر رؤوس رقم ٢٣٢، ٢٨٠ ،٢٤، جمادى الأول سنة١٤٠٨هـ/١٩٨٧.
٤. مجلس الأحكام ١٣/١٠/٧، ص١٠ مضبطة ٢٨ في ١٣ ذي القعدة ١٢٧٤ هـ/١٨٥٧م.
٥. مجلس الأحكام ٤/٧ سجل رقم ١٠ دعاوي

ج-المخطوطات:

١. الإسحاقي المنوفي(محمد عبد المعطي ت ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م): كتاب أخبار الأول بمن تصرف في مصر من أرباب الدول،جامعة الملك سعود، د.ت.
٢. القنالي(مصطفى بن إبراهيم ت١١٥٠٠هـ/١٧٣٧م): تاريخ وقائع مصر والقاهرة من سنة ١١٠٠-١١٥٠هـ/١٦٨٨-١٧٣٧م، مخطوطة بجامعة الملك سعود، د.م، د.ت.

د-المصادر العربية:

١. ابن الجوزي(عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: عطا (محمد عبد القادر)، دار الكتب العربية، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
٢. ابن العماد(عبد الحي بن أحمد ت ١٠٨٩ هـ /١٦٧٨ م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت، د.ت .
٣. ابن الوكيل(يوسف الملواني ت ١١٣١هـ /١٧١٩ م): تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق:الشقاوي (محمد)، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .
٤. ابن خلكان(محمد بن أحمد ت ٦٨١هـ /١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق : عباس (إحسان)، دار صادر، بيروت، د.ت .

٥. ابن ظهيرة(جار الله جمال الدين المخزومي ت ٩٨٦هـ/١٥٧٨م): الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ،تحقيق: السقا (مصطفى)، المهندس(كامل)، مطبعة دار الكتب، د.م، ١٩٦٩م.
٦. ابن منظور (محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ/١٣١١ م): لسان العرب، دار الفكر، بيروت، د.ت.
٧. الأصفهاني (حمزة بن الحسن ت ٣٦٠ هـ/٩٧٠ م): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، د.م، د.ت .
٨. الأندلسي (أبي عبيد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م): معجم ماستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: السقا (مصطفى)، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٩. الإنطاكي (دواد بن عمر ت ١٠٠٨ هـ / ١٠٩٩م): تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب والعجاب، القاهرة ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ .
١٠. باشا(أحمد جودت): تاريخ جودت، استانبول، دارالأنوار،١٣٠٩هـ/١٨٩١م.
١١. البغدادي (إسماعيل بن محمد ت ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م): إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق : الكلسي(رفعت بيلكها)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
١٢. ---- هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المضيفين، استانبول، مطبعة وكالة المعارف الجليلة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
١٣. البكري الصديقي (محمد بن أبي السرور ت ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م): التحفة البهجة في تملك آل عثمان الديار المصرية، تحقيق:(عبد الرحيم عبد الرحمن)عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب القومية، القاهرة، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م.
١٤. ---- الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة، تحقيق : عيسى(عبد الرزراق)، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ١٤١٧هـ /١٩٩٦ م .
١٥. ---- المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تحقيق: الصباغ(ليلى)، دار النشائر، ط١، د.م،١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
١٦. ---- النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية، تحقيق : عيسى(عبد الرزاق)، العربي للنشر، ط١، القاهرة، ١٣٠٧هـ /١٨٨٩ م .
١٧. البوريني (الحسن بن محمد ت ١٠٢٤ هـ / ١٥١٦ م): تراجم الأعيان من أنباء الزمان، تحقيق : المنجد (صلاح الدين)،المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٩هـ /١٩٥٩ م .
١٨. تشارشلي(إسماعيل حقي أوزون): التاريخ العثماني، أنقرة،١٩٥٤م.
١٩. الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م): البيان والتبيين، تحقيق: الخطيب (محب الدين)، مطبعة الفتوح، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٣ م .

٢٠. الجبرتي (حسن ت١١٨٨هـ/١٧٧٤م): العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين، القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م.
٢١. الجبرتي (عبد الرحمن ت١٢٤٠هـ/١٨٢٥م): مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس ، تحقيق: عيسى(عبد الرزاق)، هلال (أحمد)، العربي للنشر، ط١، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
٢٢. ----، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق : عبد الرحيم (عبد الرحمن عبد الرحيم)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤١٨ م / ١٩٩٧ م .
٢٣. الجواليقي (موهوب بن أحمد ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م): المعرب في الكلام الأعجمي، حققه وعلق عليه: المنصور (خليل عمران)، دار الكتب العلمي، ط١، بيروت،١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٢٤. الجوهري (إسماعيل بن حماد ت ٣٩٨ هـ / ١٠٠٦ م): الصحاح، تحقيق : العطار (أحمد عبد الغفور)، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، د.ت .
٢٥. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اعتنى به : عطا(محمد عبد القادر)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨.
٢٦. الخشاب(إسماعيل بن سعد):أخبار أهل القرن الثاني عشر،تحقيق:جمال الدين (عبد العزيز)، القاهرة، د.ت.
٢٧. رمال (أحمد بن أبي الحسن علي ت ٩٦٠ هـ/١٥٥٢م): تاريخ السلطان خان بايزيد مع قانصوه الغوري سلطان مصر،د.م، د.ت.
٢٨. الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م) : تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: شيري (علي)، دار الفكر، بيروت،١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٩. ---- التصوف ودلالته، مصر المحروسة، القاهرة، د.ت .
٣٠. السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ/١٤٩٧م): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق : الخشت(محمد عثمان)، مكتبة ابن سينا، مصر، د.ت .
٣١. السمعاني (عبد الكريم بم محمد ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م): الأنساب، تقديم وتعليق : البارودي (عبد الله عمر)، دار الجنان، ط١، د.م، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
٣٢. السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم (محمد أبو الفضل): دار أحياء الكتب العربية، ط١، د.م،١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
٣٣. الشرقاوي (عبد الله ت١٢٢٧هـ/١٨١٢م): تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين، تحقيق:القاري (رحاب عبد الحميد)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٤. الصولي (محمد بن يحيى ت ٣٣٦ هـ / ٩٤٨ م): أدب الكتاب، تحقيق: الأزي (محمد بهجة)، المكتبة العربية، القاهرة، د.ت .

٣٥. الطهطاوي (رفاعة رافع ت ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م): تخليص الإبريز في تلخيص باريز، حققه وعلق عليه:جاويد(عبد العزيز توفيق)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣٦. ---- المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، تحقيق : أبوزيد(منى أحمد)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠١٢م .

٣٧. ---- أنور توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني اسماعيل، بولاق، ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م.

٣٨. ---- نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، تحقيق : محمود (عبد الرحمن حسن)، بدر (فاروق حامد محمد)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.م، د.ت

٣٩. ----، مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، مطبعة شركة الرغائب، ط٢، مصر، ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢ م .

٤٠. عزبان (أحمد الدمرداش ت ١١٦٩هـ/١٧٥٦م): الدرة المصانة في أخبار الكنانة، تحقيق : عبد الرحيم (عبد الرحمن عبد الرحيم)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،١٤١٠ هـ / ١٩٨٩م .

٤١. الغزي (محمد بن محمد بن نجم الدين ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م): لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، تحقيق : جبور (جبرائيل)، بيروت، ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥ م.

٤٢. الفراهيدي(خليل بن أحمد ت١٧٠هـ/٧٨٦م): كتاب العين، تحقيق: السامرائي (إبراهيم)، دار الهجرة، ط٢، د.م، ١٩٨٩م.

٤٣. القلقشندي (أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ/١٤٢٨م): صبح الأعشى في صناعة الأنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١هـ/١٩٩١ م .

٤٤. مبارك (علي ت ١٣١١هـ/١٨٩٣م): الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، المطبعة الأميرية، بولاق،١٣٠٦هـ/١٨٨٨م.

٤٥. ---- أحوال مصر في ظل الحملة الفرنسية، مصر المحروسة، القاهرة، د.ت

٤٦. ---- حياتي، تحقيق: الجمل (عبد الرحيم يوسف)، مكتبة الآداب، الجماميز، د.ت .

٤٧. المحبي (محمد أمين فضل الله بن محب ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة ، ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م .

٤٨. المسعودي (علي بن الحسين ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : عبد الحميد (محمد يحيى الدين)، دار الفكر، ط٥، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٤٩. المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية، تحقيق: زينهم(محمد)، الشرقاوي (مديحة)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٥٠. النديم (محمد بن إسحاق ت ٣٨٠ هـ/٩٩٠م): الفهرست، ضبطه وعلق عليه : الطويل (يوسف)، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٠م.

٥١. ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .

٥٢. ---- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية،ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

ثانياً :المراجع :

١-المراجع العربية :

١. أبو الفضل (محمد عبد الفتاح): الصحوة المصرية في عهد محمد علي، المجلس الأعلى للثقافة، د.م ،١٩٩٩ م .

٢. أحمد (ليلى عبد اللطيف): الإدارة في مصر في العصر العثماني، القاهرة، ١٩٧٨م.

٣. ---- تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني، مكتبة الخانجي، مصر،١٩٨٠م .

٤. أمين (سامي) ، تقويم النيل وعصر محمد علي، القاهرة ، ١٩٨٣ م .

٥. أمين (سمير): أزمة المجتمع العربي، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٥م.

٦. الأنصاري (ناصر): المجمل في تاريخ مصر (النظم الإدارية والسياسية)، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٩٢م .

٧. أنيس(محمد): مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٢ م .

٨. الأيوبي (إلياس): تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩م)، مكتبة مدبولي، ط٢، القاهرة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

٩. البرهاوي (رعد محمود): خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة المجتمع العلمي، بغداد، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م
١٠. البطريق (عبد الحميد): عصر محمد علي ونهضته مصر في القرن التاسع عشر (١٨٠٥ – ١٨٨٣)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م .
١١. البقري (أحمد): مشكلات في القراءات، استانبول، ١٧٨٩ م .
١٢. البلعبكي (منير): معجم أعلام المورد (موسوعة لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين)، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٩٢م .
١٣. البهي (محمد): الأزهر تاريخه وتطوره، دار مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٤م
١٤. تاجر (جاك): حركة الترجمة بمصر في القرن التاسع عشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٥ م.
١٥. ترحيني (محمد أحمد): المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١٦. جمعة (أحمد راضي): كتاب التراجم، بغداد، ١٩٥٩ م .
١٧. جمل (شوقي): علم التاريخ ونشأته وتطوره، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٨٢ م .
١٨. حطيط(أحمد): قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٩. حاطوم (نور الدين) وآخرون: المدخل إلى التاريخ، مطبعة الإنشاء، دمشق،١٩٦٤م.
٢٠. حامد (مصطفى سعيد): مصر الحديثة، الإسكندرية، ١٩٥٣م.
٢١. حسن (حسن إبراهيم): تاريخ عمرو بن العاص، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م.
٢٢. حسن (محمد إبراهيم): جغرافية مصر العربية وحوض البحر الأحمر، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٨م.
٢٣. حسون (علي): العرب والدولة العثمانية، الرؤيا للطباعة والنشر، ط١، دمشق، ٢٠٠٦م.
٢٤. حمدان (جمال):الشخصية المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
٢٥. حمزة (عبد اللطيف أحمد): الصحافة المصرية في مائة عام، دار القلم، د.م، د.ت .
٢٦. حميدان (زهير): أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م .
٢٧. حنفي (سمير علي): العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبيرة في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٨. خضر (عبد العليم عبد الرحمن): المسلمون وكتابه التاريخ، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط١، فيرجينيا، ١٩٩٣ م .
٢٩. الدسوقي (عاصم): البحث عن الفرد اصطلاحاً، القاهرة، ٢٠٠٥م .
٣٠. دهمان (محمد أحمد): معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٩١م .
٣١. دوحان (عبد الكريم إبراهيم): نشأة المدرسة التاريخية في الشام والحجاز والعراق ومصر، مرتضى للكتاب العراقي، ط١، د.م،١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م.
٣٢. الدوري (عبد العزيز): الأعمال الكاملة (نشأة علم التاريخ عن العرب)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، لبنان، ٢٠٠٥م .
٣٣. ---- نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زيد للتراث والتاريخ، د.م،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٣٤. راضي (سليم أحمد): أوضاع ولاية مصر في ظل الإدارة العثمانية، بغداد ، ١٩٦٣ م.
٣٥. رافق (عبد الكريم): العرب والعثمانيون، مكتبة أطلس، ط١، دمشق، ١٩٧٤م .
٣٦. رضوان (أبو الفتوح): تاريخ مطبعة بولاق ولمحة عن تاريخ الطباعة في بلدان الشرق الأوسط، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣م .
٣٧. رؤوف (عماد عبد السلام): كتابه العرب لتأريخهم في العصر العثماني، دار الشؤون للثقافة العامة، بغداد، ١٩٨٨م .
٣٨. الزركلي (خير الدين): الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ٢٠٠٢م.
٣٩. زكريا (قاسم): عبد الرحمن الجبرتي (سيرة ولقيم)، ضمن كتاب دراسات وبحوث، تقديم : عبد الكريم (أحمد عزت)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٧م .
٤٠. الزيات(حسن): واقع مصر في ظل الإدارة العثمانية، القاهرة ، ١٩٩٣ م .
٤١. زيادة (محمد مصطفى): المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٩ م .
٤٢. زيدان (جرجي): تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
٤٣. ---- تراجم مشاهير الشرق في القرن الثاني عشر ، مصر ، مطبعة الهلال ، د.ط ، ١٩١١م .
٤٤. -----تاريخ الماسونية العام، مطبعة الهلال، ط٢، د.م، ١٩٢١م.
٤٥. سالم (عبد العزيز): التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٤٦. سروجي (محمد محمود): عجائب الآثار ومظهر التقديس (دراسة مقارنة) ضمن كتاب دراسات وبحوث، تقديم : عبد الكريم (أحمد عزت)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٧م .
٤٧. سركيس(يوسف اليان): معجم المطبوعات العربية والمعربة،
٤٨. سلام (أبو الحسن) وآخرون: عبد الله النديم (دراسات وبحوث)، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت .
٤٩. سلمي (محمد): منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، دار الوفاء، ط١، المنصورة، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
٥٠. سليم (محمد رزق): عصر سلاطين المماليك ونتاجهم العلمي والأدبي، القاهرة ،١٩٤٧م.
٥١. سليمان (أحمد سعيد): تأجيل ما ورد في الجبرتي من دخيل، دار المعارف، د.م، ١٩٧٨م .
٥٢. سنبل (أميرة): المرأة المصرية من خلال سجلات المحاكم، القاهرة، ١٩٧٨م.
٥٣. سهم (سامي سلميان): التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠ م .
٥٤. سيد (محمد سيد): مصر في العصر العثماني في القرن السادس عشر (دراسة وثائقية في النظم الإدارية والقضائية والعسكرية)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩٧ م .
٥٥. الشربيني (يوسف): الرؤية النقد للمجتمع الريفي عند الشربيني، القاهرة، ١٩٧٣م.
٥٦. ---- المجتمع الرديف في مصر، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
٥٧. ---- هز القحوف في شرح قصيدة أبو شادوف، القاهرة، ١٨٩٠.
٥٨. الشرقاوي (محمود): مصر في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٧م .
٥٩. شريف (محمد بديع) وآخرون: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ت .
٦٠. شلق (أحمد زكريا): معالم التاريخ المصري الحديث والمعاصر، دار قطزي بن الفجاءة، ط١، قطر، ١٩٨٦ م .
٦١. الشيال (جمال الدين): التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، بورسعيد، ٢٠٠٠ م
٦٢. ---- تاريخ الترجمة في عهد الحملة الفرنسية، دار الفكر العربي، د.م، ١٩٥٠ م .
٦٣. ---- تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، بورسعيد، ٢٠٠٠ م.

٦٤. ---- رفاعة زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، دار أحياء الكتب العربية،د.م، د.ت.
٦٥. شيبوب (خليل): عبد الرحمن الجبرتي، دار المعارف للطباعة، د.م، ١٩٤٨م .
٦٦. صابات (خليل): تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف، مصر، د.ت.
٦٧. الصباغ (ليلى): دراسة في منهجية البحث التاريخي، كلية الآداب، ط١٣،جامعة دمشق، ٢٠٠٥، ٢٠٠٧م .
٦٨. الصوفي (أحمد) : مصطلح علم الحديث في مصر خلال القرن الثامن عشر، القاهرة، د.ت .
٦٩. ضومط (أنطوان خليل): التأريخ في العصور الإسلامية، دار الحداثة،ط١، بيروت، ٢٠٠٥م .
٧٠. الضيعة (حسن): ، شخصية مصر في العهد العثماني، القاهرة، ١٩٦٣ م .
٧١. ---- دولة محمد علي الغرب، بيروت، ٢٠٠٢م .
٧٢. طرازي (فيليب دي): تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٣م.
٧٣. طربين (أحمد): التأريخ والمؤرخون العرب في العصر الحديث (دراسة في حركة التأليف التاريخي في أقطار الوطن العربي)، د.م، ١٩٧٠ م .
٧٤. طناحي (محمود محمد): الكتاب المطبوع بمصر في القرن التاسع عشر (تاريخ وتحليل) دار الهلال، د.م، د.ت .
٧٥. طه (جاد): معالم وتاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، د.م، د.ت .
٧٦. طوسون (عمر): البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية، ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٤م .
٧٧. الطويل (توفيق):التصوف في مصر إبان العصر العثماني، القاهرة، ١٩٢٦م .
٧٨. عامر (محمود): تاريخ الدولة العثمانية، كلية الآداب، دمشق، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤م .
٧٩. عباس (رؤوف): الفرد والمجتمع في مصر في العصر العثماني، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
٨٠. عبد الرحيم (عبد الرحمن عبد الرحيم): الريف المصري في القرن الثامن عشر، مكتبة مدبولي، ط٢، د.م، ١٩٨٦ م.
٨١. ---- فصول في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٠ م.
٨٢. عبد العزيز (حمزة): تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، دار الأوقاف العربية، ط١، القاهرة، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧ م .

٨٣. عبد العزيز (عمر): دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (١٥١٧ – ١٩٥٢م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م .
٨٤. عبد الكريم (أحمد عزت): تاريخ التعليم في عصر محمد علي (عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق ١٨٦٣ – ١٨٨٢م)، طبعة النصر، مصر، د.ت.
٨٥. ---- تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م.
٨٦. ---- عبد الرحمن الجبرتي (دراسات وبحوث)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦ م.
٨٧. عبد الوهاب (حسن): تاريخ المساجد الأثرية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٦ م.
٨٨. عبده (إبراهيم): أعلام الصحافة العربية، مكتبة الآداب، ط٢، الجماميز، د.ت .
٨٩. ---- تاريخ الوقائع المصرية (١٨٢٨ – ١٩٤٢ م)، مطبعة الوكيل، ط٢،القاهرة، ١٩٤٢م.
٩٠. عثمان (فتحتي): المدخل إلى التاريخ الإسلامي، دار النفائس، ط١، لبنان، ١٤٠٨ هـ/ ١٨٨٨م.
٩١. العزباوي (عبد الله): الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٧م .
٩٢. عفيفي (نجيب): المستشرقون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م .
٩٣. عمارة (محمد): الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت .
٩٤. ---- رفاعة رافع الطهطاوي (رائد التنوير في العصر الحديث)، دار المستقبل، القاهرة،١٩٨٤م .
٩٥. ---- الأعمال الكاملة لعلي مبارك، المؤسسة العربية للتوزيع والنشر، بيروت، د.ت.
٩٦. عمون (هند اسكندر): تاريخ مصر، القاهرة، د.ت.
٩٧. عنان (محمد عبد الله): مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م .
٩٨. ---- مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التأريخ المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
٩٩. عوف (أحمد): أحوال مصر من عصر لعصر (من الفراعنة إلى اليوم)، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت .
١٠٠. عيساوي(شارل): التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقية، دار الحداثة، بيروت،١٩٨٥م.

١٠١.فريد (محمد): البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس الدولة الخديوية، تحرير: شلق (أحمد زكريا)، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥ م .
١٠٢.قاسم(عبده قاسم):أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٧٧م.
١٠٣.كحالة (عمر رضا):معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، مؤسسة الرسالة ، د.م، د.ت.
١٠٤.كوران(أرجمند): مصر ومحمد علي،أنقرة دار الأنوار،١٩٧٣م.
١٠٥.لابكرية: الريف المصري في عصر المماليك والعثمانيين (وصف مصر)، د.م، د.ت.
١٠٦.متولي (محمد): الخطوات المرتجلة لإدارة مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٩ م .
١٠٧.مجدي (صالح): حلية الزمن في مناقب خادم الزمن، تحقيق: الشيال (جمال الدين)، شركة ومطبعة مصطفة الباني، مصر، ١٩٥٨م .
١٠٨.محمد عبد الغني (حسن) ، التراجم والسير ، القاهرة ، دار المعارف ، د.ط ، د.ت .
١٠٩.محمد(جمال كمال محمود): نظام الالتزام في ريف الصعيد، القاهرة،٢٠٠٠م.
١١٠.محمد(حجازي محمد): نحو دراسة في جغرافية مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م.
١١١. مصطفى (شاكر):التاريخ العربي والمؤرخون (دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام) ، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٧٨م
١١٢.النجار (حسين فوزي): التاريخ والسير، دار الثقافة والإرشاد القومي، ط١، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م .
١١٣.---- رفاعة رافع الطهطاوي، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت
١١٤.نصير (عايدة إبراهيم): حركة نشر الكتب في القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
١١٥.نور(رضا): تحركات محمد علي باشا، استانبول، دار الأفاق، ١٩٣٨م.
١١٦.---- هيمنة الدولة وسلطانها على وحدانية القرار، استانبول، دار الأفاق،١٩٢٤م.

٢-الموسوعات :

١-حسين (نصار) وآخرون: الموسوعة العربية المسيرة، المكتبة العصرية، ط٣، بيروت، ٢٠٠٩م.

٢-سيد (مجد عبد العزيز): موسوعة المشاهير (موسوعة شاملة لأعلام ومشاهير الرجال والنساء في الشرق والغرب قديماً وحديثاً)، مطابع الوكيل، ط١، القاهرة، ١٩٩٥م.

٣-شلبي (أحمد): موسوعة التأريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، القاهرة، ١٩٨٦م .

٣-المقالات والصحف :

١-اسكاروس(توفيق): تاريخ الطباعة في وادي النيل، مجلة الهلال، السنة الثانية والعشرون، ١٩١٤، ص٤٢٦،

عفيفي (محمد) ، الأقباط في مصر في العصر العثماني ، القاهرة ، سلسلة تاريخ المصريين ، عدد ٥٤ ، ١٩٩٢م، ص١١٠-١٢٨.

٢-عثمان (ليلى) ، الحملة الفرنسية تنوير أم تزوير ، مجلة الهلال ، عدد ٥٨٧، د.م، ١٩٩٨م، ص١٨٦.

٣-فهمي (علي)، روضة المدارس المصرية ، القاهرة ، مطبعة المدارس الملكية العدد ١ ، ١٨٧٠م، ص١.

٤-المراجع المعربة :

١. أستيف (الكونت): النظام الإداري والمالي في مصر العثمانية (وصف مصر)، ترجمة: الشايب(زهير)، القاهرة، ١٩٧٩م .
٢. أوين (روجر): الشرق الأوسط في الاقتصاد العالمي(١٨٠٠ -١٩١٤م)، ترجمة: الرزازة (سلمى)، بيروت، ١٩٩٠م .
٣. بروكلمان (كارل): دائرة المعارف الإسلامية (البكري)، ترجمة:الشنتسناوي (أحمد)، خورشيد (إبراهيم) وآخرون،، طهران، د.ت .
٤. جوان (ادوارد): مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة: مسعود (محمد)، ط٢، القاهرة، ١٩٣١م .
٥. جونيور (كرايس): كتابة التاريخ في مصر في القرن التاسع عشر (دراسة في التحول الوطني)، ترجمة: بكر (عبد الوهاب)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
٦. روزنثال (فرانز): علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة: أحمد (العلي صالح)، مراجعة: توفيق (حسين محمد)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م .
٧. سوليه (روبير): مصر ولع فرنسي، ترجمة: فرج(لطيف)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م .

٨. سوندرز (جون): العالم الإسلامي عشية توسع أوروبا، ترجمة : الصواف(محمد ظافر)، مؤسسة الرسالة، ط١، د.م، ١٩٩٤م.
٩. سـيزاكين (فـؤاد): تـاريخ التـراث العربـي، ترجمـة: حجـازي (محمـود فهمـي)، الرياض،١٩٩١م .
١٠. فالترهنتس: المكاييل والأوزان وما يعادلها في النظام الميري، ترجمة: العسلي(كامل)، الجامعة الأردنية، د.ت.
١١. قلقجي (حكمت): التاريخ العثماني، تعريب :لقمان (فاضل)، دمشق، ١٩٨٧م .
١٢. لويس (هنري) وأخرون: الحملة الفرنسية في مصر (بونابرت والإسلام)، ترجمة : السباعي (بشير)، سينا للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٥م .

٢- المراجع الأجنبية:

١. Sarary , c , letteressurl . Egypt , paris , ١٧٨٨ .
٢. Arnold toynbee, Abdu, ArhmanAljabrti,insideabook of Al-jabrti(studies and researehes) ,cairo,the Egyptian common institution for books, w.t ,١٩٧٦.

٣- مراجع الانترنيت:

١. http://www.arwikipedia.
٢. http://www.masress.com/shorouk/٣٠٢٤٢٢